

وروس البلاغة

تأليف

سلطان محمد
مصطفى طئوم

حفني ناصف
محمد دياب

شرح

فضيلة الشيخ العلامة اللغوي

محمد بن صالح العثيمين

رحمته الله (١٣٤٧ - ١٤٢١هـ)

اعتنى بهما

محمد بن فلاح المطيري



جديد بديف®

jadidpdf.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جديد بديفا®
jadidpdf.com

وروس البلاغة



جديد بديفا®
jadidpdf.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م



مكتبة أهل الآيات

الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية

هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥

الجهراء: ص. ب: ٢٨٨٨ - الرمز البريدي: ١٠٣٠

Website: www.gheras.com

E-Mail: info@gheras.com

الكويت - خيطان القديم - تلفاكس: ٤٧٦١٣٦٥ -

تقال: ٧٦٩٨٨٩٦

الكويت - الرحاب - ص. ب: ٢٨٢

E - mail:

aabel_alather@hotmail.com



جديد بديف®
jadidpdf.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المعنّي

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ
أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۚ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣)

أَمَّا بَعْدُ (٤) :

(١) آل عمران.

(٢) النساء.

(٣) الأحزاب.

(٤) ما سَبَقَ هِيَ خُطْبَةُ الْحَاجَةِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْتَضِي بِهَا خُطْبَهُ، وَهِيَ بَلِيغَةٌ فِي نَفْسِ
الْمُتَّقِينَ عَظِيمَةُ الْوَقْعِ مُذَكِّرَةٌ؛ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الرُّصِيَّةِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالِاسْتِعَاذَةِ
وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ وَحْدَهُ، وَحَمْدِهِ وَطَلَبِ الْمَغْفَرَةِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ الْهَدَايَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِتَوْفِيقِ
مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ الْفَوْزَ الْحَقِيقِيَّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَيَرْجِعُ الْفَضْلُ - بَعْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - فِي نَشْرِ هَذِهِ السُّنَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِحْيَائِهَا فِي =

فليس ثَمَّةَ وِعَاءٍ مُلِئٍ فصاحةً وبلاغةً وبياناً أَجْمَعَ مِنْ كتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وليس في غايرِ الخَلْقِ إلى أن تقومَ الساعةُ أُتِينَ معنىً وأفصحَ لفظاً وأبلغَ قَصْداً في نفوسِ سامِعِيهِ مِنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وليس في العلومِ الرَّدِيفَةُ عِلْمٌ يَهْبُ النفوسَ مِنْ كُنُوزِ الوَحْيَيْنِ سِحْراً وَتَبْراً أَكْرَمَ نَفْساً مِنْ عِلْمِ البلاغةِ والبيانِ.

ولَمَّا كانتِ الحاجةُ إليه عزيزةً، وَبُغْيَةُ النفوسِ إليه عظيمةً؛ أَوْحَى مِدادُ العارفينَ به إلى الصُّحُفِ ما أَوْحَى، فجاءَتْ به الأسفارُ الجَلِيلَةُ بما جادَتْ به العربيةُ مِنْ فَيْضِ جواهرِها الثَّيِّرةِ، وليس هذا مقامُ ذِكْرِ التَّليدِ منها والجديدِ، غيرَ التَّوقُّفِ عند هذا المتنِ الفريدِ، الموسومِ علامةً بـ «دروس البلاغة»، لِمُؤَلِّفِيهِ: حفني ناصف، ومحمَّد دياب، وسلطان محمَّد، ومصطفى طُموم^(١).

وهذا المتنُ - على صِغَرِهِ - حَظِي بعنايةٍ مَنْ شَرَحَهُ مِنَ المشايخ والعلماء، فمنهم عِلْمُ الدين محمد ياسين بن عيسى الفاداني الأندونيسي تحت عنوان: «حُسْنُ الصِّيَاغَةِ شَرْحُ دروس البلاغة»، والشيخ أبو الأفضال محمد الدامفوري تحت عنوان: «شموس البلاغة».

وقد ذَكَرَ لي شيخنا د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي - حفظه الله - أَنَّهُ دَرَسَ هذا المتنَ سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) في الجامعة الرحمانية في مدينة (بنارس) شمال الهندِ التابعة للجامعة السلفية، وأَنَّهُ ما يزال يُدْرَسُ هناك.

= عَصَرْنَا هذا إلى الإمام المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ (ت: ١٤٢٠هـ)، الذي ضَبَطَ ألفاظها وَجَمَعَ طُرُقَهَا وَخَرَّجَهَا ودعا إلى التمسُّكِ بها في رسالته المشهورة: «خُطْبَةُ الحاجةِ التي كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُها أصحابه»، فَرَحِمَهُ اللهُ رَحِمَةً واسعةً.

(١) لم أحرص على تتبُّع تراجمهم، هذا إن وَجَدَ لبعضهم ترجمة، ولعلَّ أشهرهم هو حفني ناصف المِتَوَفَّى سنة ١٣٣٨هـ.

ومن شُراحه مَنْ نحن بصَدِّده الآن وهو فضيلةُ الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ، فللشيخ رَحِمَهُ اللهُ عنايةٌ بالغةٌ باللغة العربية وعلومها، ولا أدلُّ على ذلك من شرحه لألفية ابن مالك في النحو والصرف، و- من قبل - متني الآجرومية، بالإضافة لشرح منظومة «الدرة اليتيمة» في النحو للحضرمي، وكتابه لقواعد في الإملاء، واختصاره لـ «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» لابن هشام الأنصاري، وشرحه لعلوم البلاغة العربية هذه.

ومؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ودروسه زاجرةٌ بذكر المسائل اللغوية والنحوية والشواهد الشعرية، فلا تكادُ تقرأ للشيخ مؤلفاً، أو تسمعُ له شرحاً مُسجلاً؛ إلا وجدتُ الأعاريب العديدة، والتوضيحات الكثيرة لغريب الكلمات لغةً ودلالةً.

وشرحُ البلاغة هذا ليس مُحَرَّراً بخطه رَحِمَهُ اللهُ، وإنما هو سلسلةٌ دروسٍ في شرح هذا المتن ألقاها رَحِمَهُ اللهُ على طلبته^(١)، وهي مُسجلةٌ في خمسة أشرطة، قمتُ بتفريغها ووضع كلِّ جزئية من الشرح في موضعه المناسب من المتن كحاشية له.

* ويجدر هنا التنبيه إلى أمورٍ تتعلق بشرحه رَحِمَهُ اللهُ :

١- قد يستطرد رَحِمَهُ اللهُ أحياناً في معنى بيتٍ أو جزئيةٍ ما بعيداً عن الشاهد المطلوب.

٢- هناك بعض الجزئيات أو رؤيا الفقرات لم يقم رَحِمَهُ اللهُ بشرحها؛ إما لوضوحها أو سهواً منه رَحِمَهُ اللهُ.

(١) بدأ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في شرحه في ١٤/ ربيع الآخر / ١٤١٩ هـ، وانتهى منه في الرابع والعشرين من الشهر نفسه، وله رَحِمَهُ اللهُ شرحٌ قديمٌ لكنَّ تسجيله غير واضح كثيراً.

٣ - أحياناً رَحِمَهُ اللهُ يأتي بلفظة عامية، فعندئذ أقوم باستبدال الفصحى بها، كما استبدلت (حَسَنًا) بـ (طَيِّب)، و(لماذا) بـ (ليش) ونحو ذلك.

٤ - كثيراً ما يُعَبِّرُ رَحِمَهُ اللهُ عن المؤلفين بصيغة المفرد بقوله: (المؤلف).

٥ - قد يذكر رَحِمَهُ اللهُ أحياناً معلومة غير مُكتملة أو يُخطئ فيها سهواً منه، ففي هذه الحالة أقوم بإلغائها، وأحياناً يسأل سؤالاً ثم يجيب عنه فأقوم بالربط بينهما بحذف أداة الاستفهام وتغيير ما يلزم، وأحياناً تحتاج العبارة إلى تعديل بسيط بحذف كلمة أو إضافتها، وأحياناً يُكْرَرُ بعض الجمل فأنبت أسلمها، وهذا كله ولله الحمد قليلٌ ونسيّر، فمن المعروف أن مقام التدريس والارتجال ليس كمقام التحرير وضبط المقال، ويشهد لهذا ما قاله^(١) فضيلة الشيخ العلامة المحدث عبد المحسن بن حمد العباد - حفظه الله - متحدثاً عن مؤلفات الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «ومؤلفاته تنقسم إلى قسمين:

١ - قسم حرّره بنفسه وأخرجه بعد تحريره واطمئنانه إليه.

٢ - وقسم لم يُحرّره، ولكنه استخرج من الأشرطة وطبع، فهذا مأخوذ من دروسه ومن الأشرطة التي اشتملت على دروسه ولكنه لم يُحرّره، ولكنه لا شك أنها مفيدة وعظيمة النفع» اهـ.

*** عملي في هذا الكتاب:**

- ١ - ضبط كل من المتن وشرح الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بالتشكيل وعلامات الترقيم، غير أن التشكيل في شرح الشيخ جاء بقدر الحاجة إليه.
- ٢ - عزو الآيات الواردة فيهما.

(١) من محاضرة ألّفها حفظه الله على طلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بعنوان «الشيخ محمد بن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته».

- ٣- تخريج الأحاديث والآثار الواردة فيهما تخريجاً مختصراً.
- ٤- تبخير الآيات الشعرية الواردة فيهما.
- ٥- عزو الآيات التي ذكرها الشيخ رحمته الله إلى قائلها.
- ٦- إثبات المتن في الطبقة الأولى، ثم شرح الشيخ رحمته الله في الطبقة الثانية، ثم ما كان من تعليقٍ مِنِّي في الطبقة الثالثة، ويجب التنبيه هنا إلى أنَّ الحاشية ذات الأرقام هي من كلام الشيخ رحمته الله، وأنَّ الحاشية ذات النجوم هي تعليقٌ لي.
- ٧- بالنسبة لأسئلة الطلبة بعد كلِّ درسٍ فإنِّي أثبتُّ منها ما كان واضحاً ونافعاً، ووضعتها في المكان المناسب لها من المتن أو الشرح.
- أما قبلُ، فإنَّ الشُّكْرَ دَيْنٌ أَيْ دَيْنٌ، وليس أحدٌ في هذا المقام بعد رَبِّ العِزَّةِ بأولى به من أستاذيِّ الفاضلين: أ.د. موسى ربابعة، وفضيلة الشيخ خيرى وربي، حفظهما الله، اللذين درستُ عليهما البلاغة العربية، فجزاهما الله خير الدارين.
- والله أسأل أن يَجْزِيَ فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمته الله خير الجزاء، وأن يوسِّعَ له في قبره، وأن يُغَلِّيَ درجته في الآخرة، ويحشره يوم القيامة مع الذين يُقدِّمُهُمُ الصحابيُّ الجليلُ معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه، إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.
- وهذا جُهدٌ مُقلٌّ، على الكمالِ غيرُ مُطلٍّ، وصلى الله وسلَّم على النَّبيِّ مُحَمَّدٍ ما ضاءَ بَدْرٌ وهَلَّ.

وَكَتَبَ

محمد بن فلاح بن مشعان المطيري

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الخميس ١٤٢٥/٥/٦ هـ

الموافق ٢٠٠٤/٦/٢٤ م

الكويت - صباح الناصر

ترجمة موجزة للعلامة

ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ

* اسمه: هو الشيخ العلامة الخُبْرُ البحر المفسّر الفقيه اللُّغويّ المدقّق الأصولي الزاهد الورع الإمام أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان ابن عبد الرحمن بن عثمان الوهبيّ التيميّ، وعثمان هذا أُطْلِقَ عليه (عثيمين) فاشتهرَ به.

* مولده: وُلِدَ الشَّيْخُ في مدينة عنيْزة إحدى مُدُنِ القصيم في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ.

* نشأته وشيوخه: نشأ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ في عائلة معروفة بالدين والاستقامة، فقد تتلمذ ابتداءً على جده من جهة أمّه الشَّيْخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ رَحِمَهُ اللهُ، ومن أشهر شيوخه وأكثرهم فقهاً وعلماً وأكثرهم ملازمةً له علامة القصيم المفسّر الفقيه الأصولي الشَّيْخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ، إذ أخذ عنه كثيراً من العلوم الشرعية من عقيدة وفقه وحديث وتفسير ولغة، ودرس أيضاً على يد سماحة الشَّيْخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله آل باز رَحِمَهُ اللهُ وكثير من علماء الحرمين ونجد والقصيم.

* من صفاته: رَزَقَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ ذكاءً وزكاءً وهمةً عاليةً في تحصيل العلم ومزاحمة الرُّكْب عند العلماء في حِلَقِ العلم، وكان منذ بداية طلبه للعلم مشغولاً بالتحصيل واغتنام الوقت وصرفه في المطالعة والمكوث الطويل في المكتبات.

وَعُرِفَ رَحِمَهُ اللهُ بالصدق والأمانة والزهد والإعراض عن الدنيا، وكان رَحِمَهُ اللهُ

حَسَنَ الْخُلُقِ، كَرِيمَ الْيَدِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، وعنايةُ الشَّيْخِ بطلبة العلم ومعاملته لهم خيرُ شاهدٍ على بَذْلِهِ للعلم وحرصه على بثِّه بينهم، فكان يعقد الدروسَ لهم، ويسأل عن غائبهم، ويعود مريضهم، ويُعين مَنْ كان محتاجاً منهم، وكان رَحِمَهُ اللهُ آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مُتَمَسِّكاً بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، مستقيماً على طاعة الله.

* تلاميذه: لَمَّا اشْتَهَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ بسعة العلم والتبحُّر في المسائل الشرعية؛ حرص طلابُ العلم على التوافد عليه من كل مكان والأخذ عنه، وقد أخذ طلابُه أثناء حياته وبعد وفاته ينشرون العلم الذي اقتبسوه منه رَحِمَهُ اللهُ في بلدانهم التي جاؤوا منها.

ولكثرة طلابه ولوجازة هذه الترجمة؛ لا يمكن ذكرهم أو بعضٍ منهم، ويُرجع في ذلك إلى كتاب «الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين» لمؤلفه: وليد بن أحمد الحسين، وكتاب «الدُّرُ الثمين في ترجمة فقيه الأُمَّة العلامة ابن عثيمين» لمؤلفه: عصام بن عبد المنعم المري.

* بعض المناصب التي تقلَّدها: كان رَحِمَهُ اللهُ عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ومحاضراً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وكان مِمَّنْ يجلس في الحرم المكي في شهر رمضان للتدريس والإفتاء، وعُرِضَ عليه القضاء فطلب الإعفاء منه لِوَرَعِهِ رَحِمَهُ اللهُ.

* مؤلفاته: أَثَرَتِ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب والمصنَّفات التي لا يَسْتَغْنِي عنها أيُّ طالب علم، ومؤلفاته رَحِمَهُ اللهُ تربو على مِثَّةِ مُصَنِّفٍ ما بين شرح ومختصر وكتيب ورسالة، بله الشروح المسجَّلة في مئات الأشرطة، فمنها على سبيل الذكر لا الحصر:

- ١- الشرح الممتع على زاد المستقنع.
- ٢ - شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.
- ٣- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.
- ٤- القول المفيد شرح كتاب التوحيد للمجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ.
- ٥- شرح بلوغ المرام للمحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ.
- ٦- الأصول من علم الأصول.
- ٧ - المنهج لمريد الحج والعمرة.
- ٨- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ.
- ٩- حقوق دَعَتْ إليها الفطرة وقررتها الشريعة.
- ١٠- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع.

* وفاته: تُوَفِّيَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ يومَ الأربعاء ١٥/١٠/١٤٢١ هـ الموافق ١٠/١/٢٠٠١م بمدينة جدة في المملكة العربية السعودية إثرَ مَرَضٍ أَلَمَ بِهِ، وَصَلِّيَ عَلَيْهِ فِي الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ، وَدُفِنَ بِمَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ، رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

* * *

مقدمة المؤلفين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قَصَرَتْ عبارة البُلْغَاءِ عن الإحاطة بمعاني آياته، وَعَجَزَتْ أَلْسُنُ
الفُصَحَاءِ عن بيان بدائع مصنوعاتِهِ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ مَلَكَ طَرْفِي الْبَلَاغَةِ
إِطْنَاباً وَإِيجَازاً، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْفَاتِحِينَ بِهِدْيِهِمْ إِلَى الْحَقِيقَةِ مَجَازاً^(١).

وبعد، فهذا كتابٌ في فنونِ الْبَلَاغَةِ الثَّلَاثَةِ، سَهْلُ الْمَنَالِ، قَرِيبُ الْمَأْخِذِ،
بَرِيءٌ مِنَ وَضْمَةِ التَّطْوِيلِ الْمُجِلِّ، وَغَيْبُ الْاِخْتِصَارِ الْمُخِلِّ، سَلَكْنَا فِي تَأْلِيْفِهِ
أَسْهَلَ التَّرَاتِيْبِ، وَأَوْضَحَ الْأَسَالِيْبِ، وَجَمَعْنَا فِيهِ خُلَاصَةَ قَوَاعِدِ الْبَلَاغَةِ؛ وَأَمْهَاتِ
مَسَائِلِهَا، وَتَرَكْنَا مَا لَا تَمَسُّ إِلَيْهِ حَاجَةُ التَّلَامِيْذِ مِنَ الْفَوَائِدِ الزَّوَائِدِ؛ وَقَوْفاً عِنْدَ حَدِّ
الذَّامِ، وَحِزْصاً عَلَى أَوْقَاتِهِمْ أَنْ تَضِيعَ فِي حَلِّ مُعَقَّدٍ، أَوْ تُلْخِصَ مُطَوَّلٍ، أَوْ
تُكْمِلَ مُخْتَصَرٍ، فَتَمَّ بِهِ مَعَ كُتُبِ الدَّرُوسِ النَّحْوِيَّةِ سُلْمُ الدِّرَاسَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي
الْمَدَارِسِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ وَالتَّجْهِيْزِيَّةِ.

والفضلُ في ذلك كُلِّهِ لِلْأَمِيرَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ نُبَلَا، وَالْإِنْسَانَيْنِ الْكَامِلَيْنِ فَضْلاً،
نَاطِرِ الْمَعَارِفِ، الْمُتَجَانِفِيْ عَنِ مِهَادِ الرَّاحَةِ فِي خِدْمَةِ الْبِلَادِ، الْوَاقِفِيْ فِي مَنَفَعَتِهَا
عَلَى قَدَمِ الْاِسْتِعْدَادِ، صَاحِبِ الْعُطُوفَةِ: مُحَمَّدُ زَكِي بَاشَا، وَوَكِيلُهَا ذِي الْأَيْدِي

قال الشيخ العلامة اللغوي محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ :

(١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مثل هذا الأسلوب يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ «بِرَاعَةَ الْاِسْتِفْتَاَحِ»، يَعْنِي: أَنَّ
الْإِنْسَانَ يَسْتَفْتِيحُ بِكَلَامٍ يَدُلُّ عَلَى الْمَوْضُوعِ، فَهَذَا يَقُولُ: «عِبَارَةُ الْبُلْغَاءِ» إِشَارَةً إِلَى هَذَا
الْفَنِّ: هُوَ عِلْمُ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ، وَقَالَ أَيْضاً: «عَنْ بَيَانِ بَدَائِعِ مُصْنُوعَاتِهِ» بَدَائِعُ: [إِشَارَةُ
إِلَى] عِلْمِ الْبَدِيعِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْفَنَّ يَعُودُ عَلَى هَذَا الشَّيْءِ.

البيضاء في تقدّم المعارف نحو الصّراط المستقيم، وإدارة شؤونها على المخوّر القويم، صاحب السعادة: يعقوب أرتين باشا، فهما اللذان أشارا علينا بوضع هذا النظام المفيد، وسلوك سبيل هذا الوضع الجديد.

حَفْنِي ناصف محمّد دياب سلطان محمّد مصطفى طموم

* * *

مقدمة
في
الفصاحة والبلاغة

مقدمة في الفصاحة والبلاغة

الفصاحة في اللغة تُنبئ عن البيان والظهور. يقال: «أفصح الصبي في منطقِه» إذا بان وظهر كلامه.

وتنفع في الاصطلاح وصفاً للكلمة، والكلام، والمتكلم^(١).

١- فصاحة الكلمة: سلامتها من تناثر الحروف، ومخالفة القياس، والغرابة^(٢).

أ- فتناثر الحروف: وصف في الكلمة يُوجب ثقلها على اللسان، وعُسْر التطق بها، نحو: «الظش» للموضع الحشن، و«الهغخع»^(٣) لنبات ترعاه الإبل،

(١) إذا موضوع الفصاحة ثلاثة: الكلمة، والكلام، والمتكلم، كل منها يقال: «فصيح»، وفسرّها المؤلف.

(٢) سلامتها من ثلاثة أمور:

الأول: تناثر الحروف: يعني بأن تكون حروفها متألّفة غير متناكزة، والتألف: أن يسهل التطق بها مجتمعةً، والتناثر: أن يضعب التطق بها مجتمعةً.

الثاني: مخالفة القياس: يعني القياس التخوي، فما خالف القياس التخوي أو الصرفي فإنه غير فصيح.

الثالث: [الغرابة].

(٣) هذه فيها تناثر حروف؛ لأنه يضعب التطق بها؛ إذ أن كل حرف لا يتلاءم بما بعده، «الظش» أهون منها، يعني (الظش) ليس فيه تناثر كثير^(*).

(*) وهذه إشارة منه ^{كقوله} إلى أن الثقل الناتج عن تناثر الحروف ينقسم إلى قسمين:

١- ثقل شديد. ٢- ثقل خفيف.

و«الثَّقَاخ» للماء العَذْب الصَّافِي، و«المُسْتَشْزِر» للمَقْتُول^(١).

ب- ومخالفة القياس: كَوْنُ الكلمة غيرَ جاريةٍ على القانونِ الصَّرْفِيِّ^(*)، كَجَمْعِ «بُوق» على «بُوقَات» في قولِ الْمُتَنَبِّي [الطويل]:

فإِنْ يَكُ بعضُ الناسِ سَيْفًا لدولةٍ ففي الناسِ بُوقَاتُ لها وطُبولُ

إِذِ القياسُ في جَمْعِهِ لِلْقَلَّةِ: «أَبُوق»، وك «مَوْدَّة» في قوله [الرَّجَز]:

إِنْ بَنِي لِلنَّامِ زَهْدَهُ مَا لِي فِي صُدُورِهِمْ مِنْ مَوْدَّةٍ

والقياس: «مَوْدَّة» بالإدغام^(٢).

ج- والغرابة: كَوْنُ الكلمة غيرَ ظاهرةٍ المعنى، نحو: «تَكَأَكَأَ» بمعنى: اجْتَمَعَ، و«أَفَرْتَقَعَ» بمعنى: انصَرَفَ، و«أَطْلَحَمَ» بمعنى: اشْتَدَّ^(٣).

(١) هذه كلها كلمات متنافرة، لكن «الثَّقَاخ» ليس فيه تنافر إلى ذاك، إلا أنها كلمة مُسْتَهْجَنَةٌ، بمعنى أَنَّ النَّفْسَ لا ترتاح لها، فالماء الصافي العَذْب لا ينبغي أن يُوصَفَ بهذا الوصف.
(٢) إذا الفرق في موضع الإدغام يُعْتَبَر غيرَ فصاحةٍ لمخالفة القياس، كذلك «أَبُوق» إذا قال «بُوقَات» فهذا مخالف للقياس؛ لأنَّ القياسَ أن يُجْمَعَ على «أَبُوق» لا على «بُوقَات».
(٣) يعني لو قال إنسان: «اليومَ أَطْلَحَمَ الحرُّ» يعني: اشْتَدَّ، هذا غريب، يعني غير معهود أن يُعْبَر بكلمة «أَطْلَحَمَ» عن «اشْتَدَّ»، كذلك «تَكَأَكَأَ» بمعنى: اجْتَمَعَ، وهذا أيضاً غريب، فإذا عبَّر الإنسانُ عن «اجْتَمَعَ» بـ «تَكَأَكَأَ» قيل: الكلام غير فصيح لغرابة الكلمة.
إذا:

١- تنافر الحروف في الكلمة يُعَدُّ غيرَ فصاحة.

٢- كونها على خلاف القياس - كالفك في موضع الإدغام - أيضاً غيرَ فصيح؛ لأنها مخالفة للقياس.

(*) ويُسَمَّى من ذلك: ما اسْتَحْيَى من القواعد الصرفية وهو مخالف للقياس، فيُعَدُّ فصيحاً، مثل: «مسجد» بكسر الجيم، والقياس فتحها؛ لأنَّ مضارعه مضموم العين فيكون على وزن «مَفْعَل»، ولكن هكذا نطقت به العرب.

٢- وفصاحة الكلام: سلامته من تناثر الكلمات مُجْتَمِعَةً، ومن ضَعْفِ التَّأْلِيفِ، ومن التعقيد^(*)، مع فصاحة كلماته.

١- فالتناثر: وَضِفَ في الكلام يُوجِبُ ثِقَلَهُ على اللسان وَعُسْرَ التُّطْقِ به، نحو [الكامل]:

... .. في رَفَعِ عَرْشِ الشَّرْعِ مِثْلَكَ يَشْرَعُ
[الرَّجَز]:

... .. وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ^(١)

= ٣- غرابتها بحيث لا تُستعمل إلا قليلاً، غير فصيحة لغرابتها.

يقول الحريري في مقاماته^(**) كَلَّمَكَ [البسيط]:

وطالما مَرَّ بي كَلْبٌ وفي فَمِهِ ثَوْرٌ ولكنَّه ثَوْرٌ بلا ذَنْبٍ

ما الذي يُفهم من هذا؟، الثَّور: هو قُرْصُ البَقْلِ، هذا يُسَمَّى ثَوْرًا في اللغة العربية، لكن التعبير عنه بكلمة «ثَوْر» غريبٌ، فيعتبر هذا غير فصيح^(***).

(١) الآن لو نظرنا إلى الكلمات: «عَرْش» و«شَرْع» و«يَشْرَع» [لَوَجَدْنَاهَا] كلمات غير متنافرة =

(*) وأيضاً: سلامته من نتائج الإضافات: وهو كون الاسم مضافاً إضافة متداخلة غالباً، كقوله [الطويل]:

حمامة جزها حومة الجندل اسجعي فأنبت بمزأى من سعادة ومسلمي

(**) انظر: «المقامة الشَّوَيْتة».

(***) سئل الشيخ كَلَّمَكَ فيما بعد هذا السؤال:

الطالب: الأبيات التي ذُكرت وما فيها من غرابة وخلاف الفصاحة قد تكون في زمن الناظم أو الشاعر فصيحة مقبولة...

فأجاب كَلَّمَكَ: ليس على كل حال، ولا عبرة بالحوال العارضة، وأحياناً المتكلم أو الناظم يأتي بالغرابات لأجل أن يجتهد الناس في الوصول إلى معنى الكلام، أو ليقال: إنه رجل فصيح له اطلاع قوي في اللغة العربية.

الطالب: يا شيخ! قد يكون في كلام النبي ﷺ بعض الألفاظ الغريبة، حتى ألف العلماء كتاب غريب الحديث، فهل نقول: هذا خلاف الفصاحة؟

الشيخ كَلَّمَكَ: لا؛ لأن الرسول ﷺ ما أتى بهذه الكلمة الغريبة إلا في محلها.

[الطويل]:

كريمَ متى أمدَّه أمدَّه والورى معي، وإذا ما لُمْتُه لُمْتُه وخدي^(١)

ب- وَضَعُ التَّالِيفِ: كَوْنُ الْكَلَامِ غَيْرَ جَارٍ عَلَى الْقَانُونِ التَّخَوِّيِ الْمَشْهُورِ^(٢)، كَالِإِضْمَارِ قَبْلَ الذِّكْرِ لَفْظاً وَرُتَبَةً فِي قَوْلِهِ [البسيط]:

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغَيْلَانِ عَنْ كَبِيرٍ وَحُسَيْنٍ فَعِلَ كَمَا يُجْزَى سِنِمَارُ^(٣)

= الحروف، لكن جَمْعُ بعضها إلى بعض يُوجِبُ التَّنَافَرَ، فيكون عدمُ الفصاحةِ في الكلام، كذلك أيضاً كلمة «قبر» و«قُرب» ليس فيها تنافر بالنسبة للكلمة الواحدة، لكن بالنسبة لِضَمِّ الكلمات بعضها إلى بعض يكون تنافر، فيقال: الكلام غير فصيح لتنافر كلماته.

(١) هذا البيت قوي المعنى، يعني: «أني إذا مدحت فالورى كلهم يمدحونه، وإذا لُمْتُ لم يَلُمَّه أحد»، البيت قوي جداً في الثناء على الممدوح، لكأنه من جهة البلاغة غير فصيح؛ لأن كلماته متنافرة.

(٢) إِنْتَبَهِ لِكَلِمَةِ «المشهور»، لو كان غير جارٍ على القانون التَّخَوِّيِ الْمُتَّفَقِ عليه فهذا لا يصلح أصلاً، فلا يقال: إنه كلام غير فصيح، بل يقال: إنه غير كلام وغير صحيح، مثلاً لو قال: «قام زيداً» هذا غير جارٍ على القانون؛ القانون برفع «زيد»، لكن هل هذا القانون مُجْمَعٌ عليه أو مُخْتَلَفٌ فيه؟ مُجْمَعٌ عليه، إذاً هذا يُعَدُّ كلاماً فاسداً، لا يقال: إنه كلام غير فصيح، بل يقال: إنه كلام فاسد، تركيب لا تُجيزُهُ اللُّغَةُ بأي حالٍ من الأحوال.

(٣) أَمَّا عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى مُتَأَخِّرٍ لَفْظاً وَرُتَبَةً فَهَذَا فِيهِ خِلَافٌ: هل هو جائز أو لا؟، فلذلك كان عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى مُتَأَخِّرٍ لَفْظاً وَرُتَبَةً يُجْعَلُ الْكَلَامُ غَيْرَ فَصِيحٍ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ جَارٍ عَلَى الْقَانُونِ الْمَشْهُورِ.

«بَنُوهُ أَبَا الْغَيْلَانِ»: بَنُوهُ: الهاء متصلة بالفاعل، وهي تعود على المفعول به، فهي عائدة على مُتَأَخِّرٍ لَفْظاً وَرُتَبَةً، وهذا مخالفٌ للقانون المشهور، إذ أن المشهور أن الضمير لا يعود على مُتَأَخِّرٍ لَفْظاً وَرُتَبَةً كما مرَّ علينا ذلك في أصول التفسير.

«عن كَبِيرٍ» يعني: إذا كَبُرَ وتقدَّمت به السُّنُّ.

ج- والتعقيد: أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد.

والخفاء:

- إما من جهة اللفظ؛ بسبب تقديم أو تأخير أو فضل، ويسمى تعقيداً لفظياً، كقول المتنبي [الكامل]:

جَفَحَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَعْرُ دَلَائِلُ

فإن تقديره: جَفَحَتْ بهم شِيمٌ دلائل على الحَسْبِ الأعْرُ، وهم لا يَجْفَحُونَ بها^(١).

- وإما من جهة المعنى؛ بسبب استعمال مجازات وكنيات لا يفهم المراد

= «وَحَسَنَ فِعْلٍ»: يعني: أَحَسَنَ إلى أولادِهِ.

«كما يُجَزَى سِنْمَارُ»: سِنْمَارُ هذا رَجُلٌ بَنَى قَصْرًا عَظِيمًا جَدًّا جَدًّا لِأَحَدِ الْمُلُوكِ لَا يُمَانِلُهُ قَصْرٌ، فَلَمَّا انْتَهَى مِنَ الْقَصْرِ وَمِنْ صُنْعِهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَسْكُنَهُ الْمَلِكُ؛ صَعِدَ [الْمَلِكُ] بِالْبَانِي [الَّذِي هُوَ سِنْمَارُ] ثُمَّ رَمَى بِهِ مِنْ فَوْقَ عَلَى الْأَرْضِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْبِيْ مِثْلَهُ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ، فَكَانَ مَضْرِبَ الْمَثَلِ، سِنْمَارُ بَعْدَ أَنْ أَحَسَنَ بِنَاءَ هَذَا الْقَصْرِ جَزَاؤُهُ أَنْ يُرْمَى بِهِ مِنْ فَوْقَ، وَعِنْدَ الْعَوَامِّ مَثَلٌ يُقَارِبُ لِهَذَا، يَقُولُ: «رَجُلٌ حَجَّ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ بَلَدِهِ حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ عَلَى هَذَا الْبَعِيرِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَلَدِ دَبَّحَهُ وَجَعَلَهُ وَلِيْمَةً لِقُدُومِهِ مِنَ السَّفَرِ»، فَيَقُولُ الْعَوَامُّ: «جَزَاءُ نَاقَةِ الْحَجِّ دَبْحُهَا»، هَذَا كَلَامُ الْعَوَامِّ، وَأَمَّا هُوَ مِنْ حَيْثُ الشُّرْعُ لَا بَأْسَ بِهِ، رَجُلٌ رَكِبَ الْبَعِيرَ وَحَجَّ بِهِ وَرَجَعَ وَهُوَ فِي غِنَى عَنْهُ قَدَبَحَهُ.

(١) أَوَّلًا مَا مَعْنَى «جَفَحَتْ»؟، هَذِهِ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ نَقْصِ الْبَلَاغَةِ وَهُوَ الْغَرَابَةُ، لِهَذَا هَذَا لَا يُسْتَعْمَلُ بِهَذَا الْمَعْنَى.

يقول: «جَفَحَتْ» أَي: عَلَتْ، «وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ» كَلَامٌ مُعَقَّدٌ، الْمَعْنَى: جَفَحَتْ بِهِمْ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا، فَ «بِهِمْ» مُتَعَلِّقَةٌ بِ «جَفَحَتْ»، وَ «بِهَا» مُتَعَلِّقَةٌ بِ «يَجْفَحُونَ»، وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَذِهِ الشَّيْمَ عَلَتْ بِهِمْ وَهُمْ لَا يَعْلُونَ بِهَا؛ لِأَنَّهُمْ أَشْرَفُ مِنْهَا وَأَعْلَى مِنْهَا.

بها، وَيُسَمَّى تعقيداً معنوياً، نحو قولك: «نَشَرَ الْمَلِكُ أَلْسَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ» مُريداً جواسيسه، والصَّواب: «نَشَرَ عِيُونَهُ»^(١)، وقوله [الطويل]:

سَأَطْلُبُ بُغْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرَبُوا وَتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمُدَا

حيث كُنِيَ بالجُمُودِ عن الشُّرُورِ، مع أَنَّ الْجُمُودَ يُكْنَى به عن الْبُخْلِ بِالدَّمُوعِ وَفَتْ الْبُكَاءِ^(٢).

٣- وفصاحة المتكلم: مَلَكَهْ يُقْتَدَرُ بها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أيِّ غَرَضٍ كان^(٣).

(١) الآن، التعقيد إما من جهة اللفظ، وإما من جهة المعنى، فإذا كان الكلام مُعَقَّداً فليس بفصيح، سواء كان التعقيد لفظياً - كالتقديم والتأخير - الذي يَضَعُ به فهم المعنى، أو معنوياً كأن يأتي بكلمات بعيدة عن المراد.

«نَشَرَ الْمَلِكُ أَلْسَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ»، لو أراد «أَلْسَتَهُ»: «خُطْبَاءَهُ»؛ لكان فصيحاً غير مُعَقَّداً، لكن يريد جواسيسه، [و] هذا غير صحيح بعيد المعنى، إذ أَنَّ الْجَوَاسِيسَ يُسَمَّوْنَ عِيُوناً؛ لأنَّ الْجَاسُوسَ ينظر في الملامح وفي الأشياء التي تُعَدُّ قَرَائِنَ، فالحمُّ أَنَّهُ إِذَا قَالَ: «نَشَرَ الْمَلِكُ أَلْسَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ» يريد الجواسيس؛ فهذا الكلام غير فصيح؛ لأنَّ فيه تعقيداً معنوياً، إذ أَنَّ الْأَلْسَنَةَ لَا يُعْبَرُ بها عن الجواسيس.

(٢) هذا البيت مُعَقَّداً تعقيداً معنوياً، «سَأَطْلُبُ بُغْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرَبُوا»؛ لَأَنَّهُ إِذَا أَبْعَدَ تَبَعُوهُ، فَهُوَ كُلَّمَا أَبْعَدَ قَرَّبُوا مِنْهُ، «وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمُدَا» وهذا غير صحيح؛ لَأَنَّهُ يريد «لِتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ»: لِأَسْرٍ، وهذا لا يتناسب مع قوله: «لِتَجْمُدَا». إِذَا سَبَقَ لَنَا فَصَاحَةُ الْكَلِمَةِ وَفَصَاحَةُ الْكَلَامِ، بَقِيَ فَصَاحَةُ الْمُتَكَلِّمِ.

(٣) فصاحة المتكلم نوعان:

١- غريزة: يَمُنُّ اللَّهُ بها على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فيجعلهُ فصيحاً قَوِيَّ الْكَلَامِ قَوِيَّ الْإِقْنَاعِ.

٢- ومُكْتَسَبَةٌ: وذلك بالتمرُّن على الْخُطَابَةِ، ولو أَنَّ تَخَرُّجَ إِلَى الْبَرِّ وَتَسْتَحْضِرَ =

والبلاغة في اللغة: الوصول والانتهاء. يقال: «بَلَغَ فلانٌ مراده»: إذا وَصَلَ إليه، و«بَلَغَ الرُّكْبُ المدينة»: إذا انتهى إليها.

وتقع في الاصطلاح وَصْفاً للكلام والمتكلم^(١).

= الأشجارَ حولك كأنهم رجالٌ ثم تَخْطُبُ فيهم، فإن شئتَ فقل: أيها الناس!، وإن شئتَ فقل: أيها الأشجار!، المهم أن تتعوّد على الخطابة.

فالفصاحة إذاً نوعان، فصاحةٌ غريزةٌ يَمُنُّ اللهُ بها على مَنْ يشاء من عباده، فتجد المتكلمَ طالبَ علمٍ صغيراً ومع ذلك يَخْطُبُ الخطبةَ البليغةَ العظيمةَ، وتجد بعضَ الناس عالمياً كبيراً وفقهياً زهيراً ومع ذلك لا يكاد يتكلم إلا كلاماً مُعَقَّداً ركيكاً، وأيضاً بعضُ الناس يكون فصيحاً في الكتابة غير فصيح في الخطابة، وقد حَكى لنا شيخنا(*) تلميذ شيخنا ابن سعدى رحمهما الله أن الشيخَ مُحَمَّدَ رشيد رضا صاحبَ القلم السَّيَّالِ المعروف؛ كان إذا تكلَّم لا يتناسب كلامه مع كتابته، بل كلامه ضعيفٌ جدّاً، وإن شئتَ أن نعرِفَ ذلك فانظُرْ إلى كلام ابن الجوزي الواعظ المشهور، وإلى كلام ابن تيمية؛ تجد بينهما فرقاً من حيث التأثير، لا من حيث القوة المعنوية والاستدلال والأدلة، لا، لكن من حيث التأثير ابن الجوزي يَهْزُ عشرات الآلاف في خطبته، ورُبُّما يموت بعضُ الناس من شدّة تأثيره، وابن تيمية لا يبلغ هذا المبلغ.

وقول المؤلف: «في أيّ عَرَضٍ كان» هذه نقطة مهمّة؛ لأن بعضَ الناس يكون فصيحاً في عَرَضٍ من الأغراض [أو غير فصيح في عَرَضٍ من الأغراض، تجده مثلاً إذا تكلَّم في باب الأصول يكون فصيحاً جيّداً، أو إذا تكلَّم في فقه يكون رديئاً، والعكس.

والمهم أن نعرِفَ أن فصاحةَ المتكلم هو قدرته على التعبير عمّا في ضميره بكلام فصيح، وعَرَفْتُمُ الكلامَ الفصيحَ أنّه يكون فصيحاً في نفسه وفصيحاً في كلماته، يعني: اشتمَلَ على فصاحة الكلمة وفصاحة التركيب.

(١) هنا سَقَطَ شيءٌ من الفصاحة، وهو فصاحة الكلمة؛ لأنّ البلاغة لا تكون إلا في كلام =

(*) يظهر - والله أعلم - أنّه الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٣٨٣هـ)، فقد كان الشيخ ابن عثيمين ممّن قرؤوا ابتداءً على كبار طلبة الشيخ السعدي قبل أن يقرأ عليه، ويؤيد ذلك قوله في مقابلةٍ إذاعيّةٍ معه: «كنتُ من نصيب الذين يقرؤون على الشيخ المطوع»، انظر: «الدر الثمين في ترجمة فقيه الأئمة العلامة ابن عثيمين» (ص ٢٧).

١- فبلاغة الكلام: مطابقته لمقتضى الحال^(١)، مع فصاحته^(٢).

والحال- ويُسمى بالمقام-: هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يُوردَ عبارته على صورةٍ مخصوصةٍ.

والمُقتضى- ويُسمى الاعتبار المناسب - : هو الصورة المخصوصة التي تُوردُ عليها العبارة، مثلاً: المدحُ حالٌ يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حالٌ يدعو لإيرادها^(٣) على صورة الإيجاز، فكلٌّ من المدح والذكاء حالٌ، وكلٌّ من الإطناب والإيجاز مُقتضى، وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقٌ للمُقتضى^{(٤)(٥)}.

= مُركَّب بخلاف الفصاحة، لذلك أسقط هنا فصاحة الكلمة^(*)، ولكن مع ذلك لا بد أن يكون الكلام البليغ فصيحاً، فالفصاحة ملازمة لنا في كل شيء، إذا فقدت الفصاحة فقدت البلاغة، وإن فقدت البلاغة فقدت الفصاحة وقد لا تُفقد^(**).
وبلاغة تكون وصفاً للكلام والمتكلم [لا للكلمة]؛ لأن الكلام إنما يكون في الجمل المركبة لا في المفردات.

(١) «مطابقته لمقتضى الحال» هذه مهمة جداً، وهي من الحكمة، لو رأيت إنساناً غضباناً مُتكدراً تعباناً؛ هل تُورد عليه من الكلام ما يزيد غمّاً وهماً؟ لا، لا يمكن، هذه ليست بلاغة، إنما تخاطبه بما تقتضيه حاله.

(٢) وهو لا يكون فصيحاً إلا بفصاحة كلماته.

(٣) «إيرادها»: أي: إيراد العبارة.

(٤) «للمقتضى»: أي: لمقتضى الحال.

(٥) الإنسان الذكي هل يحتاج أن تُردّد عليه الكلام وتطوّل له الكلام؟ لا؛ لأنه ذكي، لو تُردّد عليه أنتقدك، وفي حال المدح طوّل العبارة، أكثر من المدح، ولذلك نجد أن النبي ﷺ حين يسأل الله يسأل بإطناب وتطويل: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، علانيته =

(*) وإنما لم توصف الكلمة بالبلاغة؛ لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه.

(**) قال ابن الأثير: «كل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغاً».

٢- وبلاغة المتكلم: مَلَكَه يُقْتَدِرُ بها على التعبير عن المقصود بكلامٍ بليغ، في أيِّ غَرَضٍ كان.

ويُعرَفُ التناوُفُ: بالذُّوقِ، ومخالفةُ القياسِ: بالصَّرْفِ، وضَعْفُ التأليفِ والتعقيدُ اللَّفْظِيُّ: بالنَّحْوِ، والغرابَةُ: بكثرةِ الاطِّلاعِ على كلامِ العربِ، والتعقيدُ المعنويُّ: بالبيانِ، والأحوالُ ومقتضياتها: بالمعاني.

فَوَجَبَ على طالبِ البلاغةِ معرفةُ اللُّغةِ والصَّرْفِ والنحوِ والمعاني والبيانِ، مع كَوْنِهِ سليمَ الذُّوقِ، كثيرَ الاطِّلاعِ على كلامِ العربِ^(١).

* * *

= وِسْرَه، وأَوَّلَه وآخِرَه^(*)، «اللهم اغفر لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَزْتُ وما أَخَلَّضْتُ، وما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي»^(**)، كل هذه إطناب؛ لأنَّ المقامَ يقتضيه، إذ أَنْتَ تُخَاطَبُ مَنْ؟ تُخَاطَبُ أَحَبَّ مَنْ تُخَاطَبُهُ، وهو اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

في دعاء الميِّت: «اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهديننا وغائبينا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكركنا وأُنثانا»^(***)، مع أَنَّهُ يُغْنِي عن كل هذا: «لحينا وميتنا»؛ لأنَّ كُلَّ هَؤُلَاءِ إمَّا أَحْيَاءُ وإمَّا أَمْوَاتٌ، فلكلِّ مقامٍ مقالٌ، لو قُلْتَ لِدُكِّي: «قُمْ قُمْ قُمْ»؛ فسيقول: أنا بليد تُرَدُّدُ عَلَيَّ كلمة «قُمْ»؟!، أنا لو أريد أن أقوم قُمْتُ، لكن لا سَمْعاً ولا طاعةً.

(١) نحن لو أردنا أن نأخذ بكلام المؤلف هذا كان من الآن رَجَعْنَا، إذا كان علمُ البلاغةِ [يَتَطَلَّبُ] كُلَّ هذا: اللُّغة والصَّرْف والنحو والمعاني والبيان وَكَوْنَ الإنسانِ مِنَّا سليمَ الذُّوقِ كثيرَ الاطِّلاعِ على كلامِ العرب؛ معناه أن نقول: من الآن رَجَعْنَا ولا داعي للبلاغة، لكنني أقول لكم: هذا غير صحيح أبداً، وستعلمون ذلك - إن شاء الله - من دراسة هذا الفن، هذا الفنُ الإنسانُ بذوقه يشناق إليه، وتجدد نَشِيطاً دائماً في قراءته، وسيَبِينُ إن شاء الله.

(*) رواه مسلم (٤/رقم: ٢١٦).

(**) رواه البخاري (٩٧/٢٤)، ومسلم (٤٨/رقم: ٧٠) واللفظ له.

(***) رواه أحمد في مسنده (٣٦٨/٢)، وأبو داود (١٥/٦٠)، والترمذي (٣٨/٨)، والنسائي (٧٧/٢١)،

وابن ماجه (٢٣/٦)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (رقم: ١٦٧٥).

عِلْمُ الْمُعَانِي

عِلْمُ الْمَعَانِي

هو عِلْمٌ يُعَرَفُ به أحوالُ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي يُطَابِقُ بِهَا مُقْتَضَى الْحَالِ، فَتَخْتَلِفُ صُورُ الْكَلَامِ لِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ، مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فَإِنَّ مَا قَبْلَ «أَمْ» صُورَةٌ مِنْ صُورِ الْكَلَامِ تُخَالِفُ صُورَةً مَا بَعْدَهَا؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَى فِيهَا فِعْلٌ الْإِرَادَةُ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ، وَالثَّانِيَةُ فِيهَا فِعْلٌ الْإِرَادَةُ مَبْنِيٌّ لِلْمَعْلُومِ، وَالْحَالُ الدَّاعِي لِذَلِكَ نِسْبَةُ الْخَيْرِ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الثَّانِيَةِ، وَمَنْعُ نِسْبَةِ الشَّرِّ إِلَيْهِ فِي الْأَوَّلَى^(١).

وَيَنْحَصِرُ الْكَلَامُ هُنَا عَلَى هَذَا الْعِلْمِ فِي سِتَّةِ أَبْوَابٍ.

* * *

(١) هَذَا مِنَ الْبَلَاغَةِ، ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ هَذَا يَقُولُهُ الْجَنُّ، وَلَمْ يَقُولُوا: «أَشَرُّ أَرَادَ اللَّهُ بَمَنَ فِي الْأَرْضِ»، مَعَ أَنَّ الْإِرَادَةَ إِرَادَةُ اللَّهِ، لَكِنْ تَحَاشِيًا لِإِضَافَةِ الْإِرَادَةِ^(*) إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالُوا: ﴿أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ﴾، فَبَنَوْا الْفِعْلَ يَقُولُ الْمُؤَلَّفُ: «لِلْمَجْهُولِ» وَنَحْنُ نَقُولُ: «لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ» كَمَا عَبَّرَ ذَلِكَ ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْأَلْفِيَّةِ وَكَمَا هُوَ وَاضِحٌ، فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَقَ الْإِنْسَانُ صَوِيْفًا﴾ [النساء: ٢٨] الْخَالِيقُ الْمَعْلُومُ، لَكِنْ بُنِيَ الْفِعْلُ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

﴿أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُطَابِقَةٌ لِمُقْتَضَى الْحَالِ؛ لِأَنَّ مُقْتَضَى الْحَالِ إِلَّا تَضْيِيفَ الشَّرِّ إِلَى اللَّهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»^(**)، أَمَّا الْخَيْرُ فَيُضَافُ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ خَيْرٌ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وَلَمْ يَقُولُوا: «أَمْ أَرَادَ اللَّهُ؛ لِأَنَّ الرَّبَّ» أَخْصَصُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِ الرَّبِّ مِنَ الْإِلَهِ.

(*) أي: إرادة الشر.

(**) رواه مسلم (٦/٢٠١).

الباب الأول
الخبر والإنشاء

الخبر والإنشاء

كلُّ كلامٍ فهو إمَّا خَبَرٌ أو إنْشاءٌ^(١).

والخَبَرُ: ما يَصِحُّ أن يُقالَ لقائِلِه: إنَّه صادقٌ فيه أو كاذِبٌ، كـ «سافرَ مُحَمَّدٌ» و«عليٌّ مُقيمٌ»^(٢).

والإنشاءُ: ما لا يَصِحُّ أن يُقالَ لقائِلِه ذلك، كـ «سافرَ يا مُحَمَّدٌ»، و«أقمْ يا عليٌّ»^(٣).

(١) صحيح، لا يَخْرُجُ عن هذا، ليس هناك كلامٌ ليس خبراً ولا إنشاءً، بل كلُّ كلامٍ في الدنيا - عريباً كان أو أعجمياً - فإنَّه إمَّا خبرٌ وإمَّا إنشاءٌ.

(٢) وهنا «أو كاذِبٌ» للتنويع، ليس معناه: «أنَّ كلَّ خبرٍ يَصِحُّ أن نقول: إنَّه صادقٌ أو كاذِبٌ»، بل إمَّا أن يُوصَفَ بأنَّه صادقٌ أو يُوصَفَ بأنَّه كاذِبٌ.

أخبارُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ورسوله لا يمكن أن تُوصَفَ بأنَّها كاذِبةٌ، وأخبارُ مُسَيَّلِمَةَ الكَذَابِ وأشباهه لا يمكن أن تُوصَفَ بالصدق، لكن هذا ليس بالنظر إلى الجملة مثلاً، بل بالنظر إلى المتكلم، فامتناعُ الصدقِ في كلامِ مُسَيَّلِمَةَ وأشباهه فيما يدَّعيه من النبوة لا لأنَّ الكلامَ لا يَصِحُّ أن يُوصَفَ بالصدق، لأنَّه لو قاله الرسولُ مُحَمَّدٌ ﷺ لُوصِفَ بالصدق، لكن باعتبار أنَّ هذا المتكلمَ به كاذِبٌ، وخبرُ اللَّهِ ورسوله لا يمكن أن يُوصَفَ بالكذب؛ لأنَّه خبرُ اللَّهِ ورسوله.

واحد قال لك: «سافرَ مُحَمَّدٌ»، [هل] يَصِحُّ أن نقول: «صدقت»، إذا سافرَ صَدَقَ، وقال الثاني: «عليٌّ مُقيمٌ» [هل] يَصِحُّ أن نقول: «إنَّه كاذِبٌ أو صادقٌ»، يَصِحُّ، إن كان مقيماً حقاً فهو صادق، وإن كان غيرَ مقيمٍ فهو كاذِبٌ.

(٣) لو قال لك إنسانٌ - وأنت اسمك مُحَمَّدٌ - «سافرَ يا مُحَمَّدٌ» [فهل] يصلح أن نقول: «صدقت»، [وهل] يصلح أن نقول: «كذبت»، لا، بل نقول: «أبشِرْ»، أو نقول: «لا»، كذلك «أقمْ يا عليٌّ» نفس الشيء.

والمراد بصِدْقِ الخبر: مطابقته للواقع، ويكذِّبه: عدمُ مطابقته له.

فَجُمْلَةٌ «عَلِيٌّ مُقِيمٌ» إِنْ كَانَتْ التَّسْبِيَةُ الْمَفْهُومَةُ مِنْهَا مُطَابِقَةً لِمَا فِي الْخَارِجِ^(١) فَصِدْقٌ، وَإِلَّا فَكَذِبٌ.

ولكلِّ جملةٍ رُكْنَانِ: محكومٌ عليه، ومحكومٌ به.

- وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ: مُسْتَدًّا إِلَيْهِ، كَالْفَاعِلِ وَنَائِبِهِ، وَالْمَبْتَدِئِ الَّذِي لَهُ خَبَرٌ.

- وَيُسَمَّى الثَّانِي: مُسْتَدًّا، كَالْفِعْلِ، وَالْمَبْتَدِئِ الْمَكْتَفِي بِمَرْفُوعِهِ^(٢).

* * *

(١) المراد «بالخارج»: الواقع، مطابقة لما في الواقع.

(٢) هذه أيضاً من القواعد، كل جملة لها ركنان:

١- محكومٌ عليه.

٢- ومحكومٌ به.

وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ: مُسْتَدًّا إِلَيْهِ، وَالثَّانِي: مُسْتَدًّا.

نَضْرِبُ مَثَلًا: «قَامَ زَيْدٌ» هذه جملة فيها محكومٌ به ومحكومٌ عليه:

- المحكومٌ به: قام.

- والمحكومٌ عليه: زيد.

يُسَمَّى الْأَوَّلُ: مُسْتَدًّا «المحكوم به»، وَيُسَمَّى الثَّانِي: مُسْتَدًّا إِلَيْهِ [المحكوم عليه]،

ولهذا تقول في «قَامَ زَيْدٌ»: قام: مُسْتَدٌّ إِلَى زَيْدٍ، وتقول: أَسْنَدْتُ الْقِيَامَ إِلَى زَيْدٍ، إِذَا كُلَّ

جملة من خبرية أو إنشائية لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ رَكْنَيْنِ.

مَثَلٌ بَعْدَهُ أَمْثَلَةٌ:

- كَالْفَاعِلِ وَنَائِبِهِ: مُسْتَدٌّ إِلَيْهِ.

- الْمَبْتَدِئِ الَّذِي لَهُ خَبَرٌ: مُسْتَدٌّ إِلَيْهِ، «زَيْدٌ قَائِمٌ»: زَيْدٌ: مُسْتَدٌّ إِلَيْهِ، قَائِمٌ: خَبَرُ [مُسْتَدٍّ].

- الْفِعْلُ، وَاضِحٌ: «قَامَ زَيْدٌ».

= - المبتدأ المكثفي بمرفوعه، مثل: «أقائم زيد»: قائم: مبتدأ، وزيد: فاعل أغنى عن الخبر (●).

(*) مواضع المُسند والمُسند إليه:

١- المُسند: خبر المبتدأ، الفعل التام، اسم الفعل، أخبار النواسخ، المفعول الثاني له «ظن» وأخواتها، المفعول الثالث له «أزى» وأخواتها، المصدر النائب عن فعل الأمر: «سغياً في الخير»، المبتدأ المكثفي بمرفوعه عن الخبر: «أقادم أنت».

٢- المُسند إليه: المبتدأ، الفاعل ونائبه، أسماء النواسخ، المفعول الأول له «ظن» وأخواتها، المفعول الثاني له «أزى» وأخواتها.

وما زاد على هذه المواضع يُسمى «قيداً» سوى صلة الموصول والمضاف إليه، والقيود هي: أدوات الشرط، وأدوات النفي، والمفاعيل، والحال، والتمييز، والتوابع، والنواسخ.

الكلام على الخبر

الخبر إمّا أن يكون جملة فعلية أو اسمية.

فالأولى: موضوعة لإفادَةِ الحُدُوثِ في زَمَنٍ مخصوصٍ مع الاختصار، وقد تُفيدُ الاستمرارَ التَّجْدِييَّ بالقرائنِ إذا كان الفعلُ مُضارِعاً، كقول طريف [الكامل]:

أَوْكُلَمَا وَرَدَتْ عُكَاظُ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

والثانية: موضوعة لِمُجَرَّدِ ثُبُوتِ المُسْنَدِ لِلْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، نحو: «الشَّمْسُ مَضِيئَةٌ»، وقد تُفيدُ الاستمرارَ بالقرائنِ إذا لم يَكُنْ في خبرِها فِعْلٌ، نحو: «العِلْمُ نَافِعٌ»^(١).

(١) الآن أفادنا المؤلف أنّ الخبر إمّا أن يكون جملة فعلية أو اسمية:

- الفعلية يُراد بها ثبوت مدلولها في زَمَنٍ مُعَيَّن.

- والاسمية يُراد بها ثبوت مدلولها على وجه الاستمرار.

ولهذا قالوا: «الجملة الفعلية تفيد الحدث، والجملة الاسمية تفيد الاستمرار»، وهذا أيضاً من البلاغة، كُلُّمَا وَجَدْتَ جملة اسمية فهي للاستمرار، وكُلُّمَا وَجَدْتَ جملة فعلية فهي للحدث لا تقتضي الاستمرار، لكنها مع ذلك قد تقتضي بالقرائن، ومنها: إذا كان الفعل مضارعاً، فإنّ المضارع يُفيد الاستمرار غالباً، مثل: «كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة بـ «سَبَّحْ» و«الغاشية»»^(*).

(*) روى مسلم في صحيحه (٧/رقم: ٦٢) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ بِـ «سَبَّحْ أَشْرَكَ رَبَّكَ الْأَكْبَلُ» وَ«هَلْ أَتَاكَ حَوِيْتُ الْقَنَازِ»».

[الغرض من إلقاء الخبر]

والأصل في الخبر أن يُلقَى لإفادة المخاطب الحكم الذي تَضَمَّنَتْهُ الجملة، كما في قولنا: «حَضَرَ الأمير»، أو لإفادة أن المتكلم عالم به، نحو: «أنت حَضَرْتَ أمس»، ويُسمى الحكم: فائدة الخبر، وكَوْن المتكلم عالماً به: لازم الفائدة^(١).

* * *

(١) الأصل في الخبر أن يُلقَى لإفادة المخاطب ما دلَّ عليه، كقولك: «حَضَرَ الأمير»، فإنَّ قولك «حَضَرَ الأمير» يُراد به إفادة المخاطب بحضور الأمير، هذا هو الأصل. وقد يُلقَى لإفادة أن المتكلم عالم به، نحو أن تقول للمخاطب: «لقد حَضَرْتَ أمس»، يُسمى الأول: فائدة الخبر، ويُسمى الثاني: لازم الفائدة^(*)، وهذا شيء مُصْطَلَح عليه عندهم، ولكن هذا مضمون الكلام.

(*) وهذان الغرضان قد يُضَمُّهُمَا المتكلم أغراضاً أخرى نفهم من السياق والقرائن، ومن أهم تلك الأغراض:

- ١- الاسترحام والاستعطاف: «إني فقيرٌ إلى عفو ربِّي».
- ٢- إظهار الضعف: «إني وَهَنَ أَكْظَمُ مِنِّي» [مریم: ٤].
- ٣- إظهار التحسر: لقد ضَيَّعْتُ العلم.
- ٤- رفع الهمة: كقول النبي ﷺ: «الجنة أقربُ إلى أحدكم من شراك نعلِه» رواه البخاري (٨١: ٢٩).
- ٥- الفخر [الوافر]: أنا ابنُ جَلَّا وطلائع الثنايا متى أضحى الإمامة تعرفوني.
- ٦- المدح: أقبلَ الفارسُ الشجاع.
- ٧- التحذير: «إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [المائدة: ٢].
- ٨- التوبيخ: كقولك لمخطئ: لا أحد يفعل مثلاً فعلت.

أَضْرِبُ الْخَبَرَ

حيثُ كانَ قَصْدُ الْمُخْبِرِ بَخْبِرِهِ إِفَادَةَ الْمُخَاطَبِ؛ يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ؛ حَدَرًا مِنَ اللَّغْوِ.

- فَإِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ خَالِي الذَّهْنِ مِنَ الْحُكْمِ أَلْقَى إِلَيْهِ الْخَبَرَ مُجَرَّدًا عَنِ التَّأَكِيدِ، نَحْوُ: «أَخُوكَ قَادِمٌ».

- وَإِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِيهِ طَالِبًا لِمَعْرِفَتِهِ حَسَنَ تَوْكِيدِهِ(*)، نَحْوُ: «إِنَّ أَخَاكَ قَادِمٌ».

- وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا لَهُ وَجَبَ تَوْكِيدُهُ بِمُؤَكِّدٍ أَوْ مُؤَكِّدَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، حَسَبَ دَرَجَةِ الْإِنْكَارِ، نَحْوُ: «إِنَّ أَخَاكَ قَادِمٌ»، أَوْ «إِنَّهُ لَقَادِمٌ»، أَوْ «وَاللَّهِ إِنَّهُ لَقَادِمٌ».

فَالْخَبَرُ بِالنِّسْبَةِ لِخُلُوهٍ مِنَ التَّوَكِيدِ وَاشْتِمَالِهِ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ أَضْرِبُ كَمَا رَأَيْتُ(**)، وَيُسَمَّى الضَّرْبُ:

(*) الْمَرَادُ هُنَا تَوْكِيدُ الْحُكْمِ، لَا تَوْكِيدُ أَحَدِ طَرَفَيْ الْإِسْنَادِ.

(**) هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي إِقَاءِ الْخَبَرِ لِهَوَاءِ الثَّلَاثَةِ: خَالِي الذَّهْنِ، وَالْمُتَرَدِّدِ، وَالْمُنْكَرِ.

وَأحياناً يُورَدُ الْمُتَكَلِّمُ التَّوَكِيدُ فِي خُطَابِ خَالِي الذَّهْنِ وَلَا يُورَدُ مَعَ الْمُتَرَدِّدِ أَوْ الْمُنْكَرِ، فَيَعْدِلُ عَنْ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ وَيُورَدُ الْكَلَامُ عَلَى خِلَافِهِ؛ لِمَا يَرَى مِنْ حَالِ الْمُخَاطَبِ، وَذَلِكَ عَلَى النُّحُو الْأَتَمِّ:

١- تَنْزِيلُ خَالِي الذَّهْنِ مَنْزِلَةَ الْمُتَرَدِّدِ، إِذَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ مَا يُشِيرُ إِلَى حُكْمِ الْخَبَرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الْآيِنِ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (هود: ٣٧)، لَمَّا نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مُخَاطَبَتِهِ فِي شَأْنِ الظَّالِمِينَ؛ أَصْبَحَ مُتَطَلِّعًا إِلَى مَعْرِفَةِ مَصِيرِهِمْ، فَتُرِلَ مَنْزِلَةُ السَّائِلِ الْمُتَرَدِّدِ فَجَاءَ الْخَبَرُ مُؤَكَّدًا: ﴿إِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

٢- تَنْزِيلُ غَيْرِ الْمُنْكَرِ مَنْزِلَةَ الْمُنْكَرِ؛ لظُهُورِ أُمَارَاتِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ لَا يُصَلِّي: «إِنَّ الصَّلَاةَ لَوَاجِبَةٌ»، فَهُوَ لَا يَنْكَرُ وَجُوبَ الصَّلَاةِ، وَلَكِنْ لظُهُورِ أُمَارَاتِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ حَسَنَ إِقَاءِ الْخَبَرِ إِلَيْهِ مُؤَكَّدًا.

٣- تَنْزِيلُ الْمُنْكَرِ مَنْزِلَةَ غَيْرِ الْمُنْكَرِ، إِنْ كَانَ لَدَيْهِ دَلَالٌ وَشَوَاهِدٌ لَوْ تَأَمَّلَهَا لَارْتَدَّ عَنْ إِنْكَارِهِ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ يَجْحَدُ فَضْلَ الْعِلْمِ: «الْعِلْمُ نَافِعٌ»، فَإِنَّهُ لَوْ تَأَمَّلَ مَكَانَةَ الْعِلْمِ لَارْتَدَّ عَنْ إِنْكَارِهِ.

- الأول: ابتدائياً.

- والثاني: طلبياً.

- والثالث: إنكارياً^(١).

ويكون التوكيد بـ(*) «أَنَّ»، و«إِنَّ»، ولام الابتداء، وأخرف التنبيه، والقسم، ونون التوكيد، والحروف الزائدة(**)، والتكرير، و«قد»،

(١) الأصل أن يُلْقَى الخبر خالياً من التوكيد؛ لأن التوكيد زيادة في المبنى، والزيادة التي لا فائدة منها تركها فائدة.

- فإذا كنتَ تُخَاطِب رجلاً خاليَ الذهن فالأحسن ألا تُؤكِّد، بل تقول: «أخوك قادم»، لماذا؟ لأنه خالي الذهن، ولا حاجة أن تُؤكِّد.

- وإن كان متردداً حسن أن تُؤكِّده ليزول عنه التردد، كإنسانٍ شك في مفاد الخبر فتؤكِّده له.

- وإن كان منكراً يقول: «هذا لم يكن» فإنه يجب أن تُؤكِّده، إما بمؤكِّد أو مُؤكِّدين أو ثلاثة، حسب قوة الإنكار، إن منكراً إنكاراً عظيماً بمؤكِّدين أو ثلاثة، بل ولو زاد على ذلك حتى يُقَرَّ، وأيضاً إذا رأيته منكراً أكثر اضرب له الأمثال التي تُبين إمكان صدق الخبر.

- «إِنَّ أَخَاكَ قَادِمٌ» لَمَنْ أنكر ولكن ليس إنكاراً شديداً.

- «إِنَّ أَخَاكَ لَقَادِمٌ» لَمَنْ أنكر إنكاراً متوسطاً.

- «وَاللَّهِ إِنَّ أَخَاكَ لَقَادِمٌ» لَمَنْ أنكر إنكاراً شديداً.

هذا هو الأصل، وسيأتيك ما يُخالف الأصل إن شاء الله تعالى.

(*) ومِمَّا يُسْتَعْمَل للتوكيد:

١- كون الجملة اسمية، فالجملة الاسمية أكَّد من الجملة الفعلية.

٢- ضمير الفصل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الحج: ٦].

(**) «مِنْ» والياء حرفا جرٍّ أصليان، وقد يُسْتَعْمَلان زائدين لتوكيد الحكم في مثل قوله تعالى:

١- ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ طَرَفٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

٢- ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

و«أَمَّا» الشَّرْطِيَّةُ^(١).

(١) هذه أدوات التوكيد:

١- «إِنَّ» و«أَنَّ»، سواءً كانتا مُحَقَّقَتَيْنِ أو مُقَلَّتَيْنِ، فقوله تعالى: ﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَفْتَنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] هذه مؤكدة بمؤكدَيْنِ: إِنَّ واللام.

٢- لام الابتداء، مثل أن تقول: «لَزَيْدٌ قائمٌ»، اللام هنا ليست للقسَم ولكنّها للابتداء، وتفيد التوكيد.

٣- وأحرف التنبيه، مثل: «يا» «لا»: ﴿لَا أَقِيمُ﴾ [القيامة: ١].
٤- والقسَم.

٥- ونونا التوكيد، يعني: المُحَقَّقَةُ والمُثَقَّلَةُ، قال الله تعالى: ﴿لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنْ الصَّغِيرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، الأولى: مُثَقَّلَةٌ، والثانية: مُحَقَّقَةٌ.

٦- والحروف الزائدة، الحروف الزائدة لا يَصِحُّ أن تقول: إنها زائدة بمعنى أنها لَغَوٌ لا فائدة منها، بل تقول: هي زائدة من حيث التركيب لكنّها في المعنى مفيدة للتوكيد، فتَصِحُّ أن تقول: «هي زائدة زائدة»، ما هذا؟! نعم، الأولى: لازمة، والثانية: مُتَعَدِّية؛ لأنَّ «زاد» و«نقص» تُستعملان مُتَعَدِّيتَيْنِ ولازِمَتَيْنِ، تقول: «نَقَصَ المالُ» هذه لازمة، وقال الله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَنْفُصْكُمْ مَتَيًّا﴾ [التوبة: ٤] هذه مُتَعَدِّية. إذاً تقول: الحروف الزائدة زائدة.

٧- والتكرير، مثل أن تقول: «فَمَنْ قُمْ»، أو أن تقول: «جاء زيدٌ جاء زيدٌ»، هذا يُسَمَّى توكيداً لفظياً، قال ابن مالك:

وما مِنَ التَّوَكِيدِ لَفْظِيٍّ يَجِيءُ مُكَرَّرًا كَقَوْلِكَ: أَنْزِجِي أَنْزِجِي

ومنه على قول بعض العلماء: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كِئَابٍ مُخِيطٍ﴾ [ق: ٢٤]، فإنَّ بعض المفسرين يقول: معنى ﴿أَلَيْسَ﴾: أَلَيْسَ أَلَيْسَ؛ لأنَّ المخاطَبَ واحدٌ، والثنائية للفاعل ثنائية للفعل، هكذا قيل، وقيل: إِنَّ ﴿أَلَيْسَ﴾ خطابٌ للمَلَكَيْنِ جميعاً.

٨- و«قد»، إذا قلت: «قَدِيمٌ زيدٌ» هذا غير مؤكد، «قد قَدِيمٌ» هذا مؤكد.

٩- و«أَمَّا» الشَّرْطِيَّةُ، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا آلِيتَمَ فَلَا نَقَهَرٌ ۖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا نَنْهَرُ﴾ [الضحى: ٩-١٠].

الكلام على الإنشاء

الإنشاء^(١) إمَّا طَلَبِيٍّ أَوْ غَيْرُ طَلَبِيٍّ.

- فالطَّلَبِيُّ: مَا يَسْتَدْعِي مَطْلُوباً غَيْرَ حَاصِلٍ وَقْتَ الطَّلَبِ^(*).

- وَغَيْرُ الطَّلَبِيِّ: مَا لَيْسَ كَذَلِكَ.

والأَوَّلُ^(٢) يَكُونُ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ: الْأَمْرَ، وَالنَّهْيَ، وَالِاسْتِفْهَامَ، وَالتَّوَمُّنِي،
والتَّنَادَا.

* * *

(١) الإنشاء ضد الخبر.

(٢) الإنشاء الطَّلَبِيُّ.

(*) أي: لا يتحقق مرادُّ طالِبِهِ إِلَّا بَعْدَ التَّلَفُّظِ بِهِ، وَهَذَا لَا يَحْصُلُ إِلَّا بَعْدَ وَقْتِ الطَّلَبِ.

[١- الأمر]

أَمَّا الْأَمْرُ : فهو طَلَبُ الفعلِ على وجه الاستعلاء^(١)، وله أربع صيغ:

١- فعلُ الأمرِ، نحو: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

٢- والمضارعُ المقرونُ باللام، نحو: ﴿لِنَفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِي﴾ [الطلاق: ٧].

٣- واسمُ فعلِ الأمرِ، نحو: «حَيَّ على الفلاح».

٤- والمَصْدَرُ النَّائِبُ عن فعلِ الأمرِ، نحو: «سَعْيًا في الخير»^(٢).

(١) هنا يَحْسُنُ أن يقال: «هو طَلَبُ الفعلِ على وجه الاستعلاء بصيغة مخصوصة»، ثم نقول الصيغة، فخرَجَ:

- بقولنا: «طَلَبَ»: ما ليس بطَلَب.

- وبقولنا: «بَطَلَبُ الفعل»: طَلَبُ التَّزَكُّ.

- وبقولنا: «على وجه الاستعلاء»: الالتماسُ والدعاء وما كان على غير وجه الاستعلاء، فهذا طَلَبٌ لا على وجه الاستعلاء، فلا يكون أمراً^(*).

(٢) الآن صار أربع صيغ للأمر:

١- فعل الأمر، مثل: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.

٢- المضارع المقرون بلام الأمر، مثل: ﴿لِنَفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِي﴾.

(*) الأمر والنهي يدلان بحسب حال المتكلم والمخاطب على واحد من أربعة أمور، وهذا على النحو الآتي:

١- من الأعلى إلى الأدنى: استعلاء حقيقي.

٢- من المخلوق إلى الخالق: دعاء.

٣- من المخلوق إلى مخلوق أعلى منه: رجاء.

٤- من المخلوق إلى مخلوق يساويه: التماس.

وقد تَخْرُجُ صِبْغُ الأمرِ عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أُخَرِ، تُفْهَمُ من سياق الكلام وقرائن الأحوال:

١- كالدُّعاء، نحو: ﴿أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾^(١) [النمل: ١٩].

٢- والالتماس، كقولك لِمَنْ يُساويك: «أعطني الكتاب»^(٢).

٣- والتَّمَنِّي، نحو [الطويل]:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ بَصُحٍ، وما الإصباحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ^(٣)

٤- والتهديد، نحو: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٤) [فُصِّلَتْ: ٤٠].

= ٣- اسم فعل الأمر: وهو ما دلَّ على الطَّلَبِ على معنى الأمر دون حروفه، يعني: ما يدلُّ على الأمر لكن لا يقبل علامة الأمر، كلُّ ما دلَّ على الأمر ولم يقبل علامته فهو اسمُ فعلٍ أمرٍ، إذا «حَيَّ على الفلاح» بمعنى: أَقْبِلْ على الفلاح، لو أنك أردت أن تُدْخِلَ علاماتِ الأمرِ على «حَيَّ» ما قَبِلْتَ.

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: «سَغِيًّا إِلَى الْخَيْرِ» بمعنى: اسْعَ إِلَى الْخَيْرِ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضْرَبِ الرِّقَابِ﴾ [مُحَمَّد: ٤] يعني: فَأَضْرِبُوا رِقَابَهُمْ.

(١) الْخِطَابُ لِمَنْ ﴿أَوْزِعْنِي﴾؟ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هذا ليس أمراً؛ لأنك لا يمكن أن تأمر ربَّكَ عَزَّ وَجَلَّ، فهو طَلَبٌ لا على وجه الاستعلاء، ومعنى ﴿أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ﴾ أي: أَلْهَمْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ.

(٢) هذا ليس أمراً؛ لأنَّ الذي يُساويك لا تأمره، وهو لو يَفْهَمُ أَنَّكَ تأمره لقال: «لا، ما لك عَلَيَّ أَمْرٌ»، لكن إذا كان التماساً - يعني: بتلطُّفٍ وَتَحَنُّنٍ - فإنه يعطيك.

(٣) يُقال التمني في خطاب مَنْ لا يَعْقِلُ، الشاهد في قوله: «انْجَلِ»، ولا يمكن أن يقول لليل - وهو لا يَعْقِلُ -: انْجَلِ.

(٤) معلوم أنَّ اللَّهَ تعالى لا يقول للناس: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(*)، بل ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ للتهديد، =

(*) أي: ليس هذا على وجه الإباحة.

٥- والتعجيز، نحو [المديد]:

يَا لَبْكَرٍ أَنْشِرُوا لِي كُتَيْبًا يَا لَبْكَرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ؟^(١)

٦- والتشوية، نحو: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾^(٢) [الطور: ١٦].

* * *

= يعني يَهْدِدُ البشرَ، والدليل على ذلك قوله تعالى [بعدها]: ﴿إِنَّكُمْ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فسوف يَعْلَمُ بكم ويُحَاسِبُكم.

(١) «أَنْشِرُوا لِي كُتَيْبًا» يعني: أَخِيُوهُ، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، لا، ما يَسْتَطِيعُونَ، فهذا تعجيزٌ وَتَحَدٌّ، ومثل قوله تعالى في الصُّيْغَةِ الثَّانِيَةِ: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، ومثل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ سَأَلُوا فَاسْتَعِيزُوا فَيَسْتَعِيزُوا بِسُلْطَانٍ ثَمِينٍ﴾ [الطور: ٣٨]، والأمثلة كثيرة.

(٢) الدليل على التشوية قوله [بعدها]: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ

[٢- النهي]

وأما التَّهْنِي: فهو طَلَبُ الكَفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة: وهي المضارع مع «لا» الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(١) [الأعراف: ٥٦].

وقد تَخْرُجُ صيغته عن معناها الأصلي إلى معانٍ أُخَر، تُفهم من المقام والسياق:

١- كالدعاء، نحو: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِكَ الْأَعْدَاءَ﴾^(٢) [الأعراف: ١٥٠].

(١) التَّهْنِي: طَلَبُ الكَفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء بصيغة واحدة، ما له إلا صيغة واحدة، وهي «لا» الناهية، ولهذا «اجْتَنِبْ» «اتْرُكْ» «دَعْ» «تَجَنَّبْ» هذه ليست نهيًا مع أنها طَلَبُ للكف عن الفعل؛ لأن التَّهْنِي له صيغة واحدة مُعَيَّنَةٌ وهي المضارع المقرون بـ «لا» الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، والأمثلة كثيرة.

(٢) قوله: «كالدعاء، نحو: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِكَ الْأَعْدَاءَ﴾»!!!، لا يَحْسُنُ المثالُ بهذا^(*)، هذه نَعَمْ لو وُجِّهَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لكان صحيحًا؛ لأنه جاء في الحديث التَّعَوُّذُ من شِمَانَةِ الأعداء^(**)، فلو وُجِّهَتْ لِلَّهِ كانت دعاء، ولكن إذا وُجِّهَتْ للمخلوق الذي هو أعلى منك - وإن كانوا يتساهلون يقولون: دعاء - فلا ينبغي، بل ينبغي أن يقال: إنه تَرْجُ =

(*) لأن الخطاب - هنا - من هارون إلى موسى عليهما السلام، كما دل عليه سياق الآية: ﴿قَالَ أَيْنَ أَنَا وَإِنَّ الْقَوْمَ لَمُتَعَمِّقُونَ وَكَأَدُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِكَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوَرِ الْفَظْلِيِّينَ﴾^(١)، فهو تَرْجُ وليس دعاء. ومِمَّا يدعو إلى الأسى أن مُحَقِّقًا لهذا المتن (طبعة دار إيلاف) أتى بثلاثة الأثافي في تعليقه على هذه الآية - ولينته لم يُعَلِّقْ -، فَبَدَّلَ أن يَبَيِّنَ خطأ المؤلفين علَّقَ بقوله: «(٧) هنا هي (لا) الناهية، ولكنها تسمى (لا) الدعائية؛ تأدبًا مع المدعو، وهو الله عز وجل»!!! (ص ٣٦)، ولا أقول هذا تَبَعًا لِلزُّلَّاتِ؛ ولكن لِأَلْفِتِ نَظَرَ القارئ العزيز إلى أمرين:

١- أنه حينما وُجِدَ مثلُ هذا الوهم وَجِبَ على قارئه التنبيه عليه؛ لأن الأمر متعلِّقٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢- دِقَّةُ الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ وسرعة استدراكه لمثل هذا الوهم الخَفِيِّ.

(**) روى البخاري (١٣/٨٢) ومسلم (٤٨/رقم: ٥٣) في صحيحيهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشِمَانَةِ الْأَعْدَاءِ»، واللفظ للبخاري.

٢- والالتماس: كقولك لَمَنْ يُساويك: «لا تَبْرَحْ مِنْ مَكَانِكَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ».

٣- والتَّمَنِّي، نحو: (لا تَطْلُعْ) في قوله [مجزوء الرَّجَز]:

يا لَيْلُ طُلْ، يا نَوْمُ زُلْ يا صُبْحُ قِفْ، لا تَطْلُعْ

٤- والتهديد، كقولك لخدامِكَ: «لا تُطِيعْ [غَيْرِي]»^(١).

= أو نحو ذلك، لكن إذا وُجِّهَتْ إِلَيْهِ مِثْلُ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ هذا دعاء، يعني يَحْسُنُ أَنْ تُمَثَّلَ بِذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾. (١) ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران: ١٩٦]، هذا تهديد ليس للرسول ﷺ، تهديد لهؤلاء الذين يتقلبون في البلاد، ولهذا قال [بعدها]: ﴿مَتَنَعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٧].

(*) في الاصل: «لا تُطِيعْ أَمْرِي»!!

[٣- الاستفهام]

وأما الاستفهام: فهو طَلَبُ الْعِلْمِ بشيءٍ^(١)، وأدواته: الهمزة، و«هل»، و«ما»، و«مَنْ»، و«مَتَى»، و«أَيَّانَ»، و«كَيْفَ»، و«أَيْنَ»، و«أَتَى»، و«كَمْ»، و«أَيُّ»^(٢).

١- فالهمزة لِطَلَبِ التَّصَوُّرِ أو التَّصَدِيقِ:

والتَّصَوُّرُ: هو إدراكُ الْمُفْرَدِ، كقولك: «أَعْلِيَّ مسافرٌ أم خالدٌ؟ تَعْتَقِدُ أَنَّ السَّفَرَ حَصَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَكِنْ تَطْلُبُ تَعْيِينَهُ، وَلِذَا يُجَابُ بِالتَّعْيِينِ، فَيُقَالُ: «عَلِيٌّ» مثلاً.

(١) الاستفهام أصله: طَلَبُ الْفَهْمِ، أو: طَلَبُ الْإِفْهَامِ، أي: الإعلام بالشيء، فإذا قلت: «هل قام زيد؟» فالمعنى: أَعْلِمْنِي هل قام زيد، فهو طَلَبُ الإعلام بالشيء، وهذا التفسير أدقُّ من تفسير المؤلف [الذي هو]: «طَلَبُ الْعِلْمِ»؛ لِأَنَّ مَنْ يُطَالِعُ الْكِتَابَ لِيَتَعَلَّمَ يَقَالَ: إِنَّهُ طَالِبُ عِلْمٍ، وَلَا يَقَالُ: مُسْتَفْهِمٌ، فَالْأَحْسَنُ أَنْ يَقَالَ: الاستفهام: طَلَبُ الإعلام بالشيء.

(٢) هذه الأدوات تأتي استفهاميةً وغير استفهاميةً، لكن هي من أدوات الاستفهام:

١- الهمزة -وهي الأصل - : أَقَانِمَ زَيْدٌ؟

٢- هل : هل قام زيدٌ؟

٣- ما : ما هذا؟

٤- مَنْ : مَنْ الْقَائِمُ؟

٥- أَيَّانَ : أَيَّانَ تَقُومُ؟

٦- كَيْفَ : كَيْفَ جَاءَ زَيْدٌ؟

٧- أَيْنَ : أَيْنَ تَنْزِلُ؟

٨- أَتَى : «أَتَى لَمْ الذَّكَرَيْنِ» [الدُّخَانُ : ١٣].

٩- كَمْ : كَمْ مَالُكَ؟

١٠- أَيُّ : أَيُّ الرَّجُلَيْنِ قَائِمٌ؟

والتصديق: هو إدراك النسبة، نحو: «أسافر علي»؟ تستفهم عن حصول السفر وعدمه، ولذا يُجاب بـ «نعم» أو «لا»^(١).

والمسؤول عنه في التصور: ما يلي الهمزة، ويكون له مُعَادِلٌ يُذَكَّرُ بعد «أم»، وتُسمى: مُتَّصِلَةً، فتقول في الاستفهام:

- عن المُسَدِّدِ إليه: «أأنتَ فَعَلْتَ هذا أم يوسف»؟

- وعن المُسَدِّدِ: «أراغب أنت عن الأمر أم راغب فيه»؟^(٢)

(١) هذه المسألة مُهِمَّة: التصور أو التصديق، التصور: تصوُّر الشيء، والتصديق: الحُكْمُ عليه، فالتصديق بمعنى الحُكْم، والتصور إدراك الشيء، فمُجَرَّدُ الإدراك تصوُّر، والحُكْمُ على الشيء تصديق.

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يقول: «إدراك المفرد، كقولك: أعلي مسافر أم خالد؟»، الآن هل أنت شاك في السفر أو في المسافر؟ في المسافر، الحُكْم - وهو السفر - معلومٌ عندك، لكن من المسافر؟ إذا كنت تَطْلُبُ تعيينَ المسافرِ وأنت عارف أن السفرَ حاصلٌ فهذا يُقال: إنه استفهام تصوُّر، يعني لمعرفة من الفاعل، فيُجاب بالتعيين، فيُقال: إما علي وإما خالد.

والتصديق: إدراك النسبة، يعني: الحُكْم، تستفهم عن الحُكْم، يعني عن نسبة الشيء إلى الشيء، فأنت تعلم أنه لا يوجد في الساحة إلا علي، لكن لا تدري أسافر أم هو مقيم، فتقول: «أسافر علي؟»، الشك الآن أو الجهل بالسفر هل حصل أم لا، أمَّا المسافر فإنه معلوم أنه لن يسافر إلا فلان، مثلاً تقول: «أقَدِم الأمير؟» هذا تصديق؛ لأنك تطلب هل قديم أم لم يقدِّم، ولهذا يكون الجواب بـ «نعم» أو «لا» بخلاف الأول، الأول: الجواب بالتعيين، والثاني: الجواب بالنفي أو الإثبات.

(٢) المسؤول عنه في التصور: ما يلي الهمزة، والتصور المطلوب فيه التعيين، المسؤول عنه يلي الهمزة وله مُعَادِلٌ، فتقول: «أأنتَ فَعَلْتَ هذا أم يوسف؟» الجواب: «يوسف» أو «أنت»، ولهذا يُذَكَّرُ ما يُعَادِلُها، وتُسمى هذه مُتَّصِلَةً، أمَّا إذا كان عن المُسَدِّدِ فأنت =

- وعن المفعول: «أَيَّاي تَقْصِدُ أُم خالداً؟»

- وعن الحال: «أَرَاكِباً جِئْتُ أُم مَاشِيّاً؟»

- وعن الظرف: «أَيُّوَمَ الخَمِيسِ قَدِمْتُ أُم يَوْمَ الجُمُعَةِ؟»، وهكذا.

وقد لا يُذَكِّرُ المُعَادِلُ، نحو: «أَنتِ فَعَلْتَ هذا؟»، «أَرَاغِبُ أَنْتِ عن الأمر؟»، «أَيَّاي تَقْصِدُ؟»، «أَرَاكِباً جِئْتُ؟»، «أَيُّوَمَ الخَمِيسِ قَدِمْتُ؟»^(١).

والمسؤول عنه في التصديق: النسبة، ولا يكون لها مُعَادِلٌ، فإن جاءت «أُم» بعدها قُدِّرَتْ مُنْقَطِعَةً وتكون بمعنى «بَلَّ»^(٢).

= تَذَكُّرُ الحُكْمِ، الذي يلي الهمزة هو الحُكْمُ، تقول: «أَمَسَافِرُ أَنْتِ أُم مُقِيمٌ؟»، وتقول «أَرَاغِبُ أَنْتِ عن الأمر أُم رَاغِبٌ فِيهِ؟»، بينهما فَرْقٌ، «أَرَاغِبُ أَنْتِ عَنْهُ أُم فِيهِ» [ما الفرق؟]

الطالب: أَرَاغِبُ فِيهِ: تَطَلُّبُهُ، أَرَاغِبُ عَنْهُ: زَاهِدٌ عَنْهُ.
الشيخ: أَيْ: تَتْرَكَهُ.

(١) الآن قد لا يُذَكِّرُ المُعَادِلُ، لكنْ حَذَفَهُ مشروطٌ بأن يكون مفهوماً، مثلاً إذا قلت: «أَرَاكِباً جِئْتُ» ما ضِدُّهُ؟ «أُم مَاشِيّاً».

على كُلِّ حالٍ يَشْتَرِطُ لِحَذْفِ المُعَادِلِ أَنْ يكون معلوماً، فإن كان غيرَ معلومٍ فَإِنَّهُ لا يجوز حَذْفُهُ، وقد أشار ابنُ مالكٍ إلى هذه القاعدة في قوله:

وَحَذَفَ مَا يُغْلَمُ جَائِزٌ ...

(٢) المسؤول عنه في التصديق: النسبة، يعني: الحُكْمُ، ولا يُذَكِّرُ معها مُعَادِلٌ، فإن دُكِّرَ مُعَادِلٌ فَإِنَّهَا تكون مُنْقَطِعَةً تقديراً وتكون بمعنى «بَلَّ»، وهذا كثير في القرآن مثل قوله تعالى: «أَمَ عِنْدَهُمُ الْقَبْ بَعْمٌ يَكْتُمُونَ» [الطور: ٤١]، «أَمَ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ» [الطور: ٣٩]، الأمثلة في هذا كثيرة.

٢- و«هل» لِطَلَبِ التصديقِ فقط، نحو: «هل جاء صديقك؟» والجواب: «نعم» أو «لا»، ولذا يمتنع معها ذِكْرُ المعادلِ، فلا يقال: «هل جاء صديقك أم عدوك؟»^(١).

و«هل» تُسمَّى:

- بسيطة: إِنْ اسْتَفْهَمَ بها عن وجودِ شيءٍ في نفسه، نحو: «هل العنقاء موجودة؟»

- ومركبة: إِنْ اسْتَفْهَمَ بها عن وجودِ شيءٍ لشيءٍ، نحو: «هل تبيضُ العنقاء وتقرخ؟»^(٢).

٣- و«ما» يُطلبُ بها:

- شَرْحُ الاسمِ، نحو: «ما العسجدُ أو اللجين؟»

- أو حقيقة المُسمَّى، نحو: «ما الإنسان؟»

- أو حالُ المذكورِ معها، كقولك لقادمٍ عليك: «ما أنت؟»^(٣).

(١) ماذا يقال إذا كنت تريد أن تستفهم هل جاء عدوه أو صديقه؟ يُؤتى بالهمزة، فتقول: «أجاء صديقك أم عدوك؟»

(٢) إذا كان المقصود الاستفهام بها عن وجود الشيء فهذه تُسمَّى: بسيطة؛ لأنها استفهام عن شيءٍ مُعَيَّن، أمّا إذا استفهم عن صفةٍ في شيءٍ فإنها تُسمَّى: مركبة، مثل: «هل تبيضُ العنقاء وتقرخ؟».

حسنًا، لو قلت: «هل اصفرَّ النخلُ أو اخمر؟» بسيطة أو مركبة؟ مركبة، «هل الثمرة موجودة؟» بسيطة.

(٣) يُطلبُ بها:

٤- و«مَنْ» يُطْلَبُ بها تعيينُ الْعُقْلَاءِ، كقولك: «مَنْ فَتَحَ مِصْرَ؟»^(١).

٥- و«مَتَى» يُطْلَبُ بها تعيينُ الزمانِ، ماضياً كان أو مُستقبلاً، نحو: «متى جئت؟»، و«متى تذهب؟».

٦- و«أَيَّانَ» يُطْلَبُ بها تعيينُ الزمانِ المُستقبلِ خاصَّةً، وتكون في موضع التَّهْوِيلِ، كقوله تعالى: ﴿يَنْتَظِرُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ٦].

٧- و«كَيْفَ» يُطْلَبُ بها تعيينُ الحالِ، نحو: «كيف أنت؟».

٨- و«أَيْنَ» يُطْلَبُ بها تعيينُ المكانِ، نحو: «أين تذهب؟».

٩- و«أَنَّى» تكون بمعنى «كيف»، نحو: ﴿أَنَّى يُعْطَى هَذَا اللَّهُ بِمَدِّ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وبمعنى «من أين»، نحو: ﴿يَقَرِّبُ أَفْنَى لَكَ هَذَا﴾^(٢) [آل عمران: ٣٧]، وبمعنى «متى»، نحو: «أَنَّى تكون زيادةُ النَّيلِ؟».

= - شَرَحَ الاسم: نحو: «ما الْعَسْجَدُ؟» الجواب: الذَّهَبُ، «ما اللَّجَيْنُ؟»: الْفِضَّةُ.
- حَقِيقَةُ الْمُسَمَّى: «ما الْإِنْسَانُ؟» حيوانٌ ناطِقٌ، هذه حقيقة الإنسان؛ و«حيوان» تَشْمَلُ كلَّ ما في الحياة مِنَ الْبَهَائِمِ وَالْإِنْسَانِ، «ناطق»: تُخْرِجُ الْبَهَائِمَ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ نَاطِقَةٍ، وَالْمَرَادُ غَيْرُ نَاطِقَةٍ نَطَقًا مَفْهُومًا، وَإِلَّا فَهِيَ نَاطِقَةٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿عَلَّمْنَا نَطْقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦].

- أو حالُ المذكور معها: كقولك لقادم عليك: «ما أنت؟»، ماذا يكون الجواب؟ «صديق»، لا تقل: «فلان؟»؛ فلان للتعين، إذا أراد أن يعرف اسمه يقول: «مَنْ أنت؟»، لكن إذا قال: «ما أنت؟» يَسْتَفْهِمُ عن حاله لا عن عينه، يَسْتَفْهِمُ عن حاله هل هو صديق هل هو عدو، ماذا يقول إذا قال: «ما أنت؟»، يقول: «صديق»، إذا كان بينه وبينه نَسَبٌ يقول: «قريب»، إذا أراد أن يُحَدِّدَ النَّسَبَ يقول: «ابن عمك»، وما أشبه ذلك.

(١) الجواب: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ.

(٢) ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾ يعني: من أين لك؟

١٠- «كَمْ» يُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينُ عَدَدٍ مِنْهُمْ: ﴿كَمْ لَيْسَتْ﴾ [الكهف: ١٩].

١١- «أَيُّ» يُطْلَبُ بِهَا تَمْيِيزُ أَحَدِ الْمُتَشَارِكِينَ فِي أَمْرٍ يَعْمُهُمَا، نَحْوُ: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]، وَيُسْأَلُ بِهَا عَنِ الزَّمَانِ، وَالْمَكَانِ، وَالْحَالِ، وَالْعَدَدِ، وَالْعَاقِلِ وَغَيْرِهِ، حَسَبَ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ^(١).

وقد تَخْرُجُ أَلْفَاظُ الاسْتِفْهَامِ عَنْ مَعْنَاهَا الْأَصْلِيَّةِ لِمَعَانٍ أُخْرَى، تُفْهَمُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ:

١- كَالنَّسْوِيَةِ، نَحْوُ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾^(٢) [البقرة: ٦].

٢- وَالتَّنْفِي، نَحْوُ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٣) [الرحمن: ٦٠].

٣- وَالْإِنْكَارَ، نَحْوُ: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾^(٤) [الأنعام: ٤٠]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٥) [الزمر: ٣٦].

(١) فتقول للزمان: «أَيُّ يَوْمٍ تَسَافِرُ؟»، وتقول في المكان: «أَيُّ بَيْتٍ تَسْكُنُ؟»، وتقول في الحال: «أَيُّ حَالٍ تَأْتِي إِلَيَّ فِيهَا؟»، والعدد: «أَيُّ عَدَدٍ تَمْلِكُهُ مِنَ الْإِبِلِ؟»، والعَاقِلِ وغيره، حَسَبَ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ.

(٢) قال التَّخْوِيُّونَ الَّذِينَ يُعْرَبُونَ: إِنَّ «ءَأَنْذَرْتَهُمْ» اسْتِفْهَامٌ، لَكِنَّهُ يُسَبَّكُ وَمَا بَعْدَهُ بِمَصْدَرٍ، مَعَ أَنَّ الْهَمْزَةَ لَيْسَتْ حَرْفًا مُصْدَرِيًّا، لَكِنْ هَذَا التَّرْكِيبُ يُسَبَّكُ مَا بَعْدَ الْهَمْزَةِ بِمَصْدَرٍ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: «إِنْذَارُكَ وَعَدَمُهُ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ»، وَعَلَى هَذَا فَتَكُونُ «سَوَاءٌ» خَبْرًا مُقَدِّمًا، وَ«ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ» مَسْبُوكَةٌ بِمَصْدَرٍ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ.

(٣) والدليل على أَنَّ الاسْتِفْهَامَ لِلتَّنْفِي هُنَا أَنَّهُ أَتَتْ «إِلَّا».

(٤) هَذَا لِلْإِنْكَارِ، وَلَكِنَّهُ إِنْكَارٌ بِمَعْنَى التَّوْبِيخِ.

(٥) أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ فَيُفْهِمُ التَّمَثِيلَ بِهِ نَظَرًا؛ لِأَنَّ هَذَا الاسْتِفْهَامَ لِلتَّقْرِيرِ، يَعْنِي: إِنَّ اللَّهَ كَافٍ عَبْدَهُ، لَكِنْ وَجْهُ كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ أَنَّ إِنْكَارَ النَّفْيِ إِقْرَارٌ، إِذَا أَتَتْكَزَتْ =

٤- والأمر، نحو: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾^(١) [المائدة: ٩١]، ونحو: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ؟﴾^(٢) [آل عمران: ٢٠]، أي: انتهوا وأسلموا.

٥ - والنهي، نحو: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَلَهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ؟﴾^(٣) [التوبة: ١٣].

٦ - والتشويق، نحو: ﴿هَلْ أَذْكَؤُا عَلَى تَحْرِيفِ تَنْجِيكَ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ؟﴾^(٤) [الصف: ١٠].

= النفي فهو إقرار، يعني المؤلف كأنه يقول: الهمزة هنا دخلت على النفي فهي لإنكار النفي، وإنكار النفي إقرار، هذا وجه كلام المؤلف، لكن غيره من المفسرين يقولون: الاستفهام هنا للتقرير، مثل قوله: ﴿أَلَمْ تَنْزَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

(١) جاءت ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ في تحريم الخمر والميسر والأنصاب، فإن الله تعالى قال: ﴿يُحَرِّمُ مِنَ عَمَلِ الشَّيْطَانِ مَا جَعَلَهُ﴾ إلى قوله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ؟﴾ أي: فبعد هذا التقرير هل أنتم مُنْهَوْنَ أو لستم بمُنْهَوِّين؟ قال الصحابة: «انتهينا انتهينا»^(*)، المؤلف رحمه الله يرى أن الاستفهام هنا بمعنى الأمر، أي: فأنتهوا.

(٢) ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ؟﴾ يقول المؤلف: «إنها بمعنى: أسلموا»، ولكن في هذا نظر، بل المعنى: أسلمتم بعد هذا البيان أم لم تسلموا؟، أما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوجِبُ إِلَيْكَ الْإِسْلَامَ إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] فهذه هي التي يصلح أن تقول: «إنها» بمعنى: «فأسلموا».

(٣) يعني: «لا تخشوهم»، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسَ وَآخِشُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

(٤) ومثل ذلك أيضاً: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَلَسِيَّةِ؟﴾ [الغاشية: ١]، مع أن هذه الثانية يُحْتَمَلُ أن تكون للتعظيم، يعني: أنه حديث عظيم.

(*) لَمَّا نَزَلَ قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ؟﴾ دُعِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَرَأَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ دَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شَفَاءً، فَقَالَ: «انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا»، رواه أبو داود (١/٢٠)، والترمذي (٦/٤٨)، والنسائي (١/٥٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤١٦/٢).

٧- والتعظيم، نحو: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١)
[البقرة: ٢٥٥].

٨- والتحقير، نحو: «أهذا الذي مَدَحْتَهُ كثيراً؟»^(٢).

* * *

(١) التعظيم هنا تعظيمُ المشفوعِ إليه، نَعَمْ، تعظيمُ اللهِ عزَّ وجلَّ، أنه لعظمته لا أحد يستطيع أن يَشْفَعَ إلا بإذنِ اللهِ.

(٢) ومنه قوله تعالى عن المشركين: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، يعني: يَسُبُّهَا وَيَعْبُهَا، يعني كأنهم يقولون: هو أحقر من أن يَسُبَّ آلِهَتُهُمْ وَيَعْبُهَا.

[٤ - التَّمَنِّي]

وَأَمَّا التَّمَنِّي: فهو طَلَبُ شَيْءٍ محبوبٍ لا يُزَجَى حصولُهُ لِكَوْنِهِ مُسْتَحِيلًا أو بَعِيدَ الْوُقُوعِ، كقوله [الوافر]:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ^(١)
وقول المفسر: «ليت لي ألف دينار»^(٢).

وإذا كان الأمرُ مُتَوَقَّعَ الحصولِ فَإِنَّ تَرْقُبَهُ يُسَمَّى تَرْجِيًا، وَيُعْبَرُ عَنْهُ بِـ «عسى» و«لعل»، نحو: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٣) [الطلاق: ١].

وللتَّمَنِّي أربعُ أدواتٍ:

- واحدةٌ أصليَّةٌ وهي: «ليت».

- وثلاثٌ غيرُ أصليَّةٍ وهي:

(١) يعني في الدنيا لا يمكن أن يعود الشباب، لكن لو فُرِضَ أَنَّ الإنسانَ فَقَدَ قُوَّتَهُ - لضعفٍ لا لِكِبَرٍ سِنَّ - هل يمكن أن تعود القوَّة؟ نعم يمكن، بالشفاء من هذا المرض يمكن أن تعود.
(٢) [هل] هذا مستحيل؟ بعيد الوقوع، لكن قد يقع، رُبَّمَا يموت للمفسر ابن عمِّ عنده ملايين الدنانير، ولا يَرْتَهُ إلا هذا الفقير، بين عَشِيَّةٍ وضحاها يكون عنده ملايين، أليس كذلك؟، إذاً ليس بمستحيل أن يَرْزُقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الفقيرَ أَلْفَ دينارٍ بين عَشِيَّةٍ وضحاها، لكنه بعيد.

(٣) إذا الفَرْقُ بين التَّرجِي والتَّمَنِّي أنَّ:

- التَّرجِي فيما يُتَرَقَّبُ حصولُهُ.

- والتَّمَنِّي عَكْسُ ذَلِكَ، فيما لا يُتَرَقَّبُ وقوعُهُ، إمَّا لكونه مستحيلًا وإمَّا لكونه بعيدَ الْمَنَالِ.

١ - «هَلْ»، نحو: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾^(١) [الأعراف: ٥٣].

٢ - «لَوْ»، نحو: ﴿قُلْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) [الشعراء: ١٠٢].

٣ - «لَعَلَّ»، نحو قوله [الطويل]:

أَسِرْبَ الْقَطَا! هل مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ^(٣)

ولاستعمال هذه الأدوات في التمني يُنصَّبُ المضارعُ الواقعُ في جوابها^(٤).

* * *

(١) «هل» هنا للتمني، يعني: يَتَمَنَّى أَنْ يكون لهم شفعاء فيشفعوا لهم عند الله.

(٢) يعني: يَتَمَنَّى أَنْ يكون لهم رجعة إلى الدنيا ليكونوا من المؤمنين.

(٣) هذا إنسان مشتاق إلى أهله أو إلى معشوقته - الله أعلم - مرَّ به سِرْبٌ من القطا، فقال يُخَاطِبُ القطا:

أَسِرْبَ الْقَطَا! هل مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ

هذا تَمَنٍّ؛ لأنه يَسْتَحِيلُ أَنْ تَنْزِلَ قَطَاةٌ تقول: «خُذْ جَنَاحِي طِرْ بِهِ»، لا يمكن هذا.

(٤) كلُّ مضارعٍ يقع جواباً للتمني أو الترجي فإنه يكون منصوباً.

[٥ - النداء]

وأما النداء: فهو طَلَبُ الإقبال بحرفٍ نائبٍ مَنْابٍ «أذْعو».

وأدواته ثمان: «يا»، والهمزة، و«أي»، و«آ»، و«آي»، و«أيا»، و«هيا» و«وا»^(١)، فالهمزة و«أي» للقريب، وغيرهما للبعيد.

وقد يُنْزَلُ البعيدُ مَنزِلَةَ القريبِ، فينادى بالهمزة و«أي» إشارةً إلى أنه لِشِدَّةِ استحضاره في ذهنِ المتكلمِ صارَ كالحاضرِ معه، كقولِ الشاعرِ [الطويل]:

أَسْكَنْ نَعْمَانِ الْأَرَاكِ! تَبَيَّنُوا بَأْنَكُمْ فِي رَبْعِ قَلْبِي سَكَّانُ^(٢)

وقد يُنْزَلُ القريبُ مَنزِلَةَ البعيدِ، فينادى بأحدِ الحروفِ الموضوعَةِ له إشارةً إلى أن المُنَادَى عَظِيمُ الشَّانِ، رَفِيعُ المَرْتَبَةِ، حتى كأنَّ بُعْدَ درجته في العِظَمِ عن درجةِ المتكلمِ بُعْدٌ في المسافةِ، كقولك: «أيا مَوْلَايَ!» وأنت معه، أو إشارةً إلى انحطاطِ درجته، كقولك: «أيا هذا!» لَمَنْ هو معك، أو إشارةً إلى أَنَّ السامعَ غَافِلٌ لِنَحْوِ نومٍ أو دُهُولٍ كأنه غيرُ حَاضِرٍ في المجلسِ، كقولك للساهي: «أيا فلان!»^(٣).



(١) لو قال المؤلف: «النداء: طَلَبُ الإقبال بـ «يا» أو إحدى أخواتها» لكان أوضح. أدواته ثمان، لكنَّ «وا» تأتي في التذبة، يعني: يندُب الإنسان ميتاً أو ما أشبه ذلك، يأتي به «وا»، ثم فصل المؤلف.

(٢) هنا يخاطب أناساً بعيدين: «أَسْكَنْ نَعْمَانِ الْأَرَاكِ»، لكنَّه لِشِدَّةِ استحضاره إيَّاهم ناداهم مُنَادَى القريبِ.

(٣) قد يُنْزَلُ القريبُ مَنزِلَةَ البعيدِ لأسبابٍ، إمَّا:

١- لِعُلُوِّ المَرْتَبَةِ.

[الإنشاء غير الطلبي]

وغيرُ الطلبي يكون بالتعجب، والقسم، وصيغ العقود كـ «بُعْثْ» و«اشترَيْتْ»، ويكون بغير ذلك.

وأنواع الإنشاء غير الطلبي ليست من مباحث علم المعاني؛ فلذا صَرَبْنَا صَفْحاً عنها^(١).

* * *

٢ - أو لِدُنُو المرتبة.

٣ - أو لِغَفْلَتِهِ .

٤ - أو لِإِلَاحَتِهِ، أو ما أشبه ذلك.

ولهذا إِذَا فَهَمْتُ رَجُلًا مسألةً من المسائل وَعَجَزَ أَلَّا يَفْهَمَ تقول: «يا رجل! هذا هو المقصود، يا رجل! افْهَمْ»، وهو عندك، لا تقل «أَرْجُلُ» لا، [بل] تقول: «يا رَجُلُ»؛ لأنَّه لِإِلَاحَتِهِ صار كأنَّه بعيدٌ.

وقد يُنْزَلُ القريبُ مَنَزَلَةَ البعيد، أو البعيدُ مَنَزَلَةَ القريب؛ وذلك حَسَبَ السياق.

(١) الإنشاء غير الطلبي يكون:

- بالتعجب، مثل: «ما أحسنَ زيداً»، ومثل قوله تعالى: «أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ» [مريم: ٣٨].

- بالقسم؛ لأنَّ القَسَمَ إنشاءٌ: «واللهِ لأفعلنَّ»، هذا إنشاءٌ قَسَمٍ، ليس خبراً عن قَسَمٍ، بل هو إنشاءٌ قَسَمٍ.

- وصيغ العقود كـ «بُعْثْ» «طَلَّقْتُ» «وَقَفْتُ» «رَمَيْتُ»، هذه ليست أخباراً، هذه إنشاءٌ؛ لأنَّها عَقْدٌ من الآن، لكنَّها في الواقع إخبارٌ عما في نفس العاقد، فإذا قلت: «طَلَّقْتُ زوجتي» هل تَطْلُقُ؟ إن كان خبراً عن الماضي نَظَرْنَا هل طَلَّقَ أو ما طَلَّقَ، وإن كان إنشاءً للطلاق الآن طَلَّقْتُ.

كذلك لو قلت: «بُعْثْ بيتي عليك»، إذا كان إنشاءً عقداً من الآن فليس خبراً، بل هو إنشاءٌ، ماذا يقول الثاني؟ «قَبِلْتُ»، إذا كان خبراً- يعني: بُعِثَ أمس- ماذا يقول الثاني؟ «صَدَقْتُ» أو «كَذَبْتُ»، الأول يكون إنشاءً وعقداً إذا قَبِلَ المخاطبُ تَمَّ البيعُ، والثاني يكون خبراً إن كان قد وقع أمس بيعٌ فهو بيعٌ وإلا فلا.

الباب الثاني
في
الذِّكْرِ وَالْحَذْفِ

الذكر والحذف

إذا أريد إفادة السامع حكماً فأي لفظ يدل على معنى فيه فالأصل ذكره، وأي لفظ علم من الكلام لدلالة باقيه عليه فالأصل حذفه، وإذا تعارض هذان الأصلان فلا يعدل عن مقتضى أحدهما إلى مقتضى الآخر إلا لداع^(١).

فمن دواعي الذكر:

١- زيادة التقرير والإيضاح، نحو: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) [البقرة: ٥].

٢- والتسجيل على السامع حتى لا يتأنى له الإنكار، كما إذا قال الحاكم لشاهد: «هل أقرّ زيد هذا بأن عليه كذا؟» فيقول الشاهد: «نعم، زيد هذا أقرّ بأن عليه كذا»^(٣).

(١) الأصل فيما يراد إفهامه: الذكر؛ لأن المحذوف الأصل فيه عدم العلم فالأصل الذكر^(*)، وإذا كان ذكر الشيء لا فائدة منه فالأصل الحذف ولا يذكر إلا لفائدة، يعني: إذا كان معلوماً من السياق فالأصل حذفه ولا يذكر إلا لفائدة؛ وذلك لأن ذكره مع العلم به تطويل بلا فائدة، إذا تعارض هذا وهذا فإن الأصل ذكر ما يحتاج إلى ذكر، وحذف ما يحتاج إلى حذف.

(٢) الشاهد قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، لو قال: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ كفى؛ لأن كل من كان على هدى من ربه فهو مفلح، لكن ختمها بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(٣) لا يحتاج إلى «زيد» هذا إلا من أجل أن يسجل على السامع حتى لا يتكرّر ويقول: «إني أردت زيدا غير هذا».

(*) لاتعماد القرينة الدالة عليه عند حذفه.

وَمِنْ دَوَاعِي الْحَذَفِ:

١- إخفاء الأمر عن غير المُخَاطَبِ، نحو: «أَقْبَلْ»، تريد «عَلَيَّ» مثلاً^(١).

٢- وَضِيقُ الْمَقَامِ:

أ - إِمَّا لِنَوْجُعٍ، نحو [الخفيف]:

قال لي: «كيف أنت؟» قُلْتُ: «عَلِيلٌ سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ»^(٢)

ب - وَإِمَّا لِحُفُوفِ فَوَاتٍ فَرْصَةٍ، نحو قول الصَّيَّادِ: «غَزَالٌ!!»^(٣).

٣- والتعميمُ باختصارٍ، نحو: «وَاللَّهِ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ» [يونس: ٢٥].

(١) صحيح، من دواعي الحذف هو ما ذَكَرَهُ: إخفاء الأمر، تقول: «أَقْبَلْ»، تقول: «سَرَقَ» ولا تذكر السارق، تقول: «سَرَقَ المتاع» ولا تذكر السارق.

(٢) هذا سُئِلَ: «كيف أنت؟» قال: «عليل مريض»، فسره بقوله: «سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ»، اللَّهُمَّ أعِزَّنَا مِنْ ذَلِكَ.

المحذوف: «قُلْتُ: أنا عليل، حالي سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ»، فحذف المبتدأ في كلتا الجملتين:

- الأول التقدير: «أنا عليل»، لكن قال «عليل» لأجل أن يُبَادِرَ الْمُتَكَلِّمَ بِذِكْرِ الْحَالِ.

- وأيضاً «سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ» هذا مثله، والتقدير: «حالي سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ»، فحذفها حتى يُبَيِّنَ سَبَبَ عِلَّتِهِ مِنْ أَوَّلٍ وَهَلَكَةٍ.

(٣) الصَّيَّادُ يريد أن يصيد، فيقال له: «غزال غزال!!»، لا يقال: «انظر إلى الغزال يمشي على يمينك أو على يسارك»، لو كان يتكلم هذا الكلام نفوثة الفرصة، أو مثلاً الصَّيَّادُ يريد أن يصيد والسلاح عنده، فيأتي مُسْرِعاً ويقول: «غزال غزال!!» لا يقول: «رأيت غزالاً يمكن أن أرميه فأوثقه»، ما يحتاج، المُهِمُّ إذا خاف فوات الفرصة فإنه يُحذف، «غزال» تقديرها: هذا غزال.

أي: جميع عبادِه؛ لأنَّ حَذَفَ المعمولِ يُؤْذَنُ بالعموم^(١).

٤- وتنزيلُ الْمُتَعَدِّي مَنَزَلَةَ اللَّازِمِ (*) لعدم تعلُّقِ الغَرَضِ بالمعمولِ، نحو: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَكْمُلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَكْمُلُونَ﴾^(٢) [الزمر: ٩].

ويُعَدُّ مِنَ الحذفِ إسنادُ الفعلِ إلى نائبِ الفاعلِ، فيقال: حَذَفَ الفاعِلُ للَخَوْفِ منه أو عليه، أو للِعِلْمِ به، أو للجهلِ، نحو: «سَرِقَ المتاعُ»، ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾^(٣) [النساء: ٢٨].

* * *

(١) ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى كَارِ السَّلَافِ﴾ مَنْ يدعُو؟ جميعُ العِبَادِ، ولهذا في الهداية قال: ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، الدعوة عامة، والهداية خاصة.

(٢) الْمُتَعَدِّي: ﴿يَكْمُلُونَ﴾ و﴿يَكْمُلُونَ﴾: هل يستوي الذين يَعْلَمُونَ الْعِلْمَ أو يَعْلَمُونَ الشَّيْءَ والذين لا يَعْلَمُونَهُ، حَذَفَ لعدم تعلُّقِ الغَرَضِ بالمعمولِ؛ لأنَّ الغَرَضَ هو الْعِلْمُ إثباتاً أو نفيًا.

(٣) «سَرِقَ المتاعُ» للخوفِ منه أو عليه؟ يحتملُ أَنَّهُ أخفاه:

- للخوفِ عليه أَنَّهُ تَأْخُذُهُ لِلصَّدَقَاتِ وتُعْزَرُهُ.

- للخوفِ منه لو أَعْلَمَ بالسارقِ، خَشِيَ مِنَ السَّارِقِ، هذا الخوفُ منه.

- للجهلِ إذا كان لا يدري.

- أَمَّا ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾ فَلِلْعِلْمِ بِهِ؛ لَأَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ.

(*) وذلك بعدمِ ذِكْرِ المعمولِ.

الباب الثالث
في
التقديم والتأخير

التقديم والتأخير

من المعلوم أنه لا يمكن النطق بأجزاء الكلام دفعة واحدة، بل لا بد من تقديم بعض الأجزاء وتأخير البعض، وليس شيء منها في نفسه أولى بالتقدم من الآخر؛ لأشراك جميع الألفاظ - من حيث هي ألفاظ - في درجة الاعتبار، فلا بد لتقديم هذا على ذاك من داع يوجب^(١)، فمن الدواعي:

١- التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعراً بغرابة، نحو [الخفيف]:

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ خَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ^(٢)

٢- وتعجيل المسرة أو المساءة، نحو: «العفو عنك صدَرَ به الأمر»، أو: «القصاص حَكَمَ به القاضي»^(٣).

(١) التقديم والتأخير - من حيث الكلمات - ليست هذه الكلمة بأولى بالتقديم من هذه الكلمة، هذا من حيث الكلمات نفسها، لكن من حيث التركيب لا شك أن بعضها أولى بالتقديم، فالمبتدأ والخبر ما الأولى بالتقديم؟ المبتدأ، الفعل والفاعل؟ الفعل، وهل جزأ، الاستفهام له الصدارة، لكن كلاً منا على الكلمة من حيث هي.

(٢) ماذا يعني؟ يعني: الإنسان، الإنسان خُلِقَ من تراب، هو الآن جاء بهذا البيت المُخَمَّ الذي يذهب الإنسان في تصوّره كلّ مذهّب...^(*)

(٣) لو قال: «القصاص منك» كان أوضح، القصاص قد يكون لغيره، ورُبّما يُسرّ به لا يُساء به، لكن «القصاص منك حَكَمَ به القاضي» عَجَلَتْ له المساءة.

«العفو عنك صدَرَ به الأمر» الأصل أن يقال: «صدَرَ الأمرُ بالعفو عنك» هذا الأصل، لكن تعجيلاً لمسرتي قلت: «العفو عنك صدَرَ به الأمر»، والحقيقة أن هذا =

(*) المراد - هنا - أن الشاعر قدّم صفة مشعرة بالغرابة وآخر الموصوف؛ ليَجْعَلَ السامعَ مُشَوِّقاً لمعرفة، ثم دكّر أصل نشأته.

٣- وَكَوْنُ الْمُتَقَدِّمِ مَحْطَ الْإِنْكَارِ وَالتَّعْجِبِ، نحو: «أَبْعَدَ طُولِ التَّجَرِبَةِ»^(١) تَنْخِذُغُ بِهِذِهِ الزُّخَارِفُ؟^(٢).

٤- وَالنَّصُّ عَلَى عُمُومِ السَّلْبِ، أَوْ سَلْبِ الْعُمُومِ:

فَالأَوَّلُ: يَكُونُ بِتَقْدِيمِ أَدَاةِ الْعُمُومِ^(*) عَلَى أَدَاةِ النَّفْيِ، نَحْوُ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ

= الْكَلَامَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فِيهِ رَكَاةٌ، لَكِنَّ الْمَقْصُودَ ضَرْبُ الْمَثَالِ، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُعَجِّلَ لَهُ الْبِشَارَةَ مَاذَا نَقُولُ؟ «أَبَشِّرْ، فَقَدْ صَدَرَ الْأَمْرُ بِالْعَفْوِ عَنْكَ»، أَمَّا «الْعَفْوُ عَنْكَ صَدَرَ بِهِ الْأَمْرُ» هَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ رَكِيكٌ، فَلَيْسَ بِبَلِيغٍ، لَكِنَّ الْمُؤَلِّفَ أَرَادَ بِذَلِكَ ضَرْبَ الْمَثَلِ. كَذَلِكَ «الْقِصَاصُ حَكَمٌ بِهِ الْقَاضِي» يَعْنِي: الْقِصَاصُ عَلَيْكَ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَوَّلُ مَا يَسْمَعُ «الْقِصَاصُ» يَتَّقِرُ وَيَخَافُ وَيَرْتَعِدُ، لَكِنْ لَوْ قَالَ: «حَكَمَ الْقَاضِي بِالْقِصَاصِ عَلَيْكَ» صَارَ - عِنْدَ قَوْلِ الْقَائِلِ: «حَكَمَ الْقَاضِي» - بَيْنَ هَلْ عَلَيَّ أَوْ لَا؟.

(١) [نَطَقَهَا مَنْ يقرأ عَلَى الشَّيْخِ بِضَمِّ الرَّاءِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ مُصَوِّبًا]: هَذَا مِنَ الْخَطَأِ الشَّائِعِ، النَّاسُ يَقُولُونَ: «التَّجَارِبُ» وَ«التَّجَرُّبَةُ» وَهَذَا غَلَطٌ، لَفْظٌ لَا يَسْتَقِيمُ، بَلْ هُوَ بِكسْرِ الرَّاءِ فِي الْمَفْرَدِ وَالْجَمْعِ: «تَجَرِبَةٌ وَتَجَارِبٌ»، قَالَ الشَّاعِرُ^(**) [الْبَسِيطُ]:

قَدْ جَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ

(٢) هَذَا مَحَلُّ الْإِنْكَارِ وَالتَّعْجِبِ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ طَوْلِ التَّجَرِبَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ خَلِيراً مُتَّيِّباً يَقِظاً، فَلَا يَكُونُ مُنْخَذِعاً، وَمِثْلُ قَوْلِ الْمُؤَلِّفِ^(***) رَحِمَهُ اللهُ [الطَّوِيلُ]:
أَبْعَدَ بَيَاضِ الشَّيْبِ أَغْمُرُ مَسْكَنًا سَوَى الْقَبْرِ، إِنِّي إِنْ قَمَلْتُ لِأَخْمَقٍ
يُحْبِرُنِي شَيْبِي بِأَنِّي مَبِيتٌ وَشَيْكًا وَنَعْنَعَانِي إِلَيَّ فَيَضْدُقُ
الشَّاهِدُ قَوْلَهُ: «أَبْعَدَ بَيَاضِ الشَّيْبِ أَغْمُرُ مَسْكَنًا سَوَى الْقَبْرِ».

(*) ٥: «كُلُّ»، وَ«جَمِيعٌ».

(**) هُوَ الْأَعْمَشِيُّ مَيْمُونُ بْنُ قَيْسٍ، أَحَدُ أَصْحَابِ الْمَعْلَقَاتِ الْعَشْرِ، وَالْبَيْتُ كَمَا فِي تَاجِ الْعُرُوسِ وَلِسَانِ الْعَرَبِ (جَرَب):

كَمْ جَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ أَبَا قُدَامَةَ إِلَّا الْمَجْدَ وَالْفَتَنَةَ

(***) هُوَ مُؤَلِّفُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ قُدَامَةَ الْمُقَدِّسِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، صَاحِبُ كِتَابِ (الْمَغْنِيِّ) الْمُرْجَعِ الْكَبِيرِ فِي الْفَقْهِ الْحَنْبَلِيِّ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٢٠ هـ.

يَكُنْ»، أي: لَمْ يَقَعْ هذا ولا ذاك.

والثاني: يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم، نحو: «لَمْ يَكُنْ كُلُّ ذَلِكَ»، أي: لَمْ يَقَعْ المجموع^(*)، فَيَحْتَمِلُ ثُبُوتَ البعضِ، وَيَحْتَمِلُ نَفْيَ كُلِّ فَرْدٍ^(١).

٥- والتخصيصُ، نحو: «ما أنا قُلْتُ»، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(٢) [الفاتحة: ٥].

ولَمْ يُذَكِّرْ لِكُلِّ مِنَ التقديم والتأخيرِ دواعٍ خاصَّة؛ لَأَنَّهُ إِذَا تَقَدَّمَ أَحَدُ رُكْنَيْ الْجُمْلَةِ تَأَخَّرَ الْآخَرُ، فَهَمَا مُتَلَازِمَانِ^(٣).

* * *

(١) هذه مسألة مُهِمَّة، إِذَا قُلْتُ: «هَلْ كَلَّمْتُ فُلَانًا أَوْ فُلَانًا؟» فَقُلْتُ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ» هذا نَفْيُ عُمُومِ السَّلْبِ، يَعْنِي: أَنِّي لَمْ أَكَلِّمْ هَذَا وَلَا هَذَا، وَإِذَا قُلْتُ: «لَمْ يَكُنْ كُلُّ ذَلِكَ» فَفِيهِ احْتِمَالُ أَنِّي لَمْ أَكَلِّمَهُمَا، أَوْ احْتِمَالُ أَنِّي لَمْ أَكَلِّمَهُمَا جَمِيعًا بَلْ كَلَّمْتُ وَاحِدًا وَتَرَكْتُ الْآخَرَ.

- عُمُومُ السَّلْبِ يَكُونُ إِذَا قُدِّمَتْ صِيغَةُ الْعُمُومِ عَلَى النَفْيِ.

- وَسَلْبُ الْعُمُومِ إِذَا قُدِّمَتْ النَفْيُ عَلَى صِيغَةِ الْعُمُومِ.

فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ حَدِيثِ ذِي الْيَدَيْنِ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ ذُو الْيَدَيْنِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَنْسَيْتَ أَمْ قُصِرَتْ الصَّلَاةُ؟» فَقَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ»^(**)، مِنْ أَيِّهِمَا؟ مِنْ عُمُومِ السَّلْبِ، يَعْنِي: مَا كَانَ هَذَا وَلَا هَذَا، لَكِنْ لَوْ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ كُلُّ ذَلِكَ» صَارَ مِنْ سَلْبِ الْعُمُومِ، وَالسَّلْبُ هُنَا بِمَعْنَى النَفْيِ.

(٢) هُنَا قُدِّمَ الْعُمُومُ، وَتَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ يَدُلُّ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ.

(٣) إِذَا ذُكِّرَتْ دَوَاعِي التَّقْدِيمِ عَرَفَتْ دَوَاعِي التَّأْخِيرِ.

(*) النفي في عموم السلب يكون لكل فرد، أما في سلب العموم فيكون للمجموع غالباً.

(**) رواه البخاري (٦٩/١٠)، ومسلم (٥/رقم: ٩٩)، واللفظ له.

الباب الرابع
في
القصر

القُضْر

القُضْرُ: تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ^(١)، بطريقٍ مخصوصٍ.

ويتقسم إلى: حقيقي، وإضافي.

١ - فالحقيقي: ما كان الاختصاصُ فيه بحسَبِ الواقع والحقيقة، لا بحسَبِ الإضافةِ إلى شيءٍ آخرَ، نحو: «لا كاتبٌ في المدينة إلا عليٌّ» إذا لم يكن غيره فيها من الكتابِ^(٢).

٢ - والإضافي: ما كان الاختصاصُ فيه بحسَبِ الإضافةِ إلى شيءٍ مُعَيَّنٍ، نحو: «ما عليٌّ إلا قائمٌ» أي أنَّ له صفةَ القيام لا صفةَ القعود، وليس الغرضُ نفيَ جميع الصفاتِ عنه، ما عدا صفةَ القيام^(٣).

(١) إِنْتَبِهْ إلى أَنَّ القُضْرَ يعني: الحَضْرَ، فهو يُسَمَّى حَضْرًا وَيُسَمَّى قُضْرًا؛ لِأَنَّ الحَضْرَ: قُضْرُ شيءٍ على آخرَ، فهما بمعنى واحد.

(٢) القُضْرُ - وهو الحَضْرُ - : حقيقي وإضافي:
- فإذا قلت: «لا إله إلا الله» فالحَضْرُ حقيقي؛ لِأَنَّ المقصودَ: لا إله حقٌ إلا الله، وهذا حقيقي.
- وإذا قلت: «لا خالق إلا الله» فهو أيضاً حقيقي.
- وإذا قلت: «لا مَلِك إلا فلان» وهو - حقيقةً - ليس هناك إلا مَلِك واحد؛ هذا حقيقي.
- وإذا قلت: «لا مُعَلِّم إلا فلان» وليس في البلد سواه، و«لا كاتبٌ إلا فلان» ولا كاتبٌ سواه؛ حقيقي.

(٣) الإضافي: هو ما كان محصوراً بالنسبة إلى شيءٍ مُعَيَّنٍ.
إذا قلت: «لا جوادٌ إلا حاتمٌ» - حاتم الطائي المعروف - إضافي؛ لِأَنَّهُ يُوجَدُ أجوادٌ كثيرون، ولكن لا جوادَ مثلاً باعتبار المكان الذي هو فيه، باعتبار الزمان الذي هو فيه، باعتبار نوعِ الجود، فالإضافي: ما كان الحَضْرُ فيه باعتبار شيءٍ مُعَيَّنٍ.

وكلُّ منهما ينقسم [باعتبار طَرَفَيْهِ] إلى:

١- قَصْرُ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ، نحو: «لَا فَارِسَ إِلَّا عَلِيٌّ».

٢- وَقَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ^(*)، نحو: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ» [آل عمران: ١٤٤]، فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ^(١).

وَالْقَصْرُ الْإِضَافِيُّ يَنْقَسِمُ بِاعْتِبَارِ حَالِ الْمُخَاطَبِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

١- قَصْرُ إِفْرَادٍ: إِذَا اعْتَقَدَ الْمُخَاطَبُ الشَّرَكَةَ.

= وإِثْمَا الْحَضْرُ الَّذِي يُقْصَدُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ؟ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يُحْمَلُ عَلَى الْحَقِيقِيِّ، فَإِذَا تَعَدَّرَ الْحَمْلُ عَلَى الْحَقِيقِيِّ قُلْنَا: هَذَا إِضَافِي.

حَسَنًا، «مَا عَلِيٌّ إِلَّا قَائِمٌ» هَذَا إِضَافِي؛ لِأَنَّهُ ضَاحِكٌ جَائِعٌ عَطْشَانٌ بَالِكٌ لَهُ صِفَاتُ كَثِيرَةٍ غَيْرِ «قَائِمٍ»، لَكِنْ هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الصِّفَةِ الْمُعَيَّنَةِ، يَعْنِي أَنَّهُ قَائِمٌ وَلَيْسَ بِقَاعِدٍ، هَذَا مَا نُسَمِّيهِ حَضْرًا إِضَافِيًّا، فَمَا كَانَ الْحَضْرُ فِيهِ بِاعْتِبَارِ الْوَاقِعِ فَهُوَ حَقِيقِي، وَمَا كَانَ الْحَضْرُ بِهِ بِاعْتِبَارِ شَيْءٍ مُعَيَّنٍ فَهُوَ إِضَافِي.

(١) إِذَا كَانَتِ الصِّفَةُ مُخْتَصَّةً بِمَوْصُوفِهَا فَهُوَ قَصْرُ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ، وَإِنْ كَانَ الْمَوْصُوفُ مَقْصُورًا عَلَى الصِّفَةِ فَهُوَ قَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ.

- «لَا فَارِسَ إِلَّا عَلِيٌّ» قَصَرْنَا صِفَةَ الْفُرُوسِيَّةِ عَلَى عَلِيٍّ، أَمَّا كَوْنُهُ حَقِيقِيًّا أَوْ إِضَافِيًّا فَتَنْظُرُ، إِنْ كَانَ فِي الْبَلَدِ فَارِسٌ سِوَاهُ فَهُوَ إِضَافِي، وَإِلَّا فَهُوَ حَقِيقِي.

- «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ» هَذَا قَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ، يَعْنِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ رَسُولٌ لَا أَنَّهُ رَبٌّ، وَلَا أَنَّهُ مَلَكٌ، وَلَا أَنَّهُ سَيِّحِلْدٌ؛ لِأَنَّ آخِرَ الْآيَةِ يَذُلُّ عَلَى ذَلِكَ: «إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ».

- «لَا قَائِمٌ إِلَّا مُحَمَّدٌ»: صِفَةٌ عَلَى مَوْصُوفٍ.

- «مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا قَائِمٌ»: مَوْصُوفٌ عَلَى صِفَةٍ.

(*) الْغَالِبُ فِي الْقَصْرِ الْحَقِيقِيُّ قَصْرُ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ، وَيَنْدَرُ فِيهِ قَصْرُ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ، أَمَّا الْقَصْرُ الْإِضَافِيُّ فَيَرِدُ فِيهِ النَّوْعَانِ بِكَثْرَةٍ.

٢- وقَضرِ قَلْبٍ: إذا اعتَقَدَ العكس.

٣- وقَضرِ تعيينٍ: إذا اعتَقَدَ واحداً غَيْرَ مُعَيَّنٍ^(١).

وللقَضرِ طُرُقٌ:

١ - منها: التَّفْيُّ والاستثناء، نحو: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

٢ - ومنها: «إنما»، نحو: «إنما الفاهِمُ عليٌّ».

٣ - ومنها: العَطفُ بـ «لا» أو «بل» أو «لكن»، نحو: «أنا نائِرٌ لا ناظِمٌ»، و«ما أنا حاسِبٌ بل كاتِبٌ»^(٢).

(١) القَضرُ الإضافي ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- قَضرُ إفرادٍ: إذا اعتقد المخاطَبُ الشَّرَكَةَ، فإذا قلت: «لا قائِمٌ إلا محمدٌ» مخاطِبَ رَجُلًا يَعْتَقِدُ أَنَّ القائِمَ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ؛ هذا قَضرُ إفرادٍ، يعني بعدما كان المخاطَبُ يَعْتَقِدُ أَنَّ القائِمَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ؛ صار الآن لا يَتَصَوَّرُ إِلَّا وَاحِدًا.

٢- قَضرُ قَلْبٍ: إنسان يَعْتَقِدُ أَنَّ عَمْرًا هو الكاتب، فقلت: «لا كاتِبٌ إلا عليٌّ»، هذا قَضرُ قَلْبٍ؛ لأنَّ المخاطَبَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لا كاتِبٌ إِلَّا عَمْرُو، الآن قَلَبْتُ الأَمْرَ عليه وقلت: «لا كاتِبٌ إلا عليٌّ أو محمدٌ»، المهمُّ أَنَّنِي خَاطَبْتُهُ بِغَيْرِ مَا كَانَ يَعْتَقِدُ، هذا يُسَمَّى قَضرُ قَلْبٍ؛ لِأَنِّي قَلَبْتُ مَفْهُومَ المخاطَبِ إِلَى ضَدِّهِ.

٣- قَضرُ تعيينٍ: مثل أن يسألك سائلٌ: «يا فلان! هل عمرو هو الكاتِبُ أو خالدٌ؟» فقلت: «لا كاتِبٌ إلا خالدٌ»، هذا تعيينٌ.

(٢) ما أتى بمثالٍ لـ «لكن»!، انزَعِ «بل» وَضَعْ بدلها «لكن»؛ يستقيم، تقول: «ما أنا حاسِبٌ لكن كاتِبٌ».

٤ - ومنها: تقديم ما حَقُّهُ التأخيرُ، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(١) [الفاتحة: ٥].

(١) الآن ذَكَرَ الطَّرُقُ:

١ - النفي والاستثناء، وهو أعلاها، مثل: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ما هذا إلا مَلَكٌ كريمٌ، وهذا الحَضَرُ إضافيٌّ، يعني أَنَّ السُّنُوَّةَ قُلْنَ: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

٢ - «إنَّما»، والفرق بين «إلا» و«إنَّما» أَنَّ «إلا» يليها المحصورُ فيه، و«إنَّما» يليها المحصورُ، اثْنَتَانِ للفرق، مثاله: «إنَّما الفَاهِمُ عَلِيٌّ»، الآن حَصَرْتَ الفَهْمَ بعليٍّ؛ لأنَّ «إنَّما» يليها المحصورُ.

٣ - «لا»، تقول: «القَائِمُ عَلَيَّ لَا بَكْرٌ».

٤ - «بل»: «ما القَائِمُ فلانٌ بل فلانٌ».

٥ - «لكن»: «ما القَائِمُ فلانٌ لكن فلانٌ».

٦ - تقديم ما حَقُّهُ التأخيرُ: هذه عامَّةٌ، كلُّ «تقديم ما حَقُّهُ التأخيرُ» فهو مُفِيدٌ للحَضَرِ، سواءً كان مفعولاً به أو كان خبراً أو غير ذلك^(*).

(*) وهذا توضيح هيكلي لمواضع المقصور والمقصور عليه في الطَّرُق السابقة:

١- النفي والاستثناء: (نفي + مقصور + استثناء + مقصور عليه).

٢- إنَّما: (إنَّما + مقصور + مقصور عليه).

٣- لا: (مقصور + مقصور عليه + لا + المقابل).

٤- بل، لكن: (نفي أو نهي + مبتدأ أو فعل + مقصور + بل أو لكن + مقصور عليه).

٥- تقديم ما حَقُّهُ التأخير: (مقصور عليه + مقصور).

الباب الخامس
في
الفصل والوصل

الفصل والوصل

الْوَصْلُ: عَطَفُ جُمْلَةٍ عَلَى أُخْرَى.

وَالْفَصْلُ: تَرْكُهُ.

وَالكَلَامُ هُنَا قَاصِرٌ عَلَى الْعَطْفِ بِالْوَاوِ؛ لِأَنَّ الْعَطْفَ بغيرِهَا لَا يَقَعُ فِيهِ اشْتِبَاهٌ.

وَلِكُلِّ مِنَ الْوَصْلِ بِهَا وَالْفَصْلِ مَوَاضِعٌ^(١).

* * *

(١) الوصل: عَطَفُ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ بِالْوَاوِ.

وَالْفَصْلُ: تَرْكُ عَطْفِهِ بِالْوَاوِ.

هَذَا الضَّابِطُ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا مَوَاضِعٌ يَذْكُرُهَا الْمُؤَلِّفُ.

مواضع الوصل بالواو

يَجِبُ الْوَصْلُ فِي مَوْضِعَيْنِ:

الأول: إِذَا اتَّفَقَتِ الْجُمْلَتَانِ خَبَرًا أَوْ إِنشَاءً وَكَانَ بَيْنَهُمَا جِهَةٌ جَامِعَةٌ، أَيْ: مُنَاسِبَةٌ تَامَّةٌ، وَلَمْ يَكُنْ مَانِعٌ مِنَ الْعَطْفِ، نَحْوُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾^(١) [الانفطار: ١٣-١٤]، وَنَحْوُ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(٢) [التوبة: ٨٢].

الثاني: إِذَا أَوْهَمَ تَرْكُ الْعَطْفِ خِلَافَ الْمَقْصُودِ، كَمَا إِذَا قُلْتُ: «لا، وَشَفَاهِ اللَّهُ» جَوَابًا لِمَنْ يَسْأَلُكَ: «هَلْ بَرِئَ عَلَيَّ مِنَ الْمَرَضِ؟»، فَتَرْكُ الْوَائِ يُوْهِمُ الدَّعَاءَ عَلَيْهِ، وَغَرَضُكَ الدَّعَاءَ لَهُ^(٣).

(١) الْآنَ [لَوْ] فَصِلَ وَقُلْتُ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ تَنَافَرَتِ الْجُمْلَتَانِ، فَإِذَا قُلْتُ ﴿وَإِنَّ الْفَجَّارَ﴾ صَارَتِ الْمُنَاسِبَةُ بَيْنَهُمَا أَظْهَرَ، فَهَذَا وَصْلٌ؛ لَأَنَّا عَطَفْنَا إِحْدَى الْجُمْلَتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى بِالْوَاوِ.

(٢) كَذَلِكَ أَيْضًا ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ لَوْ حَذَفَتِ الْوَائِ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا لِيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ تَنَاسُبٌ، لَكِنْ لَوْ قُلْنَا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ قَرَّبَتِ الْوَائِ بَيْنَهُمَا وَصَارَ بَيْنَهُمَا مُنَاسِبَةٌ^(*).

(٣) هَذِهِ كَثِيرٌ مَا تَقَعُ، وَيُخْطِئُ فِيهَا النَّاسُ، دَائِمًا يَقُولُونَ: «لَا هَذَاكَ اللَّهُ» «لَا رَجَمَكَ اللَّهُ»، =

(*) سَأَلَ الشَّيْخَ رَحِمَهُ اللهُ فِيمَا بَعْدَ هَذَا السَّوَالِ:

الطَّالِبُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُكُمْ سَوْءَ النَّكَالِ يَذَّحُّونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، وَهَذَا آيَةٌ [أُخْرَى وَهِيَ]: ﴿وَيَذَّحُّونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]، [فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟]

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللهُ: الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ أَفَادَتْ مَعْنَى أُخْرَى، وَهِيَ: ﴿يَسْأَلُكُمْ سَوْءَ النَّكَالِ﴾ ثُمَّ أَضَافَ إِلَيْهِ الْعُقُوبَةَ الثَّانِيَةَ وَهِيَ التَّذْيِيعُ، وَالْأَوَّلَى أَجْمَلٌ - [مِنْ الْإِجْمَالِ] - قَالَ: ﴿يَسْأَلُكُمْ سَوْءَ النَّكَالِ﴾ فَفَسَّرَهُ بِالتَّذْيِيعِ.

مواضع الفصل

يَجِبُ الْفَصْلُ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ:

الأول: أن يكون بين الجُمْلَتَيْنِ اتِّحَادٌ تَامٌّ بِأَنْ تَكُونَ الثَّانِيَةُ:

- بَدَلًا مِنَ الْأُولَى، نحو: ﴿أَمَذُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿أَمَذُّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنِ﴾^(١)
[الشعراء: ١٣٢-١٣٣].

- أو بأن تكون بياناً لها، نحو: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُمْ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾^(٢) [طه: ١٢٠].

= تسأله: «هل قديم زيد؟» يقول: «لا رَحِمَكَ اللَّهُ»، «هل شفي من المرض؟» [فيقول: «لا شفاه الله»، وما أشبه ذلك، هنا يَتَعَيَّنُ العطفُ بالواو وهو الوصل، فتقول: «لا، وشفاه الله».

لو قلت لمن سألك «هل برئ من المرض؟»: «لا شفاه الله»؛ سيقول لك: «ما الذي بينك وبينه؟»، لماذا تدعو له بعدم الشفاء؟»، لكن إذا قلت: «لا، وشفاه الله» قَطَعْتَ هذا الاحتمال، وصار الوصل هنا واجباً.

أَكْثَرُ مُخَاطَبَاتِنَا بِعَدَمِ الْوَائِ، لكن ينبغي أن تَضَعَ ذلك في ذِفْنِكَ أن تأتي بالوصل.
(١) ﴿وَأَنْتُمْ أَلَّذِي أَمَذُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ بماذا أَمَذْنَا؟ أَمَذُّكُمْ بِأَنْعَامِ وَبَيْنِ؛ لَأَنَّ هُنَا لَوْ وَصَلْتَ وَقُلْتَ «وَأَمَذُّكُمْ» صارت الثانيةُ غَيْرَ الْأُولَى، والمقصود أَنَّ الثانيةَ هي الْأُولَى، لو كانت الآية الكريمة: «أَمَذُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ وَأَمَذُّكُمْ بِأَنْعَامِ وَبَيْنِ»؛ صارت الثانيةُ غَيْرَ الْأُولَى، والمقصود بيان أَنَّ الثانيةَ هي الْأُولَى، فيكون ﴿أَمَذُّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنِ﴾ بَدَلًا مِنَ الْأُولَى.

(٢) القائل إبليس، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ يعني: ألقى إليه الوسواس، ولم يقل: «فَوَسْوَسَ له»، بل أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ، كلمة ﴿قَالَ يَتَّخِذُمْ﴾ بيانٌ للوسوسة التي ألقاها إليه الشيطان، لو قال: «فوسوس إليه الشيطان وقال يا آدم» لكان ﴿قَالَ يَتَّخِذُمْ﴾ غَيْرَ الْوَسُوسَةِ، لكن وَسْوَسَ إِلَيْهِ بشيءٍ غيرِ مذكور.

- أو بأن تكونَ مُؤَكَّدَةٌ لها، نحو: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَتْمَلَهُمْ رُؤْيَا﴾^(١) [الطارق: ١٧].

ويقال في هذا الموضع: إنَّ بينَ الجملتين كمالَ الاتِّصالِ^(٢).

الثاني: أن يكونَ بينَ الجملتين تبايُنٌ تامٌّ:

- بأن يَخْتَلِفَا خبراً وإنشاءً^(٣)، كقوله [المُنْشَرَح]:

لا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خَلَاتِقِهِ فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبَرِ^(٤)

(١) «مَهْلٌ» و«أَمْهَلٌ» معناهما واحد، ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾ هذا مُطْلَقٌ ما يُدْرَى هل أَمْهَلُهُمْ قليلاً أو كثيراً؟، فَيَذْهَبُ الذَّهْنُ كُلُّ مَذْهَبٍ، فقال: ﴿أَتْمَلَهُمْ رُؤْيَا﴾.

فإن قال قائلٌ: لماذا قال «مَهْلٌ» و«أَمْهَلٌ»؟

قلنا: هذا اختلاف الفعلين لِتَلَا يقع التكرار، وهو ما يُسَمَّى عندهم بـ«التَّقْنِينِ فِي الْعِبَارَةِ».

إذاً لو كان في غير القرآن وقلت: ﴿أَمْهَلِ الْكَافِرِينَ أَتْمَلَهُمْ رُؤْيَا﴾ يجوز، و - هو في غير

القرآن - أيضاً: ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ مَهْلُهُمْ رُؤْيَا﴾ يجوز^(*).

(٢) لأنَّ الثانية هي الأولى أو بَدَلٌ منها أو بيانٌ لها، فبينهما كمالُ الاتِّصالِ.

(٣) هذا عكس الأولى، والتبايُن فُسْرُه: بأن يَخْتَلِفَا خبراً وإنشاءً، يعني: بأن تكون إحداهما

خبراً والأخرى إنشاءً.

(٤) يعني لا تسأله: ما الذي بك؟ ما الذي أغضبك؟ ما الذي سَرَكَ؟ لا تسأله؛ لأنَّ في وَجْهِهِ

شاهداً من الْخَبَرِ، الإنسان يَعْرِفُ الشَّخْصَ إذا رَأَى وَجْهَهُ، يَعْرِفُ أَنَّهُ مَسْرُورٌ أو مَغْمُومٌ،

يَعْرِفُ أَنَّهُ عَدُوٌّ أو صَدِيقٌ، فَالْوَجُوهُ فِي الْحَقِيقَةِ صَفَحَاتُ الْقُلُوبِ.

هاتان الجملتان^(**) اختلفتا خبراً وإنشاءً: الأولى: إنشاءً، والثانية: خبر.

(*) قُرِئَ شاذّاً: ﴿فَأَمْهَلِ الْكَافِرِينَ أَتْمَلَهُمْ رُؤْيَا﴾، انظر: «إعراب القراءات الشواذ: ٦٩٩/٢» للعكبري، وقرأ ابن

عباس رحمته: ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ مَهْلُهُمْ رُؤْيَا﴾، انظر: «البحر المحيط: ٤٥٦/٨» لأبي حيان الأندلسي،

«المحرر: ٤٠٤/١٥» لابن عطية، «الدر المصون: ٥٠٨/٦» للسمين الحلبي.

(**) أي: شَطَرَا الْبَيْتِ.

وكقول الآخر [البسيط]:

وقال رائدُهُم: أَرَسُوا نَزَاوِلَهَا فَحَتَفُ كُلُّ امْرِئٍ يَجْرِي بِمِقْدَارِ^(١)

- أو بأن لا يكون بينهما مُنَاسَبَةٌ في المعنى، كقولك: «عليّ كاتبٌ، الحمامُ طائرٌ»، فإنه لا مُنَاسَبَةٌ في المعنى بين كتابة عليّ وطيران الحمام.

ويقال في هذا الموضع: إن بين الجملتين كمال الانقطاع^(٢).

الثالث: كَوْنُ الجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ جواباً عن سَوَالٍ نَشَأَ مِنَ الجُمْلَةِ الْأُولَى، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَتَرَىٰ نَفْسِي إِنْ أَنفَسَ لَأَمَّارَةً بِالشُّوْءِ﴾^(٣) [يوسف: ٥٣].

ويقال: بين الجملتين شبه كمال الاتصال.

الرابع: أن تُسَبِّقَ جُمْلَةٌ بِجُمْلَتَيْنِ يَصِحُّ عَطْفُهَا عَلَى إِحْدَاهُمَا؛ لَوْجُودِ الْمُنَاسَبَةِ، وَفِي عَطْفِهَا عَلَى الْأُخْرَى فُسَادٌ، فَيَتَرَكُ الْعَطْفُ؛ دَفْعاً لِلْوَهْمِ، كقوله [الكامل]:

وَتَظُنُّ سَلَمَى أَنِّي أَبْغِي بِهَا بَدَلًا، أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهْبِئُ

فجُمْلَةُ «أَرَاهَا» يَصِحُّ عَطْفُهَا عَلَى «تَظُنُّ»، لَكِنْ يَمْنَعُ مِنْ هَذَا تَوَهُُّمُ الْعَطْفِ عَلَى جُمْلَةِ «أَبْغِي بِهَا»، فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ مَظَنُونَاتِ سَلَمَى، مَعَ أَنَّهُ

(١) بينهما تباين، الأولى: إنشاء، والثانية: خبر، هل بين الجملتين انفصال؟ هناك عطف: «فَحَتَفُ»، ولكن بغير الوار، العطف بغير الوار فصل.

(٢) الآن لو قال قائل: «عليّ كاتبٌ، والحمام طائرٌ»؛ كان الناس ينتقدون عليه، ما العلاقة بين «عليّ كاتبٌ» و«الحمام طائرٌ»؟! ما العلاقة؟! فإذا قال: «عليّ كاتبٌ، الحمام طائرٌ» فصلهما ولم يجعل بينهما علاقة، فبينهما إذا تباين تام لعدم المناسبة.

(٣) كلتا الجملتين خبرٌ، لكن الثانية تعليلٌ للأولى، فالجملة التعليلية بينها وبين الأولى فصل، يجب الفصل لأنها تعليلٌ لها.

ليس مُراداً^(١).

ويقال: بين الجملتين في هذا الموضع شبهة كمال الانقطاع.

الخامس: أن لا يُقصد تشريك الجملتين في الحكم لقيام مانع^(٢)، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ ۗ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥]، فجملة ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ﴾ لا يصح عطفها على ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾؛ لافتضاءه أنه من مقولهم، ولا على جملة ﴿قَالُوا﴾؛ لافتضاءه أن استهزاء الله بهم مُقيّد بحال خلوهم إلى شياطينهم.

ويقال^(٣): بين الجملتين في هذا الموضع توسُّط بين الكمالين.

(١) لو قال: «وأراها» لكان يحتمل أن تكون عطفاً على «تَنْظُرُ»، وأن تكون عطفاً على «أبغى»، والمعنى يختلف اختلافاً عظيماً، لذلك نقول: اقطع العطف لتكون جملة مستقلة: «أراها في الضلال تبيهم».

(٢) إذا لم يُقصد تشريك الجملتين في الحكم لقيام مانع فإنه يجب الفصل؛ لئلا يتوهم وإهم أن الجملتين مشتركتان في الحكم.

إذا قال قائل: هذه المعاني التي قالها المؤلف بماذا تُدرَك؟

فالجواب: أنها تُدرَك بسياق الكلام وما يحتمله من المعاني، ولذلك رُبما يفهم بعض الناس أن الأولى الفصل، وآخر يرى أن الأولى الوصل؛ لأن الأفهام تختلف، فالشيء الذي يرجع إلى القرائن هذا لا بُدَّ أن يختلف الناس فيه، لكن أنت إذا عرفت الضابط نزل كلامك الذي تتكلم به على هذا الضابط.

(٣) أمّا قول المؤلف: «ويقال ويُقال» فهذا تعريف الاصطلاح: اصطلاح البلاغيين، بمعنى أنت إن شئت لا تقل بهذا، لكن الاصطلاح لا مشاحة فيه.

الباب السادس

في

الإيجاز والإطناب والمساواة

الإيجاز والإطناب والمساواة^(١)

كُلُّ مَا يَجُولُ فِي الصَّدْرِ مِنَ الْمَعَانِي يُمَكِّنُ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِثَلَاثِ طُرُقٍ:

١- **المساواة**: وهي تأديّة المعنى المراد بعبارة مُساوية له، بأن تكونَ على الحدّ الذي جَرى به عُرْفُ أوساطِ الناسِ: وهم الذين لم يَزْتَقُوا إلى درجةِ البلاغةِ، ولم يَنْحَطُوا إلى درجةِ الفَهَاةِ^(٢)، نحو: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ ءَاثِلِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٢- **والإيجاز**: وهو تأديّة المعنى بعبارة ناقصة عنه مع وفائها بالغرض^(٣)، نحو: «إنما الأعمالُ بالثَّيَّاتِ»^(٤)، فإذا لم تَفِ بالغرضِ سُمِّيَ إخلالاً، كقوله

(١) هذا أيضاً من المِهمِّ: هل الأولى في الكلام الإطنابُ، أو الأولى القُصْرُ والاختصارُ، أو الأولى التسويةُ؟، هذا يرجع إلى ما تقتضيه الحال.

(٢) هذا من جنس اللُّقْطَةِ، تَتَّبِعُهُ هِمَّةُ أوساطِ الناسِ.

(٣) الإيجازُ ذَكَرَ المؤلِّفُ أنّه: «أن يُؤْتَى بعبارة ناقصة مع وفائها بالغرض»، النقص قد يكون نقصاً في الجُمْلِ، وقد يكون نقصاً بالحذف وهذا أكثر ما يكون في القصص، في القرآن الكريم تأمَّلْ أن القصصَ - قصة يوسف وقصة موسى - يكون فيها حذفٌ كثيراً، هذا الذي نُسِّمُهُ إيجازاً.

(٤) «إنما الأعمالُ بالثَّيَّاتِ» هذا إيجاز، لكنّه واضح أو غير واضح؟ واضح.

«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(*) إيجاز.

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(***) هذا إيجاز مع وضوح المعنى.

الإيجاز له مَحَلَّات ومَوَاضِع، والإطناب له مَحَلَّات ومَوَاضِع.

(*) رواه البخاري (١/١)، ومسلم (٣٣/رقم: ١٥٥).

(**) رواه مسلم (٣٠/رقم: ١٨).

(***) رواه البخاري (٣١/٧٨)، ومسلم (١/رقم: ٧٤).

[مجزوء الكامل]:

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّ لِ الثُّوكِ مِمَّنْ عَاشَ كَذًا

مُرَّاهُ: أَنَّ الْعَيْشَ الرَّغْدَ فِي ظِلَالِ الْحُمُقِ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ الشَّقِّ فِي ظِلَالِ الْعَقْلِ^(١).

٣- والإطناب: وهو تأديّة المعنى بعبارة زائدة عنه مع الفائدة، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، أي: كَبُرَتْ.

فإذا لم تكن في الزيادة فائدة سُمِّيَ تطويلاً إن كانت الزيادة غير مُتَعَيِّنَةٍ، وَحْشُوا إِن تَعَيَّنَتْ.

فالتطويلُ نحو [الوافر]:

وَأَلْقَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا

والْحَشْوُ نحو [الطويل]:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ^(٢)

(١) هذا مُخِلٌّ ولا يفهم معناه أحدٌ، مع أنه غير مُسَلَّم، نحن نرى أَنَّ الْعَيْشَ فِي ظِلَالِ الْعَقْلِ وإن كان شاقاً خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ فِي ظِلَالِ الثُّوكِ (يعني: الثَّرَفُ والتَّعَمُّعُ)، لكن أكثر الناس بهائم يريد أن يعيش في تَرَفٍ ورخاء وإن كان عيشه ليس مُبَيَّنّاً على العقل.

(٢) الإطناب: هو تأديّة المعنى بعبارة زائدة عنه- أي: عن المعنى- مع الفائدة، فإن لم يكن فائدة سُمِّيَ تطويلاً إن كانت الزيادة غير مُتَعَيِّنَةٍ، وَحْشُوا إِن تَعَيَّنَتْ، مثلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ هذا كناية عن كِبَرِ السِّنِّ، لو قال: «رَبِّ إِنِّي كَبُرْتُ» صَحَّ الكلامُ، يعني حَصَلَ المقصود، لكن أراد أن يُبَيِّنَ الدَّلالةَ الواضحةَ على كِبَرِهِ وهو الجَمْعُ بين هذين الأمرين:

ومن دواعي الإيجاز: تسهيل الحفظ، وتقريب الفهم، وضيق المقام،

= ١ - وَهْنُ الْعَظْمِ .

٢ - واشتعال الرأس شيئاً .

لو أن أحدهما تخلف فليس دليلاً على الكبر؛ لأنه زُبماً يَهْنُ الْعَظْمُ من مرضٍ مع صغره، وزُبماً يَشْتَعِلُ رأسه شيئاً مع صغره، وهذا واقع، لكن إذا اجتمعا كان ذلك دليلاً على الكبر .

إذا لم يكن في الزيادة فائدة فإن كانت الزيادة غير مُتَعَيِّنَةٍ فهو تطويل، وإن كانت مُتَعَيِّنَةً فهو حشو، مثال ذلك: «وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمِيناً»، الآن «كَذِباً وَمِيناً» معناهما: «كَذِبٌ»، أيُّهما الزائد؟
الطلبة: المين .

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: لا، الزيادة غير مُتَعَيِّنَةٍ، لا ندري هي الأولى أو الثانية، لو قال: «وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً» صَحَّ، و«أَلْفَى قَوْلَهَا مِيناً» صَحَّ، فلا ندري أيُّهما الزائد .
قد يقول قائل كما قلتم: «إنَّ الزائد هو الثاني؛ لأنه لو اقْتَصَرَ على «كَذِباً» استغنى عن الثاني» .

فيقال: إنَّ الواو- التي هي حرف العطف- تقتضي الاشتراك، وإذا كانت تقتضي التشريك صارت الكلمتان كأنهما كلمة واحدة، فأحدهما يُسْتَعْنَى عنه ولا يُعْلَمُ أيُّهما .
وأما «وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ» فالثانية زائدة قطعاً؛ لأنَّ كلمة «أَمْسٍ» تُغْنِي عن «قَبْلَهُ»، وليس بينهما عطف بالواو حتى نقول إنَّ هناك اشتراكاً .
بَقِيَّةُ الْبَيْتِ: «وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي عَدِ عَمٍ» يعني: لا أعلم .
الخلاصة:

- إن زاد اللفظ على المعنى فهو إطناب .

- وإن كان المعنى أكثر فهو إيجاز .

- وإن تساوى اللفظ والمعنى فهو مساواة، قولك: «قام زيدٌ» مساواةً، وأكثر الكلام مساواةً .

- الإطناب إن لم يكن فائدة في الزيادة فهو تطويل، فإن تَعَيَّنَتِ الزيادة فهو حشو .

والإخفاء، وسأمة المحادثة^(١).

ومن دواعي الإطناب: تثبيت المعنى، وتوضيح المراد، والتوكيد، ودفع الإيهام^(٢).

* * *

(١) صحيح، أو الإنسان له شغل مثلاً، فأسباب الإطناب كثيرة:

- تسهيل الحفظ، ولذلك صار العلماء رحمهم الله يختصرون الكتب المطولة.
- تقريب الفهم، أيضاً رُبما إذا طال الكلام يُنسي آخره أوله، فإذا صار قصيراً فهمه الإنسان.
- ضيق المقام، يكون الإنسان عَجلاً لا يستطيع أن يطول؛ لأن المقام لا يقتضي.
- الإخفاء، يعني أنه يحذف بعض الأمور إخفاء لها.
- سامة المحادثة، يعني أن الذي تخاطبه سيئ منك، وتَشعر هذا إذا قلت «خلاص» وهو يقول: «كيف حالك، كيف العيال، كيف الحرُّ عندكم...؟»، نُفَصِّلُ كُلَّ شَيْءٍ!!؟، تقول له: «خلاص» ويَظَلُّ يسأل!، هنا يَحْسُنُ الإيجاز.
- ولذلك ينبغي إذا خاطبنا الناس الذين عندهم أشغال كثيرة ألا نُطَوِّلَ عليهم، نُقْصِرْ على «السلام عليكم، كيف حالكم، ما تقول في كذا وكذا؟»، أو تسأل حاجتك التي تريد.

(٢) هذه من الدواعي، ومن الدواعي: بلاقة المخاطب، إذا كان المخاطب أبله يحتاج أن نُطَوِّلَ له وتأتي بالمرادف وبالتوكيد حتى يفهم، ولعلّه داخل في قول المؤلف: «توضيح المراد».

أقسام الإيجاز

الإيجازُ إمَّا أن يكونَ بتضمينِ العبارةِ القصيرةِ معانيَ كثيرةً، وهو مَرَكُزُ عنايةِ البُلغاءِ، وبه تتفاوتُ أقدارُهم، ويُسمَّى: إيجازُ قِصَرٍ، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^(١) [البقرة: ١٧٩].

(١) النوع الأول وهو إيجاز القِصَر، هذا يَخْتَلِفُ فيه الناسُ اختلافاً عظيماً، قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ هذه عبارةٌ مُخْتَصَرَةٌ لَكُلِّهَا جَمَعَتْ بين الحُكْمِ وكَيْفِيَّةِ تَنْفِيذِهِ والغَايَةِ منه، الحُكْمُ: القِصَاصُ، الغَايَةُ منه: الحَيَاةُ، الحُكْمُ أن يُفْعَلَ بالجاني كما فَعَلَ. اشتهرَ عند الجاهليين عبارةٌ يتناقلونها وَيَزُونُ أَنَّهَا من أبلغِ العبارات، وهي قولهم: «القتلُ أنفى للقتل»^(*)، لكن لو قارَنتَ بينها وبين هذه الآية لَوَجَدْتَ الفَرْقَ العظيمَ؛ لأنَّ «القتلُ أنفى للقتل» كُلُّهَا قَتْلٌ ليس فيها حياة، ولأنَّها ليس فيها دليلٌ على أَنَّها مُقَاصَّةٌ. ودَكَرُوا عشرةَ أَوْجُهٍ في الفَرْقِ بينهما^(**)، مع أَنَّا لَا نَحْبِذُ هذا؛ لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّهُ لَا سِوَاءَ وَلَا مُقَارَنَةً بين صِفَاتِ الخَالِقِ والمَخْلُوقِ، والقرآنُ صِفَةُ الخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ. إذاً هذه فيها إيجازٌ قِصَرٍ؛ لِأَنَّهَا تَصَمَّنَتْ معانيَ كثيرةً مع أن كلماتها قليلةٌ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾.

- (*) قاتلها كِسْرَى الفرسِ أزدشير بن شيرويه، تُوفِّي سنة ١٢ هـ قبل فتح بلاد فارس.
- (**) أَجْمَلَ القزويني في ثمانِي نقاطِ الفروقِ التي فاقَتْ بها هذه الآيةَ الكريمةَ قولهم: «القتلُ أنفى للقتل»، فقال: «- أحدها: أنَّ عِدَّةَ حُرُوفٍ ما يَناظرُه منه وهو في «الْقِصَاصِ حَيَوةٌ» عشرةٌ في التلَفُظِ، وعِدَّةٌ حُرُوفُه أربعةٌ عشر. - وثانيها: ما فيه من التصريحِ بالمطلوبِ الذي هو الحَيَاةُ بالنصِّ عليها، فيكونُ أَرْجَحُ عن القتلِ بغيرِ حقٍّ؛ لكونه أدعى إلى الاتِّصافِ.
- وثالثها: ما يفيدُ تَكْيِيْراً «حَيَوةٌ» من التعظيمِ أو النوعية.
- ورابعها: اطِّرادُه، بخلاف قولهم، فإنَّ القتلَ الذي يَنْفِي القتلَ هو ما كان على وجهِ القصاصِ لا غيرَه.
- وخامسها: سلامته من التكرارِ الذي هو من عيوبِ الكلامِ، بخلاف قولهم.
- وسادسها: استِثْناؤُه عن تقديرِ محذوفٍ، بخلاف قولهم، فإنَّ تقديرَه: القتلُ أنفى للقتلِ مِنْ تَرْكِه.
- وسابعها: أنَّ القصاصَ ضدُّ الحَيَاةِ، فالجمعُ بينهما طَبَاقٌ.
- وثمانها: جعلُ القصاصِ كالمنعِ والمعدنِ للحَيَاةِ بِإِدْخَالِ (في) عليه.
- انظر: «الإيضاح في علومِ البلاغة» (ص ١٠٦).

وإِذَا أَنْ يَكُونَ بِحَذْفِ كَلِمَةٍ أَوْ جُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ مَعَ قَرِينَةٍ تُعَيِّنُ الْمَحْذُوفَ، وَيُسَمَّى: إِيْجَازَ حَذْفٍ.

- فَحَذْفُ الْكَلِمَةِ، كَحَذْفِ «لَا» فِي قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ [الطويل]:

فَقُلْتُ: يَمِينُ اللَّهِ أَتَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي^(١)

- وَحَذْفُ الْجُمْلَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٨٤] أَي: فَتَأَسَّ وَأَضْبِرَ.

- وَحَذْفُ الْأَكْثَرِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَازْسِلُونِ﴾ ٤٥ ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٥-٤٦]، أَي: أَرْسِلُونِي إِلَى يَوْسُفَ لِاسْتَعْبِرَهُ الرَّؤْيَا، فَفَعَلُوا، فَأَتَاهُ، وَقَالَ لَهُ: يَا يَوْسُفُ^(٢).

* * *

(١) التَّقْدِيرُ: «لَا أَتَبْرَحُ»؛ لِأَنَّ «أَتَبْرَحُ» وَ«أَزَالُ» وَ«فَتَى» وَ«انْفَكَّ» لَا تَعْمَلُ عَمَلُ «كَانَ» إِلَّا إِذَا سَبَقَتْ بِنَفْيٍ أَوْ مَعْنَاهُ.

(٢) بَدَلًا مِنْ كَلَامِ الْمُؤَلَّفِ الطَّوِيلِ هَذَا نَقُولُ: حَذْفُ الْأَكْثَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَازْسِلُونِ﴾، فَارْسَلُوهُ، فَاتَى يَوْسُفَ، وَقَالَ لَهُ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾، فَتَجَدَّ فِيهَا حَذْفًا، وَكَمَا قُلْتُ لَكُمْ قَبْلُ: الْغَالِبُ فِي الْقِصَصِ أَنْ يَكُونَ فِيهَا إِيْجَازٌ حَذْفٍ.

أقسام الإطناب

الإطنابُ يكونُ بأمرٍ كثيرة:

١- منها: ذِكْرُ الخاصِّ بعد العامِّ، نحو: «اجتهدوا في دروسكم واللغة العربية»^(١)، وفائدته: التنبيه على فضل الخاصِّ، كأنه ليرفعته جنس آخر مغاير لما قبله.

٢- ومنها: ذِكْرُ العامِّ بعد الخاصِّ، كقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلَسَ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٢) [نوح: ٢٨].

٣- ومنها: الإيضاح بعد الإبهام، نحو: ﴿أَمَذْكُرْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣٣﴾ أَمَذْكُرْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ [الشعراء: ١٣٢-١٣٣].

(١) الشاهد قوله: «واللغة العربية»؛ لأنها من دروسهم، لكن نصَّ عليها لما سيأتي، ومثله قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ السَّكِينَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]، فـ «الروح» بعض الملائكة، فهو من باب ذِكْرِ الخاصِّ بعد العامِّ.

(٢) قوله: ﴿وَلِوَلَدَيَّ﴾ هذا خاصٌّ، ﴿وَلَسَ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ أعمُّ لكنه خاصٌّ بالنسبة لقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، فصارت الآية فيها ترقُّ من العامِّ إلى ما هو أعمُّ، ﴿اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ ووالداه يدخلان بيته، ﴿وَلَسَ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، والفائدة: إرادة العموم بعد التخصيص.

في هذه الآية دليل على أنَّ أبوي نوح كانا مؤمنين؛ لأنه استغفرَ لهما ولم يثُمَّ عن ذلك، بخلاف إبراهيم عليه السلام، فإنه استغفرَ لأبويه ولكنه نُهي عن الاستغفار لأبيه، قال الله تعالى في إبراهيم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]^(*).

(*) ثم نُهي عن الاستغفار لأبيه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

٤- ومنها: التكريرُ لِغَرَضٍ:

كطولِ الفضلِ في قوله- [الطويل]:

وإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمٌ^(١)

وكزيادةِ الترغيبِ في العَفْوِ، في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوَّلَادِكُمْ
عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)
[التغابن: ١٤].

وكتأكيدِ الإنذارِ، في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾ ثُمَّ كَلَّا
سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) [التكاثر: ٣-٤].

٥- ومنها: الاعتراضُ: وهو تَوَسُّطُ لَفْظٍ بَيْنَ أَجْزَاءِ جُمْلَةٍ أَوْ بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ
مُرْتَبِطَتَيْنِ مَعْنَى لِيُغَرِّضَ، نحو [السريع]:

(١) الشاهد قوله: «إِنَّهُ لَكَرِيمٌ»، لو حَذَفَ «إِنَّهُ» وقال:

وإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا لَكَرِيمٌ

يستقيم الكلامُ، لكن لطول الفصل أعاد فقال: «إِنَّهُ لَكَرِيمٌ».

(٢) قوله: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا﴾، ﴿تَعَفَّوْا﴾: هذا العَفْوُ، لكنَّ العَافِيَ قد لا يَصْفَحُ،
قد يتكلم فيمن جئى عليه، لكن إذا صَفَحَ - يعني: أَعْرَضَ عنه وولاه صَفْحَةَ عُنُقِهِ - صار
أَبْلَغَ من مجرد العَفْوِ، ﴿وَتَغْفِرُوا﴾: هذا أبلغ، بأن تَسْتُرُوا عليهم، ولا يَبْقَى في قلوبكم
شيءٌ، فهو من باب التَّرَفُّي من الأدنى إلى الأعلى (*).

(٣) وكذلك في سورة النَّبَأِ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ﴿١﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [الآيتان: ٤-٥].

(*) سئل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ فيما بعد هذا السؤال:

الطالب: ما الفرق بين العَفْوِ والصَّفْحِ؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: العَفْوُ: عدم المُواخَذَةِ، والصَّفْحُ: الإعراض عن المعاقبة إعراضاً تاماً كأن شيئاً لم يكن،
لأنه رُبَّمَا يعفو ولا يعاقب لكن يبقى في قلبه شيءٌ، هذا عفا ولم يَصْفَحْ، أيها أكمل؟ الصَّفْحُ.

إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبُلَغَتْهَا - قَدْ أَخَوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ^(١)

ونحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ - سُبْحَنَهُ - وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(٢) [النحل: ٥٧].

٦- ومنها: التَّذْيِيلُ: وهو تَغْقِيبُ الجملةِ بِأُخْرَى تَشْتَمِلُ عَلَى معناها تأكيداً لها، وهو:

إِذَا أَنْ يَكُونَ جَارِياً مَجْرَى الْمَثَلِ؛ لِاسْتِقْلَالِ معناه واستغنائه عما قَبْلَهُ، كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وإذا أَنْ يَكُونَ غَيْرَ جَارٍ مَجْرَى الْمَثَلِ؛ لِعَدَمِ استغنائه عما قَبْلَهُ، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ فِي جُحِيمٍ إِلَّا الْكَافِرِينَ﴾^(٣) [سبا: ١٧].

(١) هذا تَوْسُطُ لَفْظٍ بَيْنَ أَجْزَاءِ جُمْلَةٍ، الجملة: «الثمانين» و«قد أخوجت»، و«بُلَغَتْهَا» جملة مُعْتَرِضَةٌ، يُخَاطَبُ الْمَلِكُ يَقُولُ: «وَبُلَغَتْهَا أَنْتَ»، فجملة «وَبُلَغَتْهَا» دُعَائِيَّةٌ يَدْعُو لَهَا بِأَنْ يَبْلُغَ الثَّمَانِينَ، «قَدْ أَخَوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ» يعني أَنَّهُ ثَقُلَ سَمْعُهُ لَمَّا بَلَغَ الثَّمَانِينَ، وَاحْتِاجٌ إِلَى تَرْجُمَانٍ يَعْنِي: أَحَدٌ يُبْلَغُ؛ لِأَنَّ الْمُبْلَغَ مُتَرْجِمٌ.

(٢) هذا بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ «سُبْحَنَهُ»، وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا جَعَلُوهُ لَهُ مِنَ الْبَنَاتِ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ «سُبْحَنَهُ» فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ مَوْضِعاً، كقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: ١]، فَالاحْتِرَازُ هُنَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ.

(٣) الشَّاهِدُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، فَهَذَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ مَثَلًا، كَلِمًا قِيلَ لَكَ: «إِنَّ الْبَاطِلَ خُذِلَ صَاحِبُهُ» تَقُولُ: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

الثَّانِي: «وَهُلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَافِرُونَ» لَا يُمْكِنُ أَنْ تَجْعَلَهَا مَثَلًا؛ لِأَنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ بِمَا قَبْلَهَا: «ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ فِي جُحِيمٍ إِلَّا الْكَافِرِينَ» هَذَا يُسَمَّى التَّذْيِيلَ؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَةَ وَقَعَتْ ذَيْلًا لِلْجُمْلَةِ الْأُولَى.

٧- ومنها: الاحتراس: وهو أن يُؤْتَى في كلامٍ يُوهِمُ خلافَ المقصودِ بما يَدْفَعُهُ، نحو [الكامل]:

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي^(١)

= وهنا: التذييل، والحاشية، والهامش، بينها فَرْقٌ:

١- الهامش يكون عن اليمين أو اليسار أو فوق.

٢- والحاشية أسفل.

٣- والتذييل أن يُؤْتَى بجملة بعد جملة لكن لها اتصال بها ونوع من التكميل.

(١) الشاهد قوله: «غَيْرَ مُفْسِدِهَا»، لأنه لو قال: «فَسَقَى دِيَارَكَ صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي»؛ لَأَوْهَمَ أَنَّهُ إِذَا كَثُرَ الْمَطَرُ يُفْسِدُ الدِّيَارَ، فقال: «غَيْرَ مُفْسِدِهَا»، هذا احتراس.

وبهذا انتهى عِلْمُ المعاني، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تكونوا اِنْتَفَعْتُمْ ولو ببعض الشيء، لأننا قَصَدْنَا أَلَّا نَطُولَ خَوْفًا مِنْ أَلَّا نَكْمُلَ.

(أَسْئَلَةُ الطَّلَبَةِ لِلشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ)

س١:

الطالب: في الدعاء، هل الأفضل الإطناب أو المساواة^(*)؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: لا، الأفضل الإطناب، الغالبُ في الدعاء الإطنابُ، وقد يكون إيجازاً مثل: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً» [البقرة: ٢٠١] هذا إيجازٌ يشمل ما لا يُحْصَى، لكن: «اللهم اغفر لي جَدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطْئِي، وَعَمْدِي»، «اللهم اغفر لي ما قَدَّمْتُ، وما أَخَّرْتُ، وما أَعْلَنْتُ، وما أَسْرَرْتُ»؛ هذه كلها إطنابٌ.

س٢:

الطالب: هناك نوع من الإطناب من البعض^(**) يقول: «اللهم اغفر لي ولأبي وعمي وخالي...؟»

=

(*) لعلَّ الطالبَ أَرَادَ بِالمُساوَاةِ الإيجازَ.

(**) في الأصل: «بعض الأئمة».

= فأجاب رحمته: هذا إطنابٌ غيرٌ محمودٍ، يقول: «اللهم اغفر لي ولأبي وأمي وخالي وعمي وجدي وجاري وصديقي...!!»، الإطنابُ فيما يتعلقُ بنفسِ الإنسان.
س: ٣:

الطالب: ما الفرق بين الزيادة المتعينة والزيادة غير المتعينة؟
فأجاب رحمته: الفرق بينهما أنه إذا كان العطف بالواو فالزيادة غير متعينة؛ لأن الواو تقتضي التشريك، فلا يُدْرَى أيُّهما المقصود، أما إذا كان ليس بينهما عطف فالزيادة هي الأخيرة.
س: ٤:

الطالب: ما الفرق بين البدل والبيان؟
فأجاب رحمته: البدل: مساواة الشيء للشيء، مثل «زيد أخوك»، «قام زيد أخوك»، أما البيان فهو لا بُدَّ أن يكون فيه زيادةٌ معنىً تَوْضُحُ.
س: ٥:

الطالب: الله سبحانه وتعالى يَسْمَعُ من العبد كلامه، وَيَعْرِفُ معنى ما يَقْصِدُ، وَيَفْهَمُ ما يريد...

الشيخ مُصَوِّباً: قل: «يَعْلَمُ» أحسن من «يَفْهَمُ»؛ الله لا يُوصَفُ بالفهم (*).
الطالب مُكْمِلاً: لكن الرسول ﷺ والسلف الصالح إذا دَعَوْا الله سبحانه وتعالى بَسَطُوا الدعاء، والله يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ يا شيخ! لا بُدَّ أَنْ هذا فيه فائدة، لا أدري ما فائدته؟
فأجاب رحمته: الفائدة هو إظهار الفقر إلى الله عزَّ وجلَّ، كلما كَثُرَ الدعاء فهذا يُكْثِرُ إظهار الحاجة والفقر إلى الله عزَّ وجلَّ، ثانياً: جَرَتْ العادة أَنَّ الحبيب مع حبيبه يحب التبسط معه والزيادة في المناجاة، ثالثاً: استحضار كلِّ واحدٍ، يعني مثلاً: «اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله»، تستحضر جميع أنواع الذنوب: الدقيق، والجليل، والذي أَسْرَزْتَهُ، والذي أَعْلَنْتَهُ.

(*) من عقيدة أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث أَنَّ صفاتِ الله سبحانه وتعالى توقيفيةٌ، فلا يُوصَفُ الله عزَّ وجلَّ إلا بما وَصَفَ به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فلم يَرِدْ في نصوص الكتاب والسنة وصفُ الله عزَّ وجلَّ بالفهم، خلافاً لصفة العلم التي اتَّصَفَ بها كثيراً كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَلْمِزْ أُنَاسًا أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ وَلَمْ يَلْمِزْهُمْ وَتَجَوَّبَهُنَّ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ [التوبة: ٧٨]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبٍ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨].

عِلْمُ الْبَيَانِ

عِلْمُ الْبَيَانِ

البيان: عِلْمٌ يُنَحِّثُ فِيهِ عَنِ التَّشْبِيهِ، وَالْمَجَازِ^(١)، وَالْكِنَايَةِ^(٢).

* * *

- (١) معلوم أن المؤلف رحمته الله كثيره من عامة العلماء [الذين] يُشَبِّهُونَ المجازَ، والمسألة خلافية: هل في اللغة العربية مجازٌ، أو كلها حقيقة، أو كلها مجازٌ؟ بعض العلماء يقول- علماء اللغة-: «كلُّ ألفاظِ اللغة العربية كلها مجازٌ، حتى قول الإنسان «قام زيدٌ» مجازٌ»، وقد تكلم على هذا ابن القيم رحمته الله في كتابه «الصواعق المرسلّة»، وقرأت هذا في مختصر الصواعق، وبين أقوال الناس في هذا.
- (٢) الكناية نوعٌ من المجاز كما سيأتي.

التشبيه

التشبيه

التشبيه: إلحاق أمرٍ بأمرٍ في وَصْفٍ بأداةٍ لِعَرَضٍ^(١).

والأمرُ الأوَّلُ يُسمَّى: المُشَبَّه، والثاني: المُشَبَّه به، والوصفُ: وَجْهُ الشَّيْءِ، والأداةُ: الكافُ أو نحوها، نحو: «العِلْمُ كالثَّوْرِ في الهداية»؛ ف :

- «العِلْمُ»: مُشَبَّه.

- و«الثَّور»: مُشَبَّه به.

- و«الهداية»: وَجْهُ الشَّيْءِ.

- والكافُ: أداة التشبيه^(٢).

وَيَتَعَلَّقُ بِالتَّشْبِيهِ ثَلَاثَةٌ مَبَاحِثُ: الأوَّلُ في أركانِهِ، والثاني في أقسامِهِ، والثالثُ في الغَرَضِ مِنْهُ.

* * *

(١) إلحاق أمرٍ بأمرٍ: هناك مُلْحَقٌ ومُلْحَقٌ به.

في وَصْفٍ: لا بُدَّ أن يكون هناك وَصْفٌ جامعٌ.

بأداةٍ: وهي أداة التشبيه كـ «الكاف» و«مثل» و«كأن» وما أشبه ذلك.

لِعَرَضٍ: أي: لِعَرَضٍ من أغراض التشبيه، فإذا قلت: «فلانٌ كالبحر» ما الغرض؟ كثرةُ الكَرَمِ، وَسَعَةُ الكَرَمِ، فلا بُدَّ من عَرَضٍ، وستأتي - إن شاء الله - أغراضُ التشبيه.

(٢) إذا أربعة أركانٍ: مُشَبَّه، مُشَبَّه به، أداة تشبيه، وَجْهُ شَيْءٍ، أضعفُ أنواعِ التشبيه هو الذي دُكِرَ فِيهِ جَمِيعُ أركانِ التشبيه.

المبحث الأول في : أركان التشبيه

أركان التشبيه أربعة: المُشَبَّه، والمُشَبَّه به- وَيُسَمَّيانِ طَرَفَي التشبيه-، وَوَجْه التشبيه، والأداة.

وَوَجْه التشبيه: هو الوصف الخاص الذي قُصِدَ اشتراك الطرفين^(١) فيه، ك «الهداية» في «العِلْم» و«الثَّور»^(٢).

وأداة التشبيه: هي اللفظ الذي يَدُلُّ على معنى المُشَابَهَةِ، ك «الكاف» و«كَأَنَّ» وما في معناهما^(*).

والكاف يليها المُشَبَّه به، بخلاف «كَأَنَّ» فيليها المُشَبَّه، نحو [الطويل]:

كَأَنَّ الثُّرَيَّا رَاحَةً تَشْبُرُ الدُّجَى لَتَنْظُرَ طَالَ اللَّيْلِ أَمْ قَدْ تَعَرَّضَا

و«كَأَنَّ» تُفِيدُ التشبيه إذا كان خبرها جامداً، والشك إذا كان خبرها مُشْتَقًّا^(**)، نحو: «كَأَنَّكَ فَاهِمٌ»^(٣).

(١) «الطرفين» يعني: المُشَبَّه والمُشَبَّه به.

(٢) أين المثال الذي ذَكَرَ؟: «العِلْمُ كالثَّور في الهداية».

(٣) هذه فائدة:

- إذا كان خَبَرُ «كَأَنَّ» جامداً فهي للتشبيه، نقول: «كَأَنَّكَ أَسَدٌ»، أسد: جامد، «كَأَنَّكَ =

(*) أداة التشبيه إما أن تكون:

١- اسماً: مِثْل، شَبَّه، نحو...

٢- فعلاً: يَحْكِي، يُشَابِه، يُضَاهِي، يُضَارِع، يُمَانِل... (واسم الفاعل منها يفيد التشبيه).

٣- حرفاً: الكاف، كَأَنَّ.

(**) وقد تفيد التشبيه مع كون خبرها مشتقاً، نحو: كَأَنَّكَ قَائِد شجاع.

وقد يُذَكَّرُ فِعْلٌ يُشَبِّهُ عَنِ التَّشْبِيهِ، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْشُورًا﴾^(١) [الإنسان: ١٩].

وَإِذَا حُذِفَتْ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ وَوَجْهُهُ سُمِّيَ تَشْبِيهًا بَلِيغًا، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لَيَاسًا﴾ [النبا: ١٠]، أي: كاللَّيَاسِ فِي السُّتْرِ^(٢).

* * *

= بَحْرٌ جامد، هذه للتشبيه.

- إذا كان مُشْتَقًّا (سواء كان فعلاً أو اسمَ فاعلٍ) فَإِنَّهُ يَكُونُ لِلظَّنِّ، يقول المؤلف: «الشُّكُّ»، والمراد: الظَّنُّ، مثاله: «كَأَنَّكَ تَقْهَمُ» يعني: أَطْنُكَ فَاهِمًا، وتقول: «كَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ هَذَا الشَّيْءَ»، هذا أيضاً لِلظَّنِّ.

(١) ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾ يعني: «ظَنَنْتَهُمْ».

﴿لُؤْلُؤًا مَّنْشُورًا﴾؛ لَأَنَّهُمْ يُشَابِهُونَ اللَّوْلُؤَ الْمَشْورَ.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ الضمير في «هم» يعود على الولدان.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْشُورًا﴾ يعني: بِكَثْرَتِهِمْ وَحُسْنِهِمْ وَبِهَائِهِمْ.

المهم أفهموا التشبيه، إذا اجتمعت أركان التشبيه الأربعة: المُشَبَّه، المُشَبِّه به، أداة التشبيه، وجه الشَّبه؛ فالذي يليه المُشَبَّه: «كَأَنَّ»، والذي يليه المُشَبِّه به: الكاف.

«كَأَنَّ» تكون للتشبيه إذا كان خَبَرُهَا جامداً، تتعَيَّنُ أَنْ تَكُونَ لِلتَّشْبِيهِ، وتكون لِلظَّنِّ إذا كان خَبَرُهَا مُشْتَقًّا، سواء اسمَ فاعلٍ أو اسمَ مفعولٍ أو فعلاً مضارعاً أو فعلاً ماضياً، المهم أن يكون مُشْتَقًّا.

(٢) التشبيه البليغ: هو الذي حُذِفَتْ فِيهِ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ وَوَجْهُ الشَّيْءِ، تقول: «محمدٌ كالبحر في الكرم»، كيف نجعله بليغاً؟: «محمدٌ بَحْرٌ»، هذا بليغٌ؛ لِأَنَّكَ بَالِغْتَ فِي التَّشْبِيهِ حَتَّى جَعَلْتَ المُشَبَّهَ نَفْسَ المُشَبِّهِ بِهِ.

وستأتينا- إن شاء الله تعالى- أقسامَ أخرى، لكن المؤلف أراد أن يشير إشارة.

المبحث الثاني في: أقسام التشبيه

ينقسم التشبيه باعتبار وَجْهِ الشَّبَهِ إلى تمثيل وغير تمثيل^(١):

- فالتمثيل: ما كان وَجْهُهُ مُتَّزِعاً مِنْ مُتَعَدِّدٍ، كتشبيه الثُّرَيَّا بعنقود العنب المُنَوَّرِ^(٢).

- وغير التمثيل: ما ليس كذلك، كتشبيه النُّجْمِ بالدُّرْهِمِ^(٣).

وينقسم أيضاً- بهذا الاعتبار- إلى مُفْصَّلٍ وَمُجْمَلٍ:

- فالأول: ما ذُكِرَ فِيهِ وَجْهُ الشَّبَهِ، نحو [المُجَنَّبُ]:

وَتَنَفَّرُهُ فِي صَفَاءٍ وَأَذْمُعِي كَاللَّالِي^(٤)

- والثاني: ما ليس كذلك، نحو: «النَّحْوُ فِي الْكَلَامِ كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ»^(٥).

(١) - فَإِنْ كَانَ مُفْرَداً بِمُفْرَدٍ فَغَيْرُ تَمَثِيلٍ.

- إِذَا كَانَ جَمْعاً بِمُفْرَدٍ فَغَيْرُ تَمَثِيلٍ.

- إِذَا كَانَ مُفْرَداً بِجَمْعٍ فَتَمَثِيلٌ.

- أَوْ جَمْعاً بِجَمْعٍ فَتَمَثِيلٌ.

(٢) هذا تمثيل؛ لَأَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْهَيْئَةِ وَمِنَ الْحَبَّاتِ الَّتِي فِي الْهَيْئَةِ، الْهَيْئَةُ: جُزْءٌ مُنْضَمٌّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، الْحَبَّاتُ مُتَعَدَّدَةٌ، فَيُسَمَّى هَذَا تَشْبِيهَ تَمَثِيلٍ.

(٣) وَتَشْبِيهَ خَصَا الْجِمَارِ بِحَبِّ الْبَاقِلَاءِ، هَذَا يَكُونُ غَيْرَ تَمَثِيلٍ.

(٤) قوله: «فِي صَفَاءٍ» هَذَا وَجْهُ الشَّبَهِ، «وَأَذْمُعِي كَاللَّالِي» هَذَا الْمُشَبَّهُ بِهِ.

(٥) النحور في الكلام كالمِلْح في الطعام في تقويمه وتهذيبه وطعمه، فوجه الشبه محذوف.

وينقسم باعتبارِ أداتِهِ إلى :

- مُؤَكِّدٌ : وهو ما حُدِّقَتْ أدَاتُهُ، نحو: «هو بَخْرٌ في الجُودِ».

- ومُرْسَلٌ : وهو ما ليس كذلك، نحو: «هو كالبحرِ كَرَمًا»^(١).

وَمِنَ الْمُؤَكِّدِ مَا أُضِيفَ فِيهِ الْمُشَبَّهُ بِهِ إِلَى الْمُشَبِّهِ، نحو [الكامل]:

وَالرَّيْحُ تَغَبَّتْ بِالْفُصُونِ، وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ^(٢)

* * *

(١) الآن:

- إِذَا وُجِدَ الطَّرَفَانِ فَقَطْ فَهُوَ بَلِيغٌ.

- إِذَا حُدِّقَ وَجْهَ الشَّبَّهِ وَبَقِيََتِ الْأَدَاةُ فَهُوَ مُجَمَّلٌ مُرْسَلٌ.

- إِذَا حُدِّقَتِ الْأَدَاةُ وَوَجْهَ الشَّبَّهِ فَهُوَ مُؤَكِّدٌ مُفْصَّلٌ.

- وَإِنْ وُجِدَ الْجَمِيعُ فَهُوَ ضَعِيفٌ، يُقَالُ لَهُ: مُرْسَلٌ مُفْصَّلٌ.

(٢) «ذَهَبُ الْأَصِيلِ» لِأَنَّ الْأَصِيلَ - وَهُوَ آخِرُ النَّهَارِ - يَكُونُ أَصْفَرَ كَالذَّهَبِ، الْمُشَبَّهُ بِهِ:

الذَّهَبُ، وَالْأَصِيلُ: مُشَبَّهٌ؛ لِأَنَّ الْأَصِيلَ تَضْفَرُ بِهِ الشَّمْسُ فَتَكُونُ كَالذَّهَبِ، «عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ» اللَّجَيْنِ: الْفِصَّةُ، وَالْمَعْنَى: عَلَى مَاءِ كَاللُّجَيْنِ.

المبحث الثالث في: أغراض التشبيه

الغَرَضُ مِنَ التَّشْبِيهِ:

١- إِمَّا بَيَانُ إِمْكَانِ الْمُشَبَّهِ، نحو [الوافر]:

فَإِنْ تَفَقَّى الْأَنَامَ- وَأَنْتَ مِنْهُمْ- فَإِنَّ الْمِسْكَ بَغْضِ دَمِ الْغَزَالِ
فَإِنَّهُ لَمَّا ادَّعَى أَنَّ الْمَمْدُوحَ مُبَايِنٌ لِأَصْلِهِ بِخَصَائِصٍ جَعَلَتْهُ حَقِيقَةً مُتَفَرِّدَةً؛
اخْتَجَّ عَلَى إِمْكَانِ دَعْوَاهُ بِتَشْبِيهِهِ بِالْمِسْكِ الَّذِي أَصْلُهُ دَمُ الْغَزَالِ^(١).

٢- وَإِمَّا بَيَانُ حَالِهِ، كما في قوله [الطويل]:

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَنْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبٌ^(٢)

(١) يُسَمَّى هَذَا النُّوعُ مِنَ التَّشْبِيهِ «التَّشْبِيهُ الضَّمْنِيُّ»؛ لِأَنَّهُ خِلَا مِنْ أَدَوَاتِ التَّشْبِيهِ.

يُخَاطَبُ الْمَمْدُوحُ يَقُولُ: «إِنْ كُنْتُ أَعْلَى مِنَ الْأَنَامِ- وَأَنْتَ مِنْهُمْ مِنْ مَادَّتِهِمْ مِنْ تَرَابٍ
ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ- فَإِنَّ ذَلِكَ مُمَكِّنٌ، وَدَلِيلُ الْإِمْكَانِ أَنَّ الْمِسْكَ بَغْضِ دَمِ الْغَزَالِ»،
وَمَعْلُومُ الْفَرْقِ بَيْنَ الدَّمِ وَبَيْنَ الْمِسْكِ أَنَّ أَصْلَهُ^(*)، يَقُولُ: «أَنْتَ أَيْضاً أَيُّهَا الْمَخَاطَبُ
أَنْتَ مِنَ الْأَنَامِ، مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ، وَلَكِنَّكَ تَفُوقُهُمْ كَمَا يَفُوقُ الْمِسْكَ دَمُ الْغَزَالِ».
(٢) هَذَا يُبَيِّنُ حَالَهُ مَعَ الْمَلُوكِ، يَقُولُ: إِنَّكَ أَنْتَ تَفُوقُ الْمَلُوكَ، وَحَالُكَ مَعَهُمْ كَحَالِ الشَّمْسِ
مَعَ الْكَوَاكِبِ، الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَخْتَفِي النُّجُومُ، فَهَذَا الْمَلِكُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَلُوكِ =

(*) هُنَا أَخَذَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ يَشْرَحُ لِلطَّلِبَةِ عَمَلِيَّةَ اسْتِخْرَاجِ الْمِسْكِ، فَقَالَ: «يَقَالُ: إِنَّ هُنَاكَ غَزَلاً نَاصِياً مُعَيَّنَةً تُسَمَّى
غَزَالُ الْمِسْكِ، يُمَرَّنُونَهَا عَلَى رِيَاضَاتٍ مُعَيَّنَةٍ ثُمَّ يَنْفُتِحُ فِي بَطْنِهَا سُرَّةٌ، وَيُحَكِّمُونَ غَزْلَ هَذِهِ السُّرَّةِ عَنْ بَقِيَّةِ
الْبَدَنِ بِخَيْطٍ يَرِطُوتَهَا جَيِّدًا حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْهَا الدَّمُ، وَبَعْدَ مَدَّةٍ تَنْبَسُ وَتَتَفَصَّلُ، هَذَا الدَّمُ الَّذِي فِيهَا هُوَ
الْمِسْكُ، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ أَنْوَاعِ الطَّيِّبِ، أَصْلُ هَذَا الْمِسْكِ مَا هُوَ؟ الدَّمُ، وَمَعَ ذَلِكَ صَارَ طَيِّبًا لَا نَظِيرَ لَهُ».

٣- وإِذَا بَيَّانُ مِقْدَارِ حَالِهِ، نحو [الكامل]:

فِيهَا اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً سُوداً كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ
شَبَّهَ الثُّوقَ السُّودَ بِخَافِيَةِ الْغُرَابِ؛ بَيَّاناً لِمِقْدَارِ سَوَادِهَا^(١).

٤- وإِذَا تَقْرِيرُ حَالِهِ، نحو [الكامل]:

إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وَدَّهَا مِثْلُ الرُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لَا يُجْبَرُ
شَبَّهَ تَنَافُرَ الْقُلُوبِ بِكَسْرِ الرُّجَاجَةِ؛ تَثْبِيثاً لِمَقْدَارِ عَوْدَتِهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ
الْمَوَدَّةِ^(٢).

= الآخرين كالشمس مع الكواكب، تختفي معه الملوك في كل شيء: في الشجاعة، في
الكرم، في السماحة، في الجدق، في كل شيء.
(١) كثيراً ما يأتي التشبيه ليبين مقدار الشيء، السواد معلوم أنه قد يكون فاتحاً، وقد يكون شديداً
السواد، فهنا عرفنا أن هذه الثوق الأربعين شديدة السواد.
(٢) هذا البيت ليس بصحيح؛ لأن القلوب قد يتنافر ودّها ثم يرجع الودّ وهذا كثيراً، ودليله
قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وأيضاً^(*): «أحبّ حبيبك هوناً ما؛
فمسي أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما؛ فمسي أن يكون حبيبك يوماً
ما»، وهذا يزوي حديثاً ولكنه ضعيف.
الشاهد من هذا البيت غير صحيح، لكن على ما يريده الشاعر به نقول: هذا المقصود
به تقرير الحال.

(*) قال الشيخ رحمه الله بعدما تلا الآية: «وقال الشاعر» ثم ذكر الحديث، ولعله رحمه الله أراد قول النمر بن توبل
نحو [المقارب]:

أَحْبَبْتُ حَبِيبَكَ هَوْنًا زَوَيْدًا فَقَدْ لَا يَمُوتُكَ أَنْ تَصْرِمَا
وَأَبْغَضْتُ بَغِيضَكَ هَوْنًا زَوَيْدًا إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا

والحديث رواه الترمذي (٢٨/٦٠) وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ١٧٨).

٥- وإِذَا تَزَيَّيْنَتْهُ، نحو [مجزوء الكامل]:

سَوْدَاءُ وَاضِحَةٌ الْجَبِيبِ مِنْ كَمُفَلَةٍ الظَّنِّي الْغَرِيرِ
شَبَّهَ سَوَادَهَا بِسَوَادِ مُفَلَّةِ الظَّنِّي؛ تحسیناً لها^(١).

٦- وإِذَا تَقَبَّيْحَتْهُ، نحو [الكامل]:

وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يُقَهِّقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ^(٢)

وقد يعودُ الغَرَضُ إلى المُشَبِّهِ به إذا عكسَ طَرَفًا التشبيهِ، نحو [الكامل]:

(١) هذا يخاف أن يَهْجُوهُ النَّاسُ باختيار السُّوداءِ، فَيَبَيَّنَ أَنَّ سَوَادَهَا كَمُفَلَّةِ الظَّنِّي الْغَرِيرِ، وهذا لا شكَّ أَنَّهُ تحسِينٌ.

(٢) هو إذا قام يتحدث صار مِثْلَ الْقِرْدِ الذي يضحك، وإذا قام يشير بحديثه صار كأنه عَجُوزٌ تَلْطِمُ على رَأْسِهَا، عندما يسمع الإنسان عن هذا الخطيب أَنَّهُ بهذه الحال؛ [فهل] يَرْغَبُ في سماعه؟ لا؛ لَأَنَّهُ قَبَّحَهُ عنده.

يقول الشاعر^(*) في الْعَسَلِ [البسيط]:

تَقُولُ: «هَذَا مُجَاعُ النَّحْلِ»، تَمْدَحُهُ وَإِنْ نَشَأَ قُلْتَ: «ذَا قَيْءُ الرُّنَابِيرِ»

مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصَفَهُمَا وَالْحَقُّ قَدْ يَغْتَرِيهِ سَوْءُ تَعْبِيرِ

وهذا صحيح، ولهذا قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِخْرًا»^(**)، أحياناً يتكلَّم الإنسان (وعنده فصاحة) عن شيءٍ كنتَ راغباً فيه، فإذا به يَنْزِلُهُ إلى أَسْفَلَ مِنَ الْقَدَمَيْنِ، أو بالعكس.

(*) هو ابن الرومي، أمَّا رواية الأبيات كما في «ديوانه/١٥٢»:

ففي زخرف القول ترجيح لقائله والحق قد يعتريه بعض تغيير

تقول: «هذا مجاع النحل» تمدحه وإن تعبت قلت: «ذا قئ الرنابير»

مدحاً وذمّاً وما جاوزت وصفهما سخر البيان يري الظلماء كالنور

(**) رواه البخاري (٥١/٧٦) عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ومسلم (٧/٤٧) عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَبَدَا الصُّبَّاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

وَمِثْلُ هَذَا يُسَمَّى بِالتَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبِ^(١).

* * *

(١) «بدا الصُّبَّاحُ» والصُّبَّاحُ إذا بدا بدا مُسْفِراً، «كَأَنَّ غُرَّتَهُ» يعني: بياضه «وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ»، وكان الأولى أن يقول: «كَأَنَّ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ غُرَّةَ الصُّبَّاحِ»، لكنه عَكَسَ، فيكون هنا الغرض تحسينَ المُشَبَّهِ بِهِ.

المَجَاز

المَجَاز^(١)

هو اللَّفْظُ المُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ لِإِعْلَاقِهِ مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ

(١) المَجَازُ هل هو موجودٌ في اللُّغة أو لا؟

من العلماء مَنْ أنكر أن يكون موجوداً في اللُّغة، وَحُجَّتُهُ أَنَّ المعنى إِنَّمَا يُعَيِّنُهُ السِّياقُ وقرائنُ الأحوالِ، وَأَنَّ الكلماتِ نَفْسُهَا ليس لها معنى ذاتي بل هي بِحَسَبِ التركيبِ، وإذا كانت بِحَسَبِ التركيبِ صار الذي يُعَيِّنُ المعنى هو السِّياقُ، وإذا تَعَيَّنَ المعنى فهذا هو الحقيقة، فإذا قلت: «رَأَيْتُ أَسْداً يَحْمِلُ سَيْفًا» هل يمكن لأَيِّ واحدٍ يَسْمَعُ هذا الكلامَ أن يَشْتَبِهَ عليه الأسدُ الحَقِيقِيُّ بِالْأَسَدِ الشَّجَاعِ، أو لا يمكن؟ لا يمكن، إذاً هو حقيقة، هذا اللَّفْظُ مُسْتَعْمَلٌ حَقِيقَةً فِي مَوْضِعِهِ بِقَرِينَةِ الْحَالِ، لكن لو قلت: «رَأَيْتُ أَسْداً» فهذا لا يمكن أن يُرَادَ بِهِ الرَّجُلُ الشَّجَاعُ؛ لأنَّ الكلمةَ موضوعَةً فِي الْأَصْلِ لِلْحَيَوَانِ الْمُفْتَرَسِ المعروفِ، فَتَحْمَلُ عند عدم القَرِينَةِ على ما وُضِعَتْ لَهُ أَوَّلًا، وهذا الذي حَقَّقَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَأَطَالَ فِيهِ فِي كِتَابِ «الْإِيمَانِ»^(*)، وَلَخَصَّهُ تَلْمِيذُهُ ابْنُ الْقَيِّمِ وَقَرَّبَهُ إِلَى الْأَفْهَامِ بِكِتَابِهِ «الصَّوْاعِقُ الْمُرْسَلَةُ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْطَلَةِ».

على كُلِّ حَالٍ يَرَى هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ لَا مَجَازَ فِي اللُّغَةِ مُطْلَقًا، حُجَّتُهُمْ أَنَّ المعنى يُعَيِّنُهُ السِّياقُ، وَأَنَّ الكلمةَ بِسِياقِهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ بِهَا إِلَّا مَا سَبَقَتْ لَهُ وَهَذَا هُوَ الْحَقِيقَةُ.

ومِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ الْمَجَازَ فِي اللُّغَةِ وَاقِعٌ وَفِي الْقُرْآنِ مَمْنُوعٌ، كَالشَّيْخِ الشَّنْقِيطِيِّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: مُحَمَّدُ الْأَمِينُ، فَإِنَّهُ أَلَفَ رِسَالَةً^(**) تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَجَازَ مَمْنُوعٌ فِي الْقُرْآنِ لَكُنْهُ موجودٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، حُجَّتُهُ فِي ذَلِكَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ عِلَامَاتِ الْمَجَازِ جَوَازَ نَفْيِهِ، وَلَا شَيْءَ فِي الْقُرْآنِ يَجُوزُ نَفْيُهُ، فَيُطَّلَّ أَنْ يَكُونَ فِي الْقُرْآنِ مَجَازًا، مِثَالُ ذَلِكَ لَوْ قُلْتُ: «رَأَيْتُ أَسْداً يَحْمِلُ سَيْفًا» يَجُوزُ لأَيِّ وَاحِدٍ أَنْ يُعَارِضَكَ وَيَقُولَ: «هَذَا لَيْسَ بِأَسَدٍ، هَذَا رَجُلٌ شَجَاعٌ»، فَمِنْ عِلَامَاتِ الْمَجَازِ صِحَّةُ نَفْيِهِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَصِحُّ نَفْيُهُ. =

(*) وانظر «مجموع الفتاوى»: (٢١/٦ - ٢٢) (٨٧/٧ - ٩٠) (١١٢/٧ - ١١٤) (١٣/ ٣٧٩ - ٣٨٠)

(١٧/ ٨٩ - ٩٠) (٢٠/ ٤٠٣ - ٤٠٤) (٢٠/ ٤٥٤ - ٤٥٨) (٢٠/ ٤٦٤ - ٤٨٨) (٢٠/ ٤٩٠ - ٤٩٣).

(**) وهي بعنوان: «مَنَعُ جَوَازِ الْمَجَازِ فِي الْمُتَرَّلِ لِلتَّعْبِيدِ وَالْإِعْجَازِ».

المعنى السابق^(١)، كـ «الدَّرَر» المُسْتَعْمَلَة في الكلمات الفصيحة في قَوْلِكَ: «فلان

= لكن ما ذهب إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أَقْرَبُ إلى الصواب، ما دُمْنَا نقول: «إنَّ المعنى تابع للسياق وقرائن الأحوال»؛ فإنه لا مجاز فيه، ولهذا نَجِدُ الفَرْقَ حتى في تَبَرَاتِ الصوت، لو قلت لواحد: «اسْكُتْ» [قالها الشيخ بهدوء]، وآخَرُ: «اسْكُتْ» [قالها بشدة]؛ يُفْهَمُ من الأول: الأمر بالسكوت بطمأنينة، ومن الثاني: الزَّجْرُ بشدة، مع أنَّ الاختلاف في الأداء فقط، فالمعاني تُعَيِّنُها السياقات والقرائن.

لكن الجمهور على ثبوت المجاز في القرآن وفي اللغة العربية، فَلْتَنْظُرْ ما هو المجاز عندهم؟.

(١) يقول:

«هو اللَّفْظُ المُسْتَعْمَلُ في غير ما وُضِعَ له»، فخرج به: اللَّفْظُ المُسْتَعْمَلُ فيما وُضِعَ له، فإذا اسْتَعْمَلْتَ «أسداً» في الحيوان المفترس فهو غير مجاز، وإذا اسْتَعْمَلْتَهُ في الرَّجُلِ الشجاع فهو مجاز، لكن لا بُدَّ من قيود.

«لِلْعَلَاةِ» يعني: لا بُدَّ أن يكون بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي علاقة، ولهذا لا نستعمل الْخُبْزَ بَدَلِ الثياب، لو قلت: «اشتر لي ثياباً»، فذهبت واشتريت بها خُبْزاً وأتيت إليَّ بكيس خُبْزٍ؛ أنا قلتُ لك: ثياب!!، قلتُ: هذه مجاز، نقول: لا يصح المجازُ هذا، لماذا؟ لا علاقة بين هذا وهذا.

«مع قرينة مَانِعَة من إرادة المعنى الحقيقي»، فإن لم تُوجَدْ قرينة تَمْنَعُ من إرادة المعنى الحقيقي فليس بمجاز، ولا يجوز أن يُحْمَلَ على المجاز إذا لم يكن قرينة، ولهذا نقول للذين حرَّفوا آيات الصفات وأحاديثها: «ليس عندهم قرينة تَمْنَعُ من إرادة المعنى الحقيقي»، فإذا قالوا: «اليد بمعنى النعمة»، قلنا: «لماذا؟» قالوا: «لأنَّ هناك ما يَمْنَعُ إرادة المعنى الحقيقي - وهو عندهم: العقل -، ما يمكن أن يكون له يَدٌ يَلْزَمُ أن يكون جسماً، وأن يكون مُمَائِلاً للمخلوقات، وهذا مُمْتَنِعٌ»، ولذلك صار ارتكاب المجاز ركيزة يَرْتَكِزُ عليها الْمُعْطَلَةُ وَمَشَوْا على هذا.

الشروط:

- ١- أن يكون مُسْتَعْمَلاً في غير ما وُضِعَ له.
- ٢- أن يكون هناك علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.
- ٣- أن تُوجَدْ قرينة تَمْنَعُ من إرادة المعنى الحقيقي.

يتكلم بالذرر»، فإنها مُستعملة في غير ما وُضعت له، إذ قد وُضعت في الأصل للآلي الحقيقية، ثم نُقلت إلى الكلمات الفصيحة لعلاقة المُشابهة بينهما في الحُسْن، والذي يَمْنَع من إرادة المعنى الحقيقي قرينة «يتكلم»^(١).

وك «الأصابع» المُستعملة في «الأنامل» في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩]، فإنها مُستعملة في غير ما وُضعت له لعلاقة أن الأئمة جزء من الإصبع، فاستعمل الكل في الجزء، وقرينة ذلك أنه لا يمكن جعل الأصابع بتمامها في الآذان^(٢).

والمجاز إن كانت علاقته المُشابهة بين المعنى المجازي والمعنى

(١) العلاقة هنا: الحُسْن، ولذلك إذا قلنا: «فلان يتكلم بكلام كالذرر» وسئلنا: «أين وجه الشبه؟» قلنا: «الحُسْن»، والذي يمنع من إرادة المعنى الحقيقي قرينة وهي «يتكلم»؛ لأنه لا يمكن أن الدرر - التي هي اللآلي - تخرج من فيه إذا قام يتكلم، فصار «يتكلم» قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

(٢) ومن المعلوم أنه لا يمكن أن يجعل الإنسان كل الإصبع في الأذن، إذ أن المعروف أن ثقب الأذن لا يدخل فيه الإصبع، لا من جهة السعة ولا من جهة العمق، فعندنا الآن قرينة مانعة وهي: أن الأصابع لا يمكن أن تدخل كلها في الآذان، والمقصود: يجعلون أناملهم في آذانهم، فاستعمل الأصابع في الجزء من الأصابع، العلاقة: أن الأئمة التي عبر عنها بالإصبع جزء من الإصبع، فاستعمل الكل في الجزء، وقرينة ذلك: أنه لا يمكن جعل الأصابع بتمامها في الآذان.

أما الذين يمنعون المجاز فيقولون: من المعلوم عند كل مخاطب أنك إذا قلت: «فلان جعل إصبعه في أذنه» فالمراد: جعل جزءاً منه، ليس المراد أنه أدخل إصبعه كله، لكن أحياناً يقصد بذلك المبالغة.

الحقيقي - كما في المثال الأول - يُسَمَّى استعارة، وإلا فَمَجَازٌ مُرْسَلٌ كما في المثال الثاني^(١).

* * *

(١) إذا كانت العَلاقَةُ هي المِشَابَهَةُ فهو استعارة، وهذا هو الأكثر في المجاز، وإن كانت العَلاقَةُ غَيْرَ المِشَابَهَةِ سُمِّيَ مَجَازاً مُرْسَلاً، مثل: إطلاق الكل على البعض، أو البعض على الكل، أو السبب على المُسَبَّب، أو المُسَبَّب على السبب. الضابط: أن الاستعارة تكون عَلاقَتُها المِشَابَهَةُ، وما كان عَلاقَتُهُ غَيْرَ المِشَابَهَةِ فهو مَجَازٌ مُرْسَلٌ.

الاستِعَارَة

الاستعارة

الاستعارة: هي مجازٌ علاقتهُ المُشابهةُ، كقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، أي: من الضلال إلى الهدى، فقد استعملت «الظلمات» و«النور» في غير معنهما الحقيقي، والعلاقة: المُشابهةُ بين «الضلال» و«الظلام»، و«الهدى» و«النور»، والقرينة: ما قبل ذلك^(*).

(*) [ويقال في إجرائها: شُبِّهَتْ «الضلالة» بـ «الظلمة» بجامع عدم الاهتداء في كل، واستعير اللفظ الدال على المُشَبَّ به وهو «الظلمة» للمُشَبِّ به وهو «الضلالة»]

(١) ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾ الكتاب هو القرآن، والخطاب للنبي ﷺ، وأُضِيفَ الإخراج إليه؛ لأنه هو السبب، ولأنَّه المخرج حقيقةً هو الله عز وجل، ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: من ظلمات الجهل، ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي: إلى نور العلم. لو أَنَا أَحَدُنَا ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ على إطلاقها لكان المعنى: أَنَّ الرسول ﷺ يُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلَامِ - يعني: الظل - إلى الشمس مثلاً، أو من الحُجْرَةِ إلى فِنَائِهَا، لكن هل هذا المراد؟ لا، المراد ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: من الجهل الذي هو الضلال ﴿إِلَى النُّورِ﴾ يعني: إلى العلم والهدى.

القرينة المانعة من إرادة الظلمة الحسية: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾، فالقرآن لا يُخْرِجُ به النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ الحسية إلى النور الحسي، بل من الظُّلُمَاتِ المعنوية إلى النور المعنوي.

العلاقة: المُشابهة؛ لأنَّ الجهل يُشَبِّهُ الظُّلْمَةَ، إذ أنَّ الجاهل لا يهتدي، لا يدري، حيران، والعلم يُشَبِّهُ النور في الاهتداء.

(*) ما بين المعكوفتين حاشية للمؤلفين على قولهم «إلى الهدى»، وقد علق عليها الشيخ رحمه الله.

على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية^(١).

وأصل الاستعارة تشبيه حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ وَوَجْهُ شَبَهِهِ وَأَدَاتُهُ^(٢).

(١) ويقال أيضاً في «الثور» كذلك: شَبَّهَ الْعِلْمُ بِالْثُورِ بِجَامِعِ الْإِهْتِدَاءِ فِي كُلِّ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ لَفْظُ

«الثور»- لَفْظُ الْمُشَبَّهِ بِهِ- لِلْمُشَبَّهِ عَلَى سَبِيلِ الاستعارة التصريحية الأصلية.

- التصريحية: هي التي يُسْتَعَارُ فِيهَا الْمُشَبَّهُ بِهِ لِلْمُشَبَّهِ.

- الأصلية: هي التي ليست مُشْتَقَّةً، أَمَّا الْمُشْتَقَّةُ فَإِنَّهَا تَكُونُ تَبْعِيَّةً، وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّكَ

اسْتَعَرْتَ الْمَعْنَى أَوَّلًا ثُمَّ حَوَّلْتَهُ إِلَى مُشْتَقٍّ: اسْمِ الْفَاعِلِ، أَوْ اسْمِ الْمَفْعُولِ، أَوْ الْفِعْلِ

الْمَبْنِيِّ لِلْفَاعِلِ، أَوْ الْمَبْنِيِّ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

(٢) نَعَمْ، هَذَا أَصْلُ الاستعارة، أَصْلُهَا التَّشْبِيهُ، مِثَالُ ذَلِكَ: «مُحَمَّدٌ كَالْبَحْرِ فِي الْعَطَاءِ»:

- إْحَذِفْ وَجْهَ الشَّبَّهِ: مُحَمَّدٌ كَالْبَحْرِ.

- إْحَذِفِ الْأَدَاةَ: مُحَمَّدٌ بَحْرٌ.

- إْحَذِفْ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ، تَقُولُ: «رَأَيْتُ بَحْرًا يُنْفِقُ الْمَالَ عَلَى النَّاسِ بِلَا حِسَابٍ»، الْآنَ مَا

بَقِيَ مَعْنَا مِنْ أَرْكَانِ التَّشْبِيهِ إِلَّا طَرَفٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الْمُشَبَّهُ بِهِ.

وَعَلَى هَذَا فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ استعارةً كَوْنًا أَوَّلًا تَشْبِيهًا تَامًا ثُمَّ قَصْصَةً:

١- إْحَذِفْ وَجْهَ الشَّبَّهِ.

٢- ثُمَّ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ.

٣- ثُمَّ الْمُشَبَّهِ.

٤- ثُمَّ كَوْنُ جُمْلَةٍ يَتِمُّ بِهَا الْكَلَامُ.

حَسَنًا، أَرَدْتُ أَنْ تَمْدَحَ شَخْصًا بِالْعِلْمِ، فَتَقُولُ: «عَلِيٌّ كَالْبَحْرِ فِي السَّعَةِ»، مَاذَا تَعْمَلُ؟

١- إْحَذِفْ وَجْهَ الشَّبَّهِ: عَلِيٌّ كَالْبَحْرِ.

٢- إْحَذِفْ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ: عَلِيٌّ بَحْرٌ.

٣- إْحَذِفِ الْمُشَبَّهَ وَهُوَ «عَلِيٌّ».

٤- مَا الَّذِي يَبْقَى مَعَكَ؟ «بَحْرٌ»، «بَحْرٌ» كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ، اجْعَلْهَا فِي جُمْلَةٍ مُفِيدَةٍ: «رَأَيْتُ بَحْرًا

يُعَلِّمُ النَّاسَ».

والمُشَبَّه يُسَمَّى مُسْتَعَاراً له، والمُشَبَّه به يُسَمَّى مُسْتَعَاراً منه، ففي هذا المثال: المستعارُ له هو «الضَّلالُ» و«الهُدَى»، والمُستعارُ منه هو معنى «الظُّلام» و«الثَّور»، وَلَفْظُ «الظُّلُمَاتِ» و«الثَّورِ» يُسَمَّى مُسْتَعَاراً.

١ - وتنقسم الاستعارة [باعتبار ما يُذكر من الطرفين]:

١- إلى مُصَرَّحَةٍ: وهي ما صُرِّحَ فيها بلفظ المُشَبَّه به، كما في قوله [البسيط]:

فَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ، وَسَقَتْ وَزْدًا، وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

فقد استعارَ اللُّؤْلُؤُ والنَّارِجِسَ والوَزْدَ والعُنَابَ والْبَرْدَ للدموعِ والعيونِ والحدودِ والأناملِ والأسنانِ^(١).

= حَسَنًا، تريد أن تستعيرَ أسداً لرجل شجاع، ماذا تقول؟: «فلانٌ كالأسد في الشجاعة»:

١- إَحْذِفْ وَجْهَ الشَّيْءِ: فلانٌ كالأسد.

٢- إَحْذِفْ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ: فلانٌ أسدٌ.

٣- إَحْذِفِ الْمُشَبَّهَ: أسد.

٤- «أسد» لا بُدَّ أن تجعلها في جملة مفيدة، فتقول: «رايتُ أسداً يحمل سيفاً».

ولذلك المؤلفُ قَرَّبَهَا [بقوله]: «أصلُ الاستعارة تشبیه حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ وَوَجْهُ شَبَّهٍ وَأَدَاتُهُ».

(١) هذا البيت غريب، هل هو فصيح؟ نَعَمْ، لكن فصيحٌ تشدَّد في الاستعارة؛ استعار اللؤلؤ للدموع، والنَّارِجِسَ للعيون، والوَزْدَ للحدود، والعُنَابَ للأنامل، والْبَرْدَ للأسنان، معناه: أنها بَكَّتْ وَحَصَلَ مِنْ بَكَائِهَا مَا ذُكِرَ.

لو قال قائل: ذَكَّرْتُمْ أَنَّ الْمَجَازَ - سواءً علاقته المشابهة أو غير المشابهة - لا بُدَّ فيه من قرينة وعلاقة، فما هي القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي؟، [القرينة:] أنه لا =

٢- وإلى مَكْنِيَّة: وهي ما حُذِفَ فيها المُشَبَّه به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه، كقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، فقد استعار الطائر للذل، ثم حَذَفَهُ، ودَلَّ عليه شيءٍ من لوازمه وهو الجناح.

وإثبات الجناح للذل يُسَمُّوهُ استعارة تَخْيِيلِيَّة^(١).

= يمكن أن تُمَطَّرَ لولوا، وكذلك يقال في الباقي، أما العلاقة في كل الكلمات هذه فهي المشابهة، شبه دموعها باللولو، والغرض من ذلك التحسين، وكذلك يقال في البواقي. حسناً، ما العلاقة بين «العُتَاب» و«الأنامل»؟ [العلاقة:] اللون؛ لأنَّ العُتَابَ لَوْنُهُ أَحْمَرُ، وهذه قد صِبَغَتْ أناملُها بالجناء، فصارت تُشَبِّهُ العُتَابَ.

(١) نَعَمْ؛ لأنَّ الذَّلَّ - حقيقةً - ليس له جناح، لكن تَخَيَّلَهُ كأنه طائرٌ له جناح، فحَذَفَهُ ورَمَزَ إليه بشيءٍ من لوازمه، مثال ذلك أيضاً قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٦]، إذا جَعَلْنَا الاستعارة في كلمة «الضَّلَالَةُ» نقول: شَبَّهَتِ الضَّلَالَةُ بِالْمَتَاعِ؛ لأنَّ المتاع هو الذي يُشْتَرَى-، وحَذَفَ المتاعَ ورَمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو الشراء، فهذه استعارة مَكْنِيَّة، وقال الشاعر^(*) [الكامل]:

وَإِذَا الْمَيِّتَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ نَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

هل للمَيِّتَةِ أَظْفَارٌ تنشب؟ لا، لكنه شبه المَيِّتَةَ بِالْوَحْشِ أَنْشَبَ ظُفْرُهُ، وحَذَفَ الْوَحْشَ، ورَمَزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهي الأظفار.

صار:

- إذا وَجِدَ المُشَبَّه به فهي تصريحية.

- وإذا وَجِدَ المُشَبَّه وحَذَفَ المُشَبَّه به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه فهي مَكْنِيَّة.

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، إذا قلنا: «إنَّ في القرآن مجازاً» فتخريجُها واضحٌ كما قال المؤلف، لكن إذا قلنا: «ليس فيه مجازاً» فكيف نُخْرِجُ الآية؟، نُخْرِجُ الآيةَ على أَنَّ من المعروف أَنَّ الذَّلَّ ليس له جناح، لكن لَمَّا كان الإنسان إذا استعلَى على غيره وتكَبَّرَ عليه وارتَفَعَ صار كأنه طائرٌ، فَأَمِرَ أَنْ يَخْفِضَ الجناحَ الذي يكون به الطيرَانُ حتى =

(*) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: «ديوانه: ص ١٤٧».

ب - وتنقسم الاستعارة [باعتبار اللفظ المستعار] (*) :

١- إلى أصلية: وهي ما كان فيها المستعار اسماً غير مُشتق، كاستعارة «الظلام» لـ «الضلال»، و«النور» لـ «الهدى».

٢- وإلى تبعية: وهي ما كان فيها المستعار فعلاً أو حرفاً أو اسماً مُشتقاً^(١)، نحو: «رَكِبَ فلانٌ كَتَفِي غَرِيمِهِ»، أي: لَزَمَهُ مُلَازِمَةً شَدِيدَةً^(٢)، وقوله تعالى: «أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ» [البقرة: ٥]، أي: تَمَكَّنُوا مِنَ الْحُصُولِ عَلَى الْهَدَايَةِ التَّامَّةِ^(٣)، ونحو قوله [الكامل]:

= يَنْزِلُ وَيَكُونُ بِالنِّسْبَةِ لَوَالِدَيْهِ ذَلِيلًا، وَحِينَئِذٍ نَقُولُ: إِنَّ السِّيَاقَ يَمْنَعُ تَمَامًا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ الذَّلَّ طَائِرٌ لَهُ أَجْنَحَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ أَنْ يَخْفِضَ لَهُ الْجَنَاحَ، فَهَذَا شَيْءٌ مَعْرُوفٌ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ.

(١) إذا كانت الاستعارة في فعل أو حرف أو مُشتق فهي تَبَعِيَّةٌ، وإذا كانت في اسم جامد فهي أَصْلِيَّةٌ، وذلك واضح؛ لأنَّ أَصْلَ الْأَفْعَالِ وَالْمُشْتَقَّاتِ مَصَادِرُ اشْتَقُّ مِنْهَا كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا قُلْتُ: «رَأَيْتُ أَسَدًا يَحْمِلُ حَقِيَّةً» فهي أَصْلِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا جَرَتْ فِي اسْمِ جَامِدٍ غَيْرِ مُشْتَقٍّ.

(٢) شَبَّهَ الْمُلَازِمَةَ بِالرُّكُوبِ، فَهَذَا «رَكِبَ» فَعْلٌ، فَتَكُونُ تَبَعِيَّةً، أَيْضًا: «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْعِلْمَ بِالْهُدَى» [البقرة: ١٦] كُنَّا أَجْرَيْنَاهَا قَبْلَ قَلِيلٍ عَلَى أَنَّهَا مَكْنِيَّةٌ لَا تَصْرِيحِيَّةٌ، يُمْكِنُ أَنْ تُجَرِّيَا تَصْرِيحِيَّةً وَنَجْعَلَهَا فِي كَلِمَةِ «اشْتَرَوْا»، «اشْتَرَوْا» بِمَعْنَى: اخْتَارُوا الضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَى، فَشَبَّهَ اخْتِيَارَهُمُ الضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَى بِالشَّرَاءِ بِجَامِعِ الرُّغْبَةِ فِي كُلِّ مِنْهُمَا، ثُمَّ اسْتَعَارَ لَفْظَ الْاِشْتِرَاءِ لِلَاخْتِيَارِ، ثُمَّ اشْتَقَّ مِنَ الْاِشْتِرَاءِ «اشْتَرَوْا»، إِذَا التَّبَعِيَّةُ أَطْوَلُ إِجْرَاءٍ مِنَ الْأَصْلِيَّةِ؛ لِأَنَّ التَّبَعِيَّةَ لَا بُدَّ أَنْ تُجَرِّيَا فِي أَصْلِ الْمَعْنَى ثُمَّ نَقُولُ: «وَاشْتَقَّ مِنْهُ كَذَا وَكَذَا»، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ تَبَعِيَّةً.

(٣) هل الهدى شيء يُرَكَّبُ؟ لا، لكن كلمة «الهدى» استُعيرت استعارةً مَكْنِيَّةً؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْهُدَى - الَّذِي هُوَ الْمَعْنَى وَهُوَ الْعِلْمُ - لَا يُمْكِنُ أَنْ يُرَكَّبَ، لَكِنْ شَبَّهَ مُلَازِمَتَهُ لِلْهُدَى بِالرُّكُوبِ عَلَيْهِ^(**).

(*) سواء كانت الاستعارة تَصْرِيحِيَّةً أَوْ مَكْنِيَّةً.

(**) أفاد الشيخ رحمه الله فيما بعد هذه المسألة قائلًا: «كلُّ استعارةٍ تَبَعِيَّةٍ فَإِنَّ قَرِيبَتَهَا مَكْنِيَّةٌ، بِمَعْنَى أَنَّكَ إِذَا =

وَلَيْثُنْ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بَرِّكَ مُفْصِحًا فَلِسَانُ حَالِي بِالشُّكَايَةِ أَنْطَقُ
أي: أدلُّ.

ج - وتنقسم الاستعارة [باعتبار ذِكْرِ المُلَائِمِ]:

١- إلى مُرَشَّحَةٍ: وهي ما ذُكِرَ فيها مُلَائِمُ المُشَبَّهِ به، نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ بِمَحْرُكِهِمْ﴾ [البقرة: ١٦]، فالاشتراء مُستعارٌ للاستبدال، وذُكِرَ الرِّيحَ والتَّجَارَةَ ترشيحاً^(١).

٢- وإلى مُجَرَّدَةٍ: وهي التي ذُكِرَ فيها مُلَائِمُ المُشَبَّهِ، نحو: ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢]، استُعِيرَ اللَّيَاسُ لِمَا عَشِيَ الإنسانُ عندَ الجوع والخوف، والإذاعةُ تجريدٌ لذلك.

٣- وإلى مُطْلَقَةٍ: وهي التي لَمْ يُذَكَّرْ معها مُلَائِمٌ، نحو: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾^(٢) [البقرة: ٢٧].

(١) المُرَشَّحَةُ: المُقَوَّاةُ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ الاستعارةُ انتهت إلى هذا الحدِّ، ﴿فَمَا رَبَحَتِ بِمَحْرُكِهِمْ﴾ هذه جملةٌ تُقَوِّي الاستعارةَ التي ذُكِرْنَا أَنَّهَا في الشُّراءِ، التجارةُ تُناسِبُ الشُّراءَ؛ لأنَّ الرَّجُلَ يشتري الشيءَ ليربَحَ فيه أو ليستعمله في بيته مثلاً، فهذا يُسمَّى ترشيحاً، يعني: إذا ذُكِرَ في الاستعارة ما يُلَائِمُ المُشَبَّهِ به سُمِّيَ ذلك ترشيحاً.
(٢) الآن قَسَمَهَا رَحِمَهُ اللهُ إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما ذُكِرَ فيه مُلَائِمُ المُشَبَّهِ به، وهذا ترشيح.
والثاني: ما ذُكِرَ فيها مُلَائِمُ المُشَبَّهِ، وهذه مُجَرَّدَةٌ.

= رأيتُ استعارةً تبعيةً فَلَمْ أَنْ تُجَرِّبًا في نفس اللفظ، ولك أن تُجَرِّبًا في القرينة، لكن إذا أُجْرِيتْها مكنيةً فلا تُجَرِّبها تبعيةً في آنٍ واحدٍ؛ لأنَّ هذا تناقضٌ، القاعدة: «كلُّ تبعيةٍ فقريتها مكنيةٌ»، وإذا أُجْرِيتْها في إحداهما امتنع إجراؤها في الأخرى؛ لئلا يلزم أن تكون العبارةُ مستعارةً من وجهين.

ولا يُعْتَبَرُ التَرْشِيحُ والتَجْرِيدُ إلَّا بعدَ تَمَامِ الاستعارةِ بالقرينةِ^(١).

* * *

= والثالث: ما خَلَّتْ عن مُلَائِمِ هذا وهذا، فهذه مُطْلَقَةٌ، وكذلك ما ذُكِرَ فيها مُلَائِمُ هذا وهذا فإنَّها تُسَمَّى مُطْلَقَةً.

طبعاً هذه اصطلاحات، ليس شيئاً مَبْنِيّاً على دليل، هذا مُضْطَلَحٌ من جِنْسِ المِصْطَلَحِ في عِلْمِ الحديث. حَسَنًا:

- إذا قلت: «رأيت أسداً يحمل حقيبةً ويكتب بقلم»، الآن «ويكتب بقلم» هل يُنَائِبُ المُشَبَّهَ أو المُشَبِّهَ به؟ المُشَبَّهَ، إِذَا مُجَرَّدَةٌ.
 - وإذا قلت: «رأيت أسداً يحمل حقيبةً يفترس أقرانه» هذا ترشيح؛ لأنَّه يُلَائِمُ المُشَبَّهَ به.
 - إذا قلت: «رأيت أسداً يحمل حقيبةً» هذه مُطْلَقَةٌ.
- الْخُلَاصَةُ أَنَّهُ:

- ١- إذا ذُكِرَ في الاستعارة ما يُلَائِمُ المُشَبَّهَ به فهو ترشيح، والترشيح يعني: التقوية.
 - ٢- إذا ذُكِرَ ما يُلَائِمُ المُشَبَّهَ فهو تمجيد، يعني: كأنك بعد أن ادَّعَيْتَ أَنَّ هذا المستعار له هو المستعارُ جَرَّدَتُهُ بِذِكْرِ ما يُلَائِمُ المستعارَ له.
 - ٣- إذا لم يُذَكَّرْ هذا ولا هذا فهي مُطْلَقَةٌ.
- (١) صحيح، هذا ضروري، لا يُعْتَبَرُ التَرْشِيحُ والتَجْرِيدُ إلَّا بعدَ أن تَتِمَّ الاستعارةُ، انْظُرْ إلى قولك: «رأيت أسداً يحمل حقيبةً»، استَعْرَظْتُ لِلرَّجُلِ الشَّجَاعَ، كلمة «يحمل حقيبةً» تُلَائِمُ المُشَبَّهَ، لَكُنَّا لَا نَجْعَلُهَا هُنَا مُجَرَّدَةً؛ لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ الْقَرِينَةُ الْمَانِعَةُ، إِذَا التَجْرِيدُ والتَرْشِيحُ لَا يُعْتَبَرُ إلَّا بعدَ تَمَامِ الاستعارةِ بِقَرِينَتِهَا.

المَجَاز المُرْسَل

المَجَازُ المُرْسَلُ

هو مَجَازٌ عَلاقَتُهُ غَيْرُ المُشَابَهَةِ^(١):

١- كَالسَّبِيَةِ، في قولك: «عَظُمْتُ يَدُ فُلَانٍ عِنْدِي»، أي: نِعْمَتُهُ الَّتِي سَبَّيْهَا الْيَدُ^(٢).

٢- وَالْمُسَبِّبَةِ، في قولك: «أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا»، أي: مَطَرًا يَتَسَبَّبُ عَنْهُ النَّبَاتُ^(٣).

٣- وَالْجُزْئِيَّةِ، في قولك: «أَرْسَلْتُ الْعُيُونَ لِتَطْلُعَ عَلَى أَحْوَالِ الْعَدُوِّ»، أي: الْجَوَاسِيسَ^(٤).

(١) المَجَازُ المُرْسَلُ ضابطة: ما تُجَوِّزُ به عن غَيْرِهِ بِعَلاقَةٍ غَيْرِ الشَّبَهِ، وإذا كانتِ العَلاقَةُ الشَّبَهِ فهو استعارَةٌ، يعني: كُلُّ شَيْءٍ يُعَبَّرُ به عن غَيْرِهِ إِنْ كانتِ العَلاقَةُ بَيْنَهُمَا المُشَابَهَةَ فهي استعارَةٌ، وَإِنْ كانتِ غَيْرُ المُشَابَهَةِ فهي مَجَازٌ مُرْسَلٌ. ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ ثَمَانِيَةَ أَشْيَاءَ.

(٢) هُنَا عُبِّرَ بِالسَّبَبِ عَنِ الْمُسَبِّبِ، السَّبَبُ: الْيَدُ، هِيَ الَّتِي تُعْطِي، وَالْمُسَبِّبُ: النِّعْمَةُ، فَعُبِّرَ بِالْيَدِ عَنِ النِّعْمَةِ مَجَازًا؛ لِأَنَّ الْيَدَ سَبَبٌ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُزِيلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣] هُنَا عُبِّرَ بِالرِّزْقِ عَنِ الْمَطَرِ؛ لِأَنَّ الرِّزْقَ مُسَبِّبٌ لِلْمَطَرِ، الْمَطَرُ هُوَ السَّبَبُ. (٣) مَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تُنْظَرُ نَبَاتًا، تُنْظَرُ مَطَرًا يَكُونُ بِهِ النَّبَاتُ، فَهُنَا عُبِّرَ بِالنَّبَاتِ الَّذِي هُوَ الْمُسَبِّبُ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي هُوَ الْمَطَرُ.

هَذَانِ شَيْئَانِ مُتَضَادَّانِ، يُعَبَّرُ بِالسَّبَبِ عَنِ الْمُسَبِّبِ، وَبِالْمُسَبِّبِ عَنِ السَّبَبِ، وَكِلَاهُمَا مَجَازٌ.

(٤) مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعَيْنَ تَنْفَسُهَا لَا تُرْسَلُ، الَّذِي يُرْسَلُ الشَّخْصُ لِتَطْلُعَ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْجَاسُوسُ يُذَكِّرُ الْأَشْيَاءَ بِنَصَرِهِ، وَيَتَأَمَّلُ الْمَلَامَحَ، وَيَنْظُرُ إِلَى الْأَشْيَاءِ؛ عُبِّرَ بِالْعَيْنِ =

٤- والكُلِّيَّة، في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩]، أي: أَنَامِلَهُمْ^(١).

٥- وأعتبار ما كان، في قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسُ الَّذِينَ أَفْرَأْتُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: البَالِغِينَ^(٢).

= عنه، أي: عن الجاسوس.

لو أن إنساناً قال: «أرسلت أذاني في البلد»، [فهل] يصلح أن يُعَبَّرَ بها عن الجاسوس؟ لا، لا يصلح، ولا عُبِّرَ بها العرب؛ لأنَّ الأَذَانَ يمكن أن تكون جاسوساً في حالة معينة، إذا قيل لك عن بيت: «إنَّ فيه اشتباهاً» وأرسلت إليه شخصاً في الليل؛ فهنا يمكن أن تقول: «أرسلت أذاني إلى بيته ليلاً»، هنا لا بُدَّ من قرينة.

(١) عُبِّرَ بالكلِّ عن الجزء.

حَسَنًا:

- «أَعْتَقَ رَقَبَةً» عَكْسُهَا، عُبِّرَ بالجزء عن الكل.

- قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرُوا مَعَ الْوَكِيلِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، بالجزء عن الكل؛ لأنَّ المُرَادَ الصلاة، والركوعُ جزءٌ منها.

- «قَسَمْتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين»^(*)، تعبيرٌ بالكلِّ عن الجزء، وهذا أمثلته كثيرة.

(٢) اليتيم: مَنْ مات أبوه قبل البلوغ، وَمَنْ لم يَبْلُغْ لا يُعْطَى مَالُهُ كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَالْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، فهنا يقول عز وجل: ﴿وَأَنفُسُ الَّذِينَ أَفْرَأْتُمْ﴾ المراد: البالغون، وإذا كانوا بالغين لم يكونوا يتامى؛ إذ أنَّ اليتيمَ مَنْ لم يَبْلُغْ.

فلذا قال قائل: ما الحكمة من أنَّه سبحانه وتعالى يُعَبِّرُ باليتيم عن البالغ؟ الحكمة: من أجل استعطاف الأولياء واسترحامهم حتى يُؤَدُّوا الأموالَ إلى أهلها، فكأنَّه قال: «اذْكُرُوا يَتَمَّهُمْ وَأَعْطَوْهُمْ أَمْوَالَهُمْ».

(*) روى مسلم في صحيحه (٤ / رقم: ٣٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال اللهُ تعالى: قَسَمْتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين، ...»، والمراد بالصلاة هنا: الفاتحة.

٦ - وأعتبار ما يكون، في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرْنِيَّ أَغْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: عَيْبًا^(١).

٧- والمَحَلِّيَّة، في قولك: «قَرَّرَ المجلسُ ذلك»، أي: أَهْلُهُ^(٢).

٨- والحَالِيَّة^(*)، في قوله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، أي: جَنَّتِهِ^(٣).

* * *

(١) الخمر لا يُعَصَّر، الخمر معصور، لكن المرادُ به العَيْبُ الذي يكون منه الخمر، فعَبَّرَ عن شيءٍ باعتبار ما يكون، وهذا أيضاً كثير، ﴿أَلَمْ أَمُرْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١] عَبَّرَ بالماضي عن المستقبل، وله أمثلة في القرآن وغير القرآن.

(٢) تقول: «قَرَّرَ مجلسُ الوزراء كذا وكذا»، وهل الذي قَرَّرَ الكُتُبَات والمَخَاذُ والمَسَانِدُ؟ لا، الذي قَرَّرَ أَهْلُ المَجْلِسِ، لكن لَمَّا كان القَرَارُ إجماعياً صار كأنَّ المَحَلَّ نَفْسَهُ بَمَنْ فِيهِ قَرَّرَهُ.

(٣) المُراد: «ففي جَنَّةِ اللَّهِ»، لكن عَبَّرَ عن الجَنَّةِ بالرحمة؛ لأنها مِنْ آثار رحمته، فالجَنَّةُ هي رحمةُ اللَّهِ كما جاء في الحديث: قال اللَّهُ لها: «أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ»^(**)؛ لأنَّ الجَنَّةَ مَحَلُّ الرحمة، جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِهَا بِمَنْهُ وَكَرَمِهِ.

(*) بتشديد اللام، مِنْ الخُلُول.

(**) رواه البخاري (٦٥/ تفسير سورة ق/ ١)، ومسلم (٥١/ رقم: ٣٤، ٣٥).

المَجَازُ المُرَكَّبُ

المَجَاز المُرَكَّب

المُرَكَّبُ إِنِ اسْتُعْمِلَ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ لِعِلَاقَةٍ غَيْرِ الْمُشَابَهَةِ سُمِّيَ مَجَازاً مُرَكَّباً، كَالْجُمْلِ الْخَبَرِيَّةِ إِذَا اسْتُعْمِلَتْ فِي الْإِنْشَاءِ، نَحْوُ قَوْلِهِ [الطويل]:

هَوَايَ مَعَ الرُّكْبِ الْيَمَانِيِّنِ مُضْعِدٌ جَنِيْبٌ، وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوْتِقٌ

فليس الغَرَضُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ الْإِخْبَارُ، بَلْ إِظْهَارُ التَّحْزُنِ وَالتَّحَسُّرِ.

وَإِنْ كَانَتْ عِلَاقَتُهُ الْمُشَابَهَةَ سُمِّيَ اسْتِعَارَةً تَمثِيلِيَّةً، كَمَا يُقَالُ لِلْمُتَرَدِّدِ فِي أَمْرِ: «أَرَاكَ تَقْدُمُ رِجْلًا، وَتُوَخَّرُ أُخْرَى»^(١).

* * *

(١) الْجُمْلَةُ الْخَبَرِيَّةُ إِذَا اسْتُعْمِلَتْ فِي الْإِنْشَاءِ فَهِيَ تُسَمَّى مَجَازاً مُرَكَّباً إِذَا لَمْ تَكُنْ عِلَاقَتُهَا الْمُشَابَهَةَ، وَلَهَا أَمْثَلَةٌ كَثِيرَةٌ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْمَلَأْنَاهُ بِرَبِّصَاتٍ لِّأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فَإِنَّ ﴿بِرَبِّصَاتٍ﴾ جَمْلَةٌ خَبَرِيَّةٌ، وَالْمَرَادُ: الْإِنْشَاءُ، يَعْنِي الْأَمْرَ بِذَلِكَ، وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ.

إِذَا جَاءَتْ جَمْلَةٌ مَجَازِيَّةٌ عِلَاقَتُهَا الْمُشَابَهَةَ فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ تَمثِيلِيَّةٌ، مِثَالُ ذَلِكَ: تَقُولُ مِثْلًا فِي الْأَمْرِ تَرَدَّدَ فِيهِ: «فَكُنْتُ أَقْدُمُ رِجْلًا، وَأُوَخَّرُ أُخْرَى»، مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ الْمَرَادُ فِي الْحَقِيقَةِ تَقْدِيمَ الرَّجْلِ، زَيْمًا يَتَرَدَّدُ الْإِنْسَانُ وَهُوَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، لَكِنْ شَبَّهَ حَالَهُ فِي التَّرَدُّدِ بِحَالِ مَنْ يَقْدُمُ رِجْلًا وَهُوَ أُخْرَى، الْمُقْدَمُ لِلرَّجْلِ وَالْمُوَخَّرُ لِأُخْرَى يَبْقَى فِي مَكَانِهِ حَائِثًا، فَيُقَالُ فِي هَذَا: إِنَّهَا اسْتِعَارَةٌ تَمثِيلِيَّةٌ.

وَذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ هَذَا مِنْ بَابِ تَكْمِلَةِ التَّقْسِيمِ، وَإِلَّا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ سَبَقَ الْقَوَاعِدُ الْعَامَّةُ، يَكْتَفَى بِهَا.

المَجَازُ الْعَقْلِيّ

المَجَازِ العَقْلِي

هو إسنَادُ الْفِعْلِ أو ما في معناه إلى غير ما هو له عند الْمُتَكَلِّمِ في الظاهرِ لِعِلَاقَةٍ^{(١)(*)}، نحو قوله [الْمُتْقَارِبُ]:

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرِ رَكَرُ الْعَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ

فإنَّ إسنَادَ الإِشَابَةِ والإِفْنَاءِ إلى كَرُّ الْعَدَاةِ وَمُرُورِ الْعَشِيِّ إسنَادٌ إلى غير ما هو له، إذ المُشِيبُ والمُفْنِي - في الحقيقة - هو اللَّهُ تعالى^(٢).

وَمِنَ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ:

١ - إسنَادُ مَا بُنِيَ لِلْفَاعِلِ إِلَى الْمَفْعُولِ، نحو: ﴿عِشَّةٌ رَاضِيَةٌ﴾^(٣) [الحاقَّة: ٢١].

(١) «هو إسنَادُ الْفِعْلِ أو ما في معناه» يعني: اسم الفاعل، واسم المفعول، والمصدر المراد به اسم الفاعل واسم المفعول.
قوله: «في الظاهر» متعلّق بقوله: «إلى غير ما هو له»، يعني: أنّه في الظاهر لغير ما هو له عند الْمُتَكَلِّمِ.

(٢) هل الذي أفنى الإنسان هو هذا؟ الجواب: لا، الذي أفناه الله، فأضاف الفعل إلى غير من هو له، وكذلك يقال في المثل العامّي: «أَهْلَكَهُ السَّبْتُ والأَحَدُ»، يعني: مرور السبت والأحد، وهل هذا هو الذي أهْلَكَهُ؟ لا، الذي أهْلَكَهُ الله، لكن أَسَنَدَ الفعلَ إلى غير من هو له على سبيل المجاز، ويقال: «بَنَى عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مَدِينَةَ الْقُسْطَاطِ»، معلوم أنّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ ﷺ لم يُبَاشِرِ البِنَاءَ، لم يَأْتِ بِاللِّبَنِ وَلَمْ يُجَبِّنِ الطِّينَ، ولكن أَمَرَ بذلك، هذا يُسَمَّى مجازاً عقلياً.

(٣) ﴿رَاضِيَةٌ﴾ يعني: مَرْضِيَّةٌ، فأتى باسم الفاعل ويُراد به اسم المفعول، فقد أَسَنَدَ الرِّضَا إلى =

(*) بشرط وجود قرينة تمنع من إرادة الإسنَادِ الْحَقِيقِيِّ.

٢- وَعَكْسُهُ(*)، نحو: «سَبَلٌ مُفْعَمٌ»^(١).

٣- والإسناد:

أ- إلى المَضْدَرِ، نحو: «جَدُّ جَدُّهُ».

ب- وإلى الزَّمَانِ، نحو: «نَهَارُهُ صَائِمٌ».

ج - وإلى المكانِ، نحو: «نَهْرٌ جَارٍ».

د- وإلى السَّبَبِ، نحو: «بَنَى الأميرُ المدينةَ»^(٢).

وَيُعْلَمُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْمَجَازَ اللَّغَوِيَّ يَكُونُ فِي اللَّفْظِ، وَالْمَجَازَ

= الْعَيْشَةُ، وَالْعَيْشَةُ لَا تَرْضَى، وَإِنَّمَا الْعَيْشَةُ تُرْضَى، فَاسْتَدَّ مَا فِي مَعْنَى الْفِعْلِ إِلَى غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ.

(١) «مُفْعَمٌ» يَعْنِي: «فَاعِلٌ أَوْ مُفْعَمٌ» مَعَ أَنَّهُ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ، هُنَاكَ أَعْمَالٌ تُبْنَى لِلْمَجْهُولِ - أَوْ إِنْ شِئْتَ قُلْ: لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ - دَائِمًا، مِثْلُ: «تُبْنِيَتِ الْبَيْمَةُ» بِمَعْنَى: «أُتُبْنِيَتِ»، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: «أُتُبْنِيَتِ» أَوْ «تُبْنِيَتِ».

وَقَدْ أُلْفَ فِي ذَلِكَ الرِّسَالَةِ الصَّغِيرَةِ عَلَيْهَا شَرْحٌ وَأَمْثَلَةٌ، كـ «إِتْحَافِ الْفَاضِلِ بِالْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ لِغَيْرِ الْفَاعِلِ»^(**)، يَعْنِي فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَلْفَاظٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُبْنَى إِلَّا لِلْمَفْعُولِ، لَا تُبْنَى لِلْفَاعِلِ.

(٢) إِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ وَالْمَجَازِ اللَّغَوِيِّ؟

فَالْجَوَابُ: الْمَجَازُ اللَّغَوِيُّ يَكُونُ فِي الْأَلْفَاظِ، وَالْمَجَازُ الْعَقْلِيُّ يَكُونُ فِي الْإِسْنَادِ، بِمَعْنَى أَنَّ الْكَلِمَاتِ يُرَادُ بِهَا مَعْنَاهَا الْحَقِيقِيَّةُ، لَكِنْ إِسْنَادُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ هُوَ الْمَجَازُ. فَمِثْلًا: «بَنَى الأميرُ المدينةَ»، مَا الْمُرَادُ بِالْبِنَاءِ؟ الْحَقِيقَةُ، وَالْأَمِيرُ؟ الْحَقِيقَةُ، لَكِنْ إِسْنَادُ الْبِنَاءِ لِلْأَمِيرِ هَذَا هُوَ الْمَجَازُ.

﴿وَيَرْزُقُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣] الْآنَ الْمَجَازُ هَلْ هُوَ فِي إِنْزَالِ هَذَا =

(*) أَي: إِسْنَادٌ مَا بُنِيَ لِلْمَفْعُولِ إِلَى الْفَاعِلِ.

(**) لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ عَلِيِّ بْنِ عَلَانَ الصَّدِيقِيِّ الشَّافِعِيِّ (ت: ١٠٥٨هـ).

العَقْلِيّ يكون في الإسناد^(١).

* * *

= الماء أو في كلمة «رزق»؟ في كلمة «رزق».

فلهذا نقول: الفرق بين المَجَاز اللُّغَوِيّ (بأنواعه: الاستعارة والمَجَاز المرسل) والمَجَاز العَقْلِيّ أَنْ:

- المَجَاز العَقْلِيّ يكون في الإسناد، بمعنى أَنَّ الكلمات يُراد بها المعنى الحقيقي، لكن إسناد هذه إلى هذه من هنا يأتي المَجَاز.

- المَجَاز اللُّغَوِيّ يكون في الألفاظ، إن كانت العلاقة المشابهة فهي استعارة، وإن كانت العلاقة غير المشابهة فهو مَجَاز مُرْسَل.

(١) والفرق بينهما كما ذكرْتُ لكم:

- المَجَاز اللُّغَوِيّ في الكلمات نفسها، بمعنى أَنَّهُ يُراد بالكلمات خلافُ المعنى الأصلي.

- والمَجَاز العَقْلِيّ في الإسناد، بمعنى أَنَّ كُلَّ كلمةٍ يُراد بها المعنى الأصلي، لكن إسنادها إلى الكلمة الأخرى عَقْلِيّ يَمْتَنِعُ العَقْلُ.

حَسَنًا، قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَيْكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أَنَّهُ حقيقةٌ ليس فيه مَجَازٌ لا عَقْلِيٌّ ولُّغَوِيٌّ، وعلى رأي أهل التحريف فيه مَجَازٌ عَقْلِيٌّ؛ لأنَّ المَجِيءَ عَقْلًا - عندهم - لا يُسند إلى الرَّبِّ مُنْتَبِعٌ عَقْلًا، وهذا هو السُّرُّ في أَنَّ شَيْخَ الإسلام ابن تيمِيَّةَ وابن القيم رحمهما اللهُ وأمثالها شُدُّوا في إنكار المَجَاز؛ لأنَّه صار سُلْمًا إلى تحريف نصوص الكتاب والسُّنَّة بناءً على إثبات المَجَاز.

الحمد لله، الآن فَهْمُنَا المَجَازَ بنوعِيهِ: ما علاقته المشابهة وهو الاستعارة، وما علاقته غير المشابهة وهو المَجَاز المرسل، وكلُّ منهما يكون مَجَازًا في اللفظ، فإن كانت الألفاظ يُراد بها الحقيقة لكن إسناد هذا إلى هذا لا يمتنع عَقْلًا فهو مَجَازٌ عَقْلِيٌّ.

واغْلُمُ أَنْ قولنا: «يَمْتَنِعُ عَقْلًا» ليس معناه كما يريدُه المَنَاطِقَةُ، لا، حتى لو كان عادةً فهو مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، مثلاً: «بَنَى الأميرُ المدينة» هل يمتنع عَقْلًا أن يَبْنِيها؟ عَقْلًا لا يمتنع، يمكن أن يُشارك في البناء، لكن عادةً يمتنع.

الْكِنَايَة

الكِنَايَة

هي لَفْظٌ أُريدَ به لازِمٌ معناه مع جَوَازِ إِرَادَةِ ذلك المعنى، نحو: «طويلُ النَّجَادِ»، أي: طويلُ القَامَةِ^(١).

وتنقسم باعتبارِ المَكْنِيّ عنه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: كِنَايَة يكون المَكْنِيّ عنه فيها صِفَةً، كقول الحَنَسَاءِ [المُتَقَارِب]:

طَوِيلُ النَّجَادِ، رَفِيعُ الْعِمَادِ كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَنَا
تريد أنه طويلُ القَامَةِ، سَيِّدُ كَرِيمِ^(٢).

(١) الكِنَايَة: عبارة عن جملة أو كلمة تدلُّ على معنى ملازم لها، مع جواز إرادة ذلك المعنى، مثاله: «طويلُ النَّجَادِ» يعني: طويلُ القَامَةِ؛ لأنه يَلْزَمُ من طول القَامَةِ أن يطولَ نِجَادُهُ، «رَفِيعُ الْعِمَادِ» يعني: حَيَمَتُهُ رَفِيعٌ عَمُودُهَا، هذا كِنَايَة عن أنه سَيِّدُ قَوْمِهِ، ولهذا بَنَى له خِيمَةً رَفِيعَةً حتى يُعَرَفَ بها وَيُقَصِّدَهُ النَّاسُ، مع أنه يمكن إرادة المعنى الأصلي، وبهذا القَيِّد صار الفَرْقُ بينها وبين المَجَازِ^(*)، المَجَازُ لا يمكن أن يُرَادَ به المعنى الأصلي، أمَّا الكِنَايَة فيمكن أن يُرَادَ بها ذلك.

إذا تَمَيَّزَتِ الكِنَايَة عن المَجَازِ بأنَّ الكِنَايَة يجوز أن يُرَادَ بها المعنى الأصلي، بخلاف المَجَازِ.

(٢) «طويلُ النَّجَادِ» قلنا: إنَّ هذا يُرَادُ به طولُ القَامَةِ، مع جواز أن يُرَادَ به الحقيقة: أن نِجَادَهُ الذي يتحلَّى به طويلٌ.

«رَفِيعُ الْعِمَادِ» كِنَايَة عن أنه سَيِّدُ قَوْمِهِ، ولهذا رَفَعَ عِمَادَ حَيَمَتِهِ؛ لِيُعَرَفَ بذلك فيُقَصَّدَ، مع أنه يجوز أن يكون المتكلمُ أراد الحقيقة: أنه - حقيقةً - حَيَمَتُهُ رَفِيعَةٌ.

«كثيرُ الرَّمَادِ» يُرَادُ به الكَرَمُ؛ لأنَّ الكريمَ يَكْثُرُهُ القُصَادُ، والقُصَادُ يحتاجون إلى طعام =

(*) الكِنَايَة نوعٌ من المَجَازِ، والمقارنة بينهما - هنا - من حيث إرادة المعنى الأصلي فقط.

والثاني: كِنَايَةٌ يَكُونُ الْمَكْنِيُّ عَنْهُ فِيهَا نِسْبَةٌ، نحو: «الْمَجْدُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ، وَالكَرَمُ تَحْتَ رِدَائِهِ»، تريد نِسْبَةَ الْمَجْدِ وَالكَرَمِ إِلَيْهِ^(١).

والثالث: كِنَايَةٌ يَكُونُ الْمَكْنِيُّ عَنْهُ فِيهَا غَيْرَ صِفَةٍ وَلَا نِسْبَةٍ^(*)، كقوله [الكامل]:

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضٍ مُخْذِمٍ وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْفَانِ

= كثير، والطعام الكثير يحتاج إلى طبخ، والطبخ يحتاج إلى حطب، والحطب يكون رماداً، فإذا قيل: «فَلَانٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ» فهو كِنَايَةٌ عَنْ كَرَمِهِ؛ لَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى كَثَرَةِ الضَّيْفَانِ، وكثرة الطعام، وكثرة الإيقاد، فهذا كِنَايَةٌ عَنْ الْكَرَمِ، مع أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ حَقِيقَةً كَثَرَةَ الرَّمَادِ؛ لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَيْسَ عَنْدهُمْ غَازٌ، فإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُحَوِّلَ «كَثِيرَ الرَّمَادِ» إِلَى الْغَازِ فَمَاذَا نَقُولُ؟: كَثِيرٌ أَنْيِيبُ الْغَازِ، أَوْ صَرَفُ الْغَازِ...، عَلَى كُلِّ حَالٍ عَبَّرَ بِمَا شِئْنَا، الْمَهْمُ عَبَّرَ تَعْبِيرًا يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى كَرَمِهِ.

مع أَنَّ كَثَرَةَ الرَّمَادِ رُبَّمَا يَكُونُ [فِي صِنَاعَةِ] الْجِصِّ، هَذَا لَا بُدَّ أَنْ يُوقَدَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يُؤْخَذُ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ يُوقَدُ عَلَيْهِ حَتَّى يَكُونَ صَالِحًا لِلِاسْتِعْمَالِ، وَأَصْحَابُ الْمَجَاصِ كَثِيرُ الرَّمَادِ، فَهَلْ إِذَا قُلْنَا: «فَلَانٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ» مِنْ أَصْحَابِ الْمَجَاصِ؛ هَلْ نَقُولُ: إِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى كَرَمِهِ؟ لَا، لَكِنْ عَلَى كُلِّ حَالٍ السِّيَاقُ يُعَيِّنُ.

(١) معلوم أَنَّ «الْمَجْدَ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ» لَيْسَ هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي - يُسَمَّى الْمَجْدَ - يَكُونُ بَيْنَ الثَّوْبَيْنِ، لَكِنْ هَذَا الرَّجُلُ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ ذُو مَجْدٍ، وَ[هَلْ] جِسْمُهُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ أَوْ لَا؟ نَعَمْ، جِسْمُهُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ، نَقُولُ: هَذَا كِنَايَةٌ عَنْ قُوَّتِهِ وَشَجَاعَتِهِ، وَكَذَلِكَ «الْكَرَمُ تَحْتَ رِدَائِهِ» كِنَايَةٌ عَنْ كَرَمِهِ، تُسَمَّى هَذِهِ الْكِنَايَةُ نِسْبَةً، وَهِيَ - كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ - تَخْتَلِفُ عَنِ الْمَجَازِ بِأَنَّهُ قَدْ يُرَادُ بِهَا الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةُ.

لَكِنْ لَوْ قَالَ قَائِلُ: هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَجْدُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي هُوَ الْمَعْنَى بَيْنَ جَنْبَيْهِ؟ نَقُولُ: مَا دَامَ الْمَجْدُ وَضْفًا لِمَوْصُوفٍ وَالْمَوْصُوفُ: «بَيْنَ جَنْبَيْهِ»؛ صَحَّ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ الْمَجْدَ نَفْسُهُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ مَعْنَى فِي الْمَوْصُوفِ.

(*) يَكُونُ الْمَكْنِيُّ عَنْهُ فِيهَا مَوْصُوفًا.

فإنَّه كَتَبَ بِمَجَامِعِ الْأَضْغَانِ عَنِ الْقُلُوبِ^(١).

وَالْكِنَايَةُ^(*):

- إن كَثُرَتْ فِيهَا الْوَسَائِطُ سُمِّيَتْ تَلْوِيحًا، نحو: «هو كثيرُ الرَّمَادِ» أي: كريمٌ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الْإِحْرَاقِ، وكَثْرَةُ الْإِحْرَاقِ تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الطَّنْبَخِ والخُبْزِ، وكَثْرَتُهُمَا تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الْآكِلِينَ، وهي تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الضَّيْفَانِ، وكَثْرَةُ الضَّيْفَانِ تَسْتَلْزِمُ الْكَرَمَ^(٢).

- وإن قَلَّتْ وَخَفِيَتْ سُمِّيَتْ رَمْزًا، نحو: «هو سَمِينٌ رِخْوٌ» أي: غَبِيٌّ بَلِيدٌ^(٣).

(١) مَجَامِعُ الْأَضْغَانِ، مَجَامِعُ الْحُبِّ، مَجَامِعُ الْبَغْضَاءِ: هي القلوب، هي مَحَلُّ هَذَا، فهنا يمدحه يقول: «الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَيْبُضٍ مُخْلِمٍ» يعني: السيوف، «وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعِ الْأَضْغَانِ» يعني: الرِّمَاحِ يطعنون بها مَجَامِعِ الْأَضْغَانِ، وَمَجَامِعِ الْأَضْغَانِ هي القلوب؛ لَأَنَّ الضَّغْنَ وَالْحَقْدَ وَالْكِرَاهَةَ وَالْمَحَبَّةَ كُلُّهَا مَحَلُّهَا الْقَلْبُ.

(٢) إِذَا كَثُرَتْ الْوَسَائِطُ فِيهِ تَلْمِيحٌ^(**)، ضِدُّهَا: التَّصْرِيحُ، لو قلت: «فَلَانٌ كَرِيمٌ» كَفَى عَنْ هَذَا كُلِّهِ، لَكِنَّ الْكِنَايَةَ تُعْتَبَرُ مِنْ بَابِ تَحْمِيلِ اللَّفْظِ وَتَشْوِيفِ النَّفْسِ لَهَا، فَإِنَّكَ تَجِدُ الْفَرْقَ بَيْنَ قَوْلِكَ: «فَلَانٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ» وَ«فَلَانٌ كَرِيمٌ»، أَيُّمَا أَشَدُّ فِي تَهْيِيجِ النَّفْسِ؟ الْأَوَّلُ بَلَا شَكٍّ.

(٣) فَإِذَا قِيلَ: «فَلَانٌ سَمِينٌ رِخْوٌ» هَذَا يَخْفَى أَنْ يُرَادَ بِهِ أَنَّهُ غَبِيٌّ بَلِيدٌ، خَفِيٌّ جَدًّا، وَلَكِنَّ الْقَرِينَةَ وَسِيَاقَ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى هَذَا.

حَسَنًا، «فَلَانٌ طَوِيلُ الرَّقَبَةِ»: كِنَايَةٌ عَنِ الْعَبَاوَةِ وَالْبَلَادَةِ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْبَلَاغِيِّينَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حِينَ أَرَادَ أَنْ يَصُومَ عَدِيٌّ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾» [البقرة: ١٨٧]، جَعَلَ عِقَالَيْنِ - وَالْعِقَالُ: هُوَ الْحَبْلُ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ يَدُ النَّاقَةِ -، وَاحِدٌ أَسْوَدٌ وَوَاحِدٌ أَبْيَضٌ، وَجَعَلَ يَأْكُلُ حَتَّى بَانَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ ارْتِفَاعٍ =

(*) هذا التَّقسِيمُ بِاعْتِبَارِ الْوَسَائِطِ (أي: اللُّوْزَامِ) وَالسِّيَاقِ.

(**) التَّلْوِيحُ وَالتَّلْمِيحُ - هُنَا - بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

- وَإِنْ قُلْتَ فِيهَا الْوَسَائِطُ أَوْ لَمْ تُكُنْ وَوَضَحْتَ؛ سُمِّيَتْ إِمَاءً وَإِشَارَةً، نحو [الكامل]:

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ
كِنَايَةً عَنْ كَوْنِهِمْ أَمْجَاداً^(١).

وهناك نوعٌ مِنَ الْكِنَايَةِ يُعْتَمَدُ فِي فَهْمِهِ عَلَى السِّيَاقِ، يُسَمَّى تَعْرِيفاً؛ وهو إمالة الكلام إلى غرض، أي: ناحية، كقولك لشخصٍ يَضُرُّ النَّاسَ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ يَنْفَعُهُمْ»^(٢).

= النهار، يعني بعد ارتفاع الإسفار، ثم أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ فقال له: «إِنَّ وَسَادَكَ لَعَرِيضٌ»^(*)، غُرْضُ الْوَسَادَةِ يَدُلُّ عَلَى طُولِ الرِّقْبَةِ، قالوا [أي: البلاغيون]: «فالرسول عليه الصلاة والسلام أراد أن يبين له أنه بليدٌ؛ لأنه إذا طَالَتِ الرِّقْبَةُ بَعْدَ الرَّأْسِ عَنِ الْقَلْبِ، فَتَطُولُ الْمَسَافَةُ فَيَكُونُ بَلِيداً».

لكن أَخْزِمَ جَزْماً أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يُرِدْهُ، ولهذا قال: «إِنَّ وَسَادَكَ لَعَرِيضٌ»: أَنْ يُوسَّعَ الْخِيطُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ، يعني: غُرْضُ الْأَقْفَى، إِذَا كَانَ هَذَا الَّذِي فَهَمَهُ، أَمَّا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَرِيدُ أَنْ يُعَرِّضَ بِلَادَةَ الرَّجُلِ فَهَذَا مُسْتَحِيلٌ، لكن هكذا البلاغيون كلُّ واحدٍ يُؤَوِّلُ النُّصُوصَ لِمَا يَرِيدُ، وَلَا يَخَافُونَ أَحَدًا مِنْكُمْ إِنْ كَانَ طَوِيلَ الرِّقْبَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى كُلُّ عَلَى ذِكَاةٍ وَفِطْنَةٍ.

(١) هَذَا الْبَيْتُ كِنَايَةً نِسْبَةً، مِثْلُ: «الْمَجْدُ بَيْنَ تَوْبَتِهِ».

(٢) هَذَا التَّعْرِيفُ لَا يَضُرُّحُ، لكن يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ مَرْيَمَ حِينَ جَاءَتْ تَحْمِلُ عِيسَى ﷺ؛ قَالُوا لَهَا: «يَتَأَخَذُ هُنُوتُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بِفِيًّا» [مريم: ٢٨]، يَرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: «إِنَّهَا بَغِيٌّ»، وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ جَاءَهَا الْبِغَاءُ؟! أَبُوهَا لَيْسَ أَمْرًا سَوِيًّا، وَأُمُّهَا لَيْسَتْ بَغِيًّا!!»، هَذَا التَّعْرِيفُ يَقُولُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «إِنَّهُ =

(*) رواه البخاري (٦٥/ تفسير سورة البقرة / ٢٨)، ومسلم (١٣/ رقم: ٣٣).

= أشدُّ وقَعاً من التصريح، وجعلوا منه قوله تعالى عن ابْنِي آدَمَ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مَنِ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، يُعَرِّضُ بِأَن أَخَاهُ قَابِيلَ لَيْسَ مُتَّقِيًّا.

واختلف العلماء في مسألة وهي: هل يُحَدُّ الإنسانُ حَدَّ القَذْفِ إذا عَرَّضَ؟، بأن تَخَاصَمَ مع شخصٍ وقال: «الحمد لله، أنا لستُ أتَّبِعُ البَغَايَا»، يقول عن نفسه لَخْصَمِهِ: «الحمد لله، أنا لا أتَّبِعُ البَغَايَا»، فهل يُحَدُّ هذا القائلُ حَدَّ القَذْفِ؟ لأنَّ قوله هذا يُعَرِّضُ بِأَن صَاحِبَهُ يَتَّبِعُ البَغَايَا؟، فَمِنَ العلماء مَنْ قال: «لا يُحَدُّ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يُصْرَحْ»، ومنهم مَنْ قال: «بل يُحَدُّ؛ لأنَّ التعريضَ أحياناً يكون أشدَّ من التصريح».

حَسَنًا، وهذا أيضاً يُخَاطَبُ شخصاً قد آذَى النَّاسَ وَصَرَّهَمَ، فيقول له: «خيرُ النَّاسِ مَنْ يَنْفَعُهُمْ»، عندما تسمع هذا الكلامَ تقول: «هذا الكلامَ ليس فيه شيء»، لكن هو يُعَرِّضُ بِأَن صَاحِبَهُ لا يَنْفَعُ النَّاسَ.

انتهى - الحمد لله - عِلْمُ المعاني والبيان، بَقِيَ عِلْمُ البديع.

عِلْمُ الْبَدِيعِ

عِلْمُ الْبَدِيعِ

الْبَدِيعُ: عِلْمٌ يُعَرَّفُ بِهِ وَجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ الْمُطَابِقِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ^(١).
وهذه الوجوه:

- ما يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى تَحْسِينِ الْمَعْنَى يُسَمَّى بِالْمُحَسِّنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ.
- وما يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ يُسَمَّى بِالْمُحَسِّنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ.

* * *

(١) ولذلك سُمِّيَ بَدِيعاً؛ لأنَّ أصلَ الإبداع: الإحسانُ، إحسانُ الشيءِ إبداعاً له، فسُمِّيَ البديعُ، «فَعِيلٌ» بمعنى «مفعول» يعني: مُبْدِعٌ، فهو مُحَسِّنٌ، فعِلْمُ البديعِ هو تحسينُ للالفاظِ.

بعد أن عَرَفْنَا عِلْمَ المعاني وعِلْمَ البيانِ وهو يتعلّق بالمعاني والالفاظِ؛ نعود الآن إلى عِلْمِ البديعِ، وهو أن تُبَدِّعَ في التعبيرِ، ولذلك «عِلْمٌ يُعَرَّفُ بِهِ وَجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ الْمُطَابِقِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ»، ومعلومٌ أنَّ الكلامَ لا يكون بليغاً إلا إذا كان مُطَابِقاً لِمُقْتَضَى الْحَالِ.

مُحَسَّنَاتُ مَغْنَوِيَّةٍ

مَحْسَنَاتُ مَعْنَوِيَّةٌ (*)

١- التورية: أن يُدَكَّرَ لَفْظٌ لَهُ مَعْنَيَانِ: قَرِيبٌ يَتَبَادَرُ فَهْمُهُ مِنَ الْكَلَامِ، وَبَعِيدٌ هُوَ الْمُرَادُ بِالْإِفَادَةِ لِقَرِينَةٍ خَفِيَّةٍ، نَحْوُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا لِمَا بَالَيْلٍ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، أَرَادَ بِقَوْلِهِ ﴿جَرَحْتُم﴾ مَعْنَاهُ الْبَعِيدُ: وَهُوَ أَزْكَابُ الذُّنُوبِ. وَكَقَوْلِهِ [المُجَنَّتْ]:

يَا سَيِّدًا حَارَ لُطْفًا لَهُ الْبَرَايَا عَبِيدُ
أَنْتَ الْحُسَيْنُ، وَلَكِنْ جَفَاكَ فِينَا يَزِيدُ
معنى «يزيد» القريب أنه: عَلِمَ.

ومعناه البعيد المقصود أنه: فِعْلٌ مُضَارِعٌ مِنْ «زَادَ»^(١).

(١) الآية الكريمة ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا لِمَا بَالَيْلٍ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ قد يُنَازَعُ فِي كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ أَنَّ فِيهَا توريةً؛ لِأَنَّ الْجَرْحَ بِمَعْنَى الْكَسْبِ لُغَةٌ عَرَبِيَّةٌ، وَلَيْسَ فِيهَا توريةٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ﴾ [المائدة: ٤]، يَعْنِي: الْكَوَاسِبُ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْبَيْتِ فَتَعَمُّ، «أَنْتَ الْحُسَيْنُ»: ابْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، «وَلَكِنْ جَفَاكَ فِينَا يَزِيدُ» هَذِهِ لَهَا مَعْنَيَانِ:

١- يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، وَالْحُرُوبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُسَيْنِ مَعْرُوفَةٌ.

٢- وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مِنْ «زَادَ».

إِذَا الْقَرِيبُ أَنَّهُ عَلِمَ؛ لِأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ مَا وَقَعَ بَيْنَ الْحُسَيْنِ وَيَزِيدَ مِنَ الْحُرُوبِ؛ يَقُولُ: نَعَمْ، الَّذِي جَفَا حُسَيْنًا هُوَ يَزِيدُ، لَكِنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ، أَيْ: أَنَّ جَفَاكَ يَزِيدُ فِينَا.

(*) لَمَّا كَانَتِ الْمَحْسَنَاتُ اللَّفْظِيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ كَثِيرَةً وَمُنْتَوَعَةً؛ اِكْتَفَى الْمُؤَلِّفُونَ بِذِكْرِ أَشْهُرِهَا، فَمَجِيءُ تَبْوِيهِمَ لَهَا عَلَى صَوَرَةِ التَّنْكِيرِ فِيهِ إِشَارَةٌ مِنْهُمْ إِلَى مَعْنَى التَّبَعِضِ.

٢- الطَّبَاقُ (*) : هو الجَمْعُ بين مَعْنَيَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ، نحو قوله تعالى : ﴿وَنَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ ^(١) [الكهف: ١٨] ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٢) [الرُّوم: ٦-٧] .

٣- وَمِنَ الطَّبَاقِ الْمُقَابَلَةُ : وهي أن يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، ثُمَّ يُؤْتَى بِمَا يُقَابِلُ ذَلِكَ عَلَى التَّرْتِيبِ، نحو قوله تعالى : ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ ^(٣) [التوبة: ٨٢] .

٤- مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ : هي جَمْعُ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَا بِالتَّضَادِّ، كَقَوْلِهِ [الكامل] :
وَالظَّلُّ فِي سِلْكِ الْفُصُونِ كُلُّوْلُو رَطْبٍ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ

(١) يعني مثلاً من الجائز أن تكون العبارة : «وَنَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَلَيْسُوا أَيْقَاظًا»، أليس كذلك؟،

لَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ الشَّيْءِ وَمُقَابِلَهُ يُعْطِي الْكَلَامَ حُسْنًا .

(٢) الشاهد في قوله ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(١) يَعْلَمُونَ ، وَأَفَادَنَا الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللهُ بِذِكْرِ الْمَثَالَيْنِ أَنَّ هُنَاكَ

تَقَابُلًا بَيْنَ الْمَعْنَيَيْنِ، سِوَاءِ كَانَ بِمَدْلُولِ اللَّفْظِ، أَوْ بِالْإِنْبَاتِ وَالنَّفْيِ .

- مَدْلُولُ اللَّفْظِ : ﴿أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ كُلُّهُ إِيجَابِيٌّ لَكِنَّ مُتَقَابِلٌ فِي الْمَعْنَى .

- ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٢) يَعْلَمُونَ هَذَا تَقَابُلٌ فِي النَّفْيِ وَالْإِنْبَاتِ .

(٣) هَذِهِ أُبْلِغُ ؛ لِأَنَّ هَذَا يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْنِ فَأَكْثَرَ، وَالْأَوَّلُ- الطَّبَاقُ الْمَخْصَصُ- أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْنِ

فَقَطْ، هُنَا الْبُكَاءُ ضِدُّ الضَّحْكِ، ﴿كَثِيرًا﴾ ضِدُّ ﴿قَلِيلًا﴾ .

حَسَنًا، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَمَلَّ وَآفَقَ﴾ ^(١) وَصَدَّقَ بِالْحَقِّ ^(٢) فَسَيَّرُهُ لِلْمُتَرَى ^(٣) وَأَمَّا مَنْ

يَحِلَّ وَاسْتَفْتَى ^(٤) وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ ^(٥) فَسَيَّرُهُ لِلْمُتَرَى ^(٦) [الليل: ٥-١٠] ؛ طِبَاقٌ أَمْ مُقَابَلَةٌ؟

مُقَابَلَةٌ ؛ لِأَنَّ الْمَعَانِيَ مَعْدُدَةٌ، أَوْتِيَ بِهَا ثُمَّ ذُكِرَ مَا يُقَابِلُهَا .

(*) الطَّبَاقُ نوعان :

١- طِبَاقُ الْإِيجَابِ : وهو ما اتَّفَقَ فِيهِ الضَّدَانِ إِيجَابًا وَسَلْبًا .

٢- طِبَاقُ السَّلْبِ : وهو ما اختلف فِيهِ الضَّدَانِ إِيجَابًا وَسَلْبًا .

وَالطَّيْرُ يَقْرَأُ، وَالْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ، وَالْغَمَامُ يَنْقُطُ^(١)

٥- الاستِخدام : هو ذِكْرُ اللَّفْظِ بِمعْنَى وإِعَادَةُ ضَمِيرٍ عَلَيْهِ بِمعْنَى آخَرَ، أَوْ إِعَادَةُ ضَمِيرَيْنِ تُرِيدُ بثنائيهما غَيْرَ مَا أَرَدْتَهُ بِأُولَئِهِمَا.

فَالأَوَّلُ: نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أَرَادَ بِالشَّهْرِ الْهِلَالَ، وَبِضَمِيرِهِ الزَّمَانَ الْمَعْلُومَ^(٢).

وَالثَّانِي: كَقَوْلِهِ [الكامل]:

فَسَقَى الْغَضَى وَالسَّاكِنِيهِ، وَإِنْ هُمُو شَبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي

الْغَضَى: شَجَرٌ بِالْبَادِيَةِ، وَضَمِيرُ «سَّاكِنِيهِ» يَعُودُ إِلَيْهِ بِمعْنَى مَكَانِهِ، وَضَمِيرُ «شَبُوهُ» يَعُودُ إِلَيْهِ بِمعْنَى نَارِهِ^(٣).

(١) الطير يقرأ، الغدير صحيفة، الريح يكتب ضد يقرأ، الغمام ينقط، تظنون أنه ينقط النقاط؟ المراد ينقط المكتوب^(*).

(٢) هل الشهر باعتباره زماناً يشاهد؟ لا يشاهد؛ [لأنه] زَمَنٌ!، المراد بالشهر: الهلال، ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: لِيَصُمْ الْهِلَالَ أَوْ لِيَصُمْ الزَّمَنُ؟ لِيَصُمْ الزَّمَنُ، فهنا عاد الضمير على غير المرجع بحسب الظاهر.

(٣) الْغَضَى: شَجَرٌ يَقْطَعُ وَيَبْسُ فَيَكُونُ مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ وَقُوداً، وَالشُعْرَاءُ يَضْرِبُونَ بِهِ الْأَمْثَالَ.

وهنا يقول: «فَسَقَى الْغَضَى وَالسَّاكِنِيهِ»، الساكن [أهو] الْغَضَى؟ الجواب: لا؛ لأنَّ الْغَضَى شَجَرٌ، لَا يُسْكَنُ، إِنَّمَا الَّذِي يُسْكَنُ هُوَ مَحَلُّهُ أَوْ مَكَانُهُ.

«وَإِنْ هُمُو شَبُوهُ» الضمير في «شَبُوهُ» يعود إلى الْغَضَى، ولكن باعتبار آخر، أي: شَبُوهُ نَارُهُ، يُقَالُ: شَبَّ النَّارُ، أي: أَوْقَدَهَا، هَذَا يُسْمَوْنَ «الاستخدام»؛ لِأَنَّكَ =

(*) وهذا ما يُسَمَّى بِـ «إيهام التناسب».

٦- الجَمْع: هو أن يُجْمَعَ بين مُتَعَدِّ في حُكْمٍ واحدٍ، كقوله [الرَّجَز]:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاقَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيِّ مَفْسَدَةٍ^(١)

٧- التَّفْرِيق: هو أن يُفَرَّقَ بين شَيْئَيْنِ مِنْ نَوْعٍ واحدٍ، كقوله [الخفيف]:

مَا نَوَالُ الْغَمَامِ وَقْتَ ربيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ

فَنَوَالِ الْأَمِيرِ بِذَرَّةٍ عَيْنٍ وَنَوَالِ الْغَمَامِ قَطْرَةً مَاءٍ^(٢)

= استخدمت الضمير في غير ما يرجع إليه عادةً، فكأنك جعلته خادماً تستخدمه.

حَسَنًا، «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ» (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً [المؤمنون: ١٢-١٣]، مَنْ الْإِنْسَانُ هُنَا؟ آدَمَ، «ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْثَةً» يعود على الإنسان، لكن ليس على الإنسان الذي هو الأول، [إنما القصد] أي: بَنِيهِ، فهذا أيضاً فيه استخدام، والضابط ما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.

(١) نَعَمْ، إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاقَ وَالْجِدَّةَ - ثلاثة أشياء - كُلُّهَا دَاءٌ، إِلَّا إِذَا وَقَفَ الْإِنْسَانُ وَاسْتَعْمَلَهَا فِي نَافِعٍ.

- الْفِرَاق: عَدَمُ الْعَمَلِ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَمَلٌ ذَهَبَ ذِفَعُهُ كُلُّ مَذْهَبٍ، وَصَارَ يُخْبِطُ خَبْطَ عَشَوَاءٍ.

- الْجِدَّة: الْعِنْيَةُ؛ لِأَنَّ الْفَقْرَ يُلْجِئُ الْإِنْسَانَ إِلَى الْعَمَلِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ عَيْنِيًّا، وَكَانَ شَابًا، وَكَانَ فَارِعًا؛ هَذَا الْفَسَادُ، وَلِهَذَا نَجِدُ أَنَّ أَكْثَرَ الْمُكْذِبِينَ لِلرُّسُلِ هُمُ الْأَغْنِيَاءُ وَالْكِبَرَاءُ. وَالْعَرَضُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ: تَحْذِيرُ الشَّابِّ الَّذِي أَغْنَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَفْرَعَهُ عَمَّا يُلْهِمُهُ أَنْ يُضَيِّعَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثَ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ.

(٢) هَذَا مِنَ الْمِبَالِغَاتِ الْكَادِيَةِ، يَعْنِي عَطَاءَ الْأَمِيرِ عِنْدَهُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَطَرِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ رِزْقًا يَنْتَفِعُ بِهِ الْآدِمِيُّ وَالْبَهَائِمُ وَالْأَرْضُ، لَكِنْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ يُقَالُ: «أَخَذْتُ الشَّعِيرَ أَكْذِبُهُ» (*).

(*) قَالَتْهَا: الْمَلِكُ حُجْرُ بْنُ عَمْرٍو الْكَنْدِيُّ لِابْنِهِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ، وَالرَّوَايَةُ كَمَا فِي «رَبِيعِ الْأَبْرَارِ وَنُصُوصِ الْأَخْبَارِ: ٧٥/٤»: «يَا بَنِيَّ! إِنْ أَحْسَنَ الشَّعِيرَ أَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْسُنْ الْكَذِبُ بِالْمُلُوكِ».

٨- التفسير : هو :

أ- إمّا استيفاء أقسام الشيء ، نحو قوله [الطويل] :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمٍ^(١)

ب- وإمّا ذكر مُتَعَدِّ وإرجاع ما لكلّ إليه على التعيين ، كقوله [البسيط] :

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَمِيمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ : عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ

هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ^(٢)

ج - وإمّا ذكر أحوال الشيء مُضافاً إلى كلّ منها ما يليق به ، كقوله [الطويل] :

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولٍ مَا أَلْتَمُوا مُرْدُ

ثِقَالٍ إِذَا لَاقُوا ، خِفَافٌ إِذَا دُعُوا كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا ، قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا^(٣)

(١) قَسَمَ الأشياءَ إلى ثلاثة أقسام : يوم حاضِر ، وأمس ماضٍ ، وغَدٍ لا تدري هل تدركه أو لا .

(٢) يقول : «وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَمِيمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ» وَيَتَّهِمَا بقوله : «عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ» ، الْغَيْرُ :

الْجِمَارُ ، وَالْوَتْدُ : الْوَتْدُ بِالْأَرْضِ .

- الْوَتْدُ بِالْأَرْضِ يُرْبِطُ بِهِ الْحَصَانُ ، وَيُرْبِطُ بِهِ الْحِمَارُ ، وَيُرْبِطُ بِهِ الْإِنْسَانُ . . . ، وَهُوَ لَا

يَتَأَوُّهُ وَلَا يَتَوَجَّعُ وَلَا يَحْتَجُّ ، دَلِيلٌ .

- الْجِمَارُ كُلُّ يَرْكَبِهِ ، وَهُوَ أَيْضاً «مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ» ، أَي : بِحَبْلِهِ .

«وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ» ، الْوَتْدُ يَأْتِيهِ الصَّبِيُّ بِالْحَصَاةِ وَيَضْرِبُهُ ، يَتَكَسَّرُ وَلَا أَحَدٌ يَرْتِي

لَهُ ، وَذَاكَ مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ وَلَا أَحَدٌ يَرْتِي لَهُ .

المهم أن هذا فيه تقسيم ، ثم أعاد مع التقسيم على كلّ واحدٍ بوضفه اللَّائِي بِهِ ، ولهذا

قال : «وَأَمَّا ذِكْرُ مُتَعَدِّ وإرجاع ما لكلّ إليه على التعيين» ؛ لَأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ «هَذَا عَلَى

الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ» لَا يُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْوَتْدُ أَبَداً .

(٣) «سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا» يَعْنِي : الرَّمَاحَ .

٩- تأكيد المدح بما يشبه الذم، ضربان:

أحدهما: أن يُسْتَنَى مِنْ صِفَةٍ ذَمٍّ مَنَافِيَّةٍ صِفَةً مَدْحٍ عَلَى تَقْدِيرِ دُخُولِهَا فِيهَا، كَقَوْلِهِ [الطويل]:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ^(١)

= «ومشايخ كآتهم من طول ما ألتأموا مُزْدٌ» يعني: ما لَبَسُوا لَامَةً الحرب، مُزْدٌ لَأَنَّ شَعْرَ اللَّحْيَةِ حَتَّ وَزَالَ، ويجوز أن يكون «مَا أَلْتَمَوْا» مِنَ اللَّثَامِ: وهو تَغْطِيَةٌ بِعُضِّ الرَّجُلِ: الأنف والفم، لكن الأول أبلغ.

«يُقَالُ إِذَا لَاقُوا»: لا يترحزون ولا يَقْرُونَ إِذَا لَاقُوا الْعَدُوَّ.

«خِيفَاتٌ إِذَا دُعُوا»: إِذَا اسْتَقْفَرُوا لَا يَكُونُونَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢٨]، بل هم خِفَافٌ إِذَا دُعُوا.

«كثِيرٌ إِذَا شَدُّوا، قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا»: إِذَا شَدُّوا الْحَرْبَ فَهُمْ كَثِيرٌ لَشَجَاعَتِهِمْ، فَالوَاحِدُ مِنْهُمْ يَقْتُلُ عَشْرَةً أَوْ عَشْرِينَ أَوْ مِئَةً، وَلَكِنَّهُمْ قَلِيلُونَ إِذَا عَدَدْتَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ شَجِعَان، وَشَجَاعَتُهُمْ تَكْفِي عَنْ كَثْرَةِ الْعَدَدِ.

فَأَنْتَ تَقْرَأُ الْآنَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ عَادَ لَهُ مَا يُنَاسِبُهُ.

(١) إِذَا قَالَ: «وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ» مَاذَا تَتَوَقَّعُ؟ ذَمٌّ أَوْ مَدْحٌ؟ ذَمٌّ، لَكِنْ قَالَ: «غَيْرَ أَنَّ سِيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ»، جَاءَتْ صِفَةُ مَدْحٍ، وَ«الْفُلُولُ» يَعْنِي: الْمَتَكَسِّرَةُ، «مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ»: كِتَابِ الرُّؤُوسِ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الرَّأْسِ.

هَلْ هَذَا عَيْبٌ؟ لَا، بَلْ هَذَا مِنْ بَابِ تَأْكِيدِ الْمَدْحِ بِمَا يُشَبِّهُ الذَّمَّ، لَوْ قَالَ هَذَا النَّاطِمُ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ فِي سِيُوفِهِمْ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ» هَذَا مَلْحٌ، لَا شَكَّ، لَكِنْ قَوْلُهُ «وَلَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا كَذَا» أَبْلَغُ^(*).

(*) ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ لَهُ أَنَّ ابْنَ جَبَلٍ مَنَعَ الزَّكَاةَ فَقَالَ ﷺ: «مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَبَلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ»، ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ: «هَذَا تَأْكِيدُ الذَّمِّ بِمَا يُشَبِّهُ الْمَدْحَ؛ لِأَنَّ هَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ مَا دَامَ أَغْنَاهُ اللَّهُ أَنْ يُؤَدِّيَ زَكَاتَهُ وَلَا يَمْتَنِعَ مِنْهَا» اهـ.

قلت: الحديث رواه البخاري (٤٩/٢٤)، ومسلم (١٢/رقم: ١١).

ثانيهما: أن يُثَبَّتَ لشيءٍ صِفَةٌ مَدْحٍ، وَيُؤْتَى بعدها بِأداةِ استثناءٍ تليها صِفَةٌ مَدْحٍ أُخْرَى، كقوله [الطويل]:

فَتَى كَمُلْتُ أَوْصَافُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي عَلَى الْمَالِ بَاقِيًا^(١)

١٠- حُسْنُ التعليل: هو أن يُدْعَى لِوَصْفٍ عِلَّةٌ غَيْرُ حَقِيقَةٍ فِيهَا غَرَابَةٌ، كقوله [البسيط]:

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجَوَازِ خِدْمَتُهُ لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقٍ^(٢)

١١- اِثْتِلَافُ اللَّفْظِ مَعَ الْمَعْنَى: هو أن تكونَ الألفاظُ مُوَافِقَةً لِلْمَعْنَى،

(١) هذا قريب من الأول من حيث المعنى، يُثَبَّتُ أَوَّلُ شَيْءٍ صِفَةٌ مَدْحٍ، وَيَأْتِي بعدها بِأداةِ استثناءٍ تليها صِفَةٌ مَدْحٍ أُخْرَى، مثاله: «فَتَى كَمُلْتُ أَوْصَافُهُ غَيْرَ أَنَّهُ» تتوقعون صِفَةً ذَمًّا، لَكِنَّهُ أَتَى بِصِفَةِ مَدْحٍ: «جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي عَلَى الْمَالِ بَاقِيًا».

وتقول مثلاً: «فَتَى كَثِيرُ الْعَطَاءِ غَيْرَ أَنَّهُ شَجَاعٌ» هذا تأكيد المدح بما يُشَبِّه الذم؛ لِأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ الْمُخَاطَبُ إِذَا قُلْتُ: «فَلَا نَ كَثِيرُ الْعَطَاءِ غَيْرَ أَنَّهُ» يَتَوَقَّعُ «فِيهِ - مَثَلًا - حُمَقٌ»، «فِيهِ كَذَا وَكَذَا»، يَتَوَقَّعُ صِفَةً ذَمًّا، لَكِنْ تَأْتِي صِفَةٌ مَدْحٍ فَيَكُونُ هَذَا مِنْ بَابِ تَأْكِيدِ الْمَدْحِ بِمَا يُشَبِّهُ الذَّمَّ^(*).

(٢) الْجَوَازُ: نَجُومٌ مَعْرُوفَةٌ، هَذَا يَقُولُ: «لَوْلَا أَنَّ الْجَوَازَ تَرِيدُ أَنْ تَخْدِمَهُ مَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا هَذَا الْعِقْدَ: عِقْدَ ذَاتِ النَّطَاقِ»، هَلْ هَذَا صَحِيحٌ أَوْ لَا؟ غَيْرُ صَحِيحٍ، لَا شَكَّ، الْجَوَازُ خَلَقَهَا اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، لَكِنَّهُ ادَّعَى أَنَّهَا صَارَتْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مِنْ أَجْلِ خِدْمَةِ مَمْدُوحِهِ، هَذَا يُسَمُّونَهُ حُسْنَ التعليل، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ كَذِبُ التعليل، مَنْ قَالَ هَذَا؟ لَكِنْ كَمَا قُلْتُ لَكُمْ: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوَرَنُ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

(*) ومن المحسنات المعنوية: تَأْكِيدُ الذَّمِّ بِمَا يُشَبِّهُ الْمَدْحَ، وَهُوَ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يُسْتَتَى مِنْ صِفَةٍ مَدْحٍ مَنفِيَّةٍ صِفَةً ذَمًّا عَلَى تَقْدِيرِ دَخُولِهَا فِيهَا، نَحْوُ: لَا خَيْرَ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ بِخَيْلٍ. ثَانِيَهُمَا: أَنْ يُثَبَّتَ لشيءٍ صِفَةٌ ذَمًّا وَيُؤْتَى بعدها بِأداةِ استثناءٍ تليها صِفَةٌ ذَمًّا أُخْرَى، نَحْوُ: الْقَائِدُ خَائِفٌ إِلَّا أَنَّهُ ضَعِيفٌ.

فَتَخْتَارُ الْأَلْفَاظَ الْجَزَلَةَ، وَالْعِبَارَاتِ الشَّدِيدَةَ؛ لِلْفَخْرِ وَالْحِمَاسَةِ، وَالْكَلِمَاتِ الرَّقِيقَةِ، وَالْعِبَارَاتِ اللَّيْنَةِ؛ لِلغَزَلِ وَنَحْوِهِ^(١)، كَقَوْلِهِ [الطَّوِيلُ]:

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِّئَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا

إِذَا مَا أَعَزَّنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمًا^(٢)

وَقَوْلِهِ [الرَّمَلُ]:

لَمْ يَطْلُنْ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفُ أَلَمٍ^(٣)

(١) هذا من المحسنات: أن يكون اللفظ مطابقاً للمعنى، فحينما تتكلم عن الحماسة، وعن الشجاعة؛ [فهل] تأتي بوصف النساء؟ لا، تأتي بوصف الحماسة والحرب والإقدام والكرّ والفِرّ، وعندما تريد أن تتحدث حديث المُتَغَزِّلِ تأتي بالألفاظ المناسبة، هذا أيضاً لا شك أنه من البديع ومن المحسنات.

(٢) هذا أيضاً حماس، يقول: «إِنْ غَضِبْنَا قَوِيَّةً، إِذَا غَضِبْنَا الغَضْبَةَ الْمُضَرِّئَةَ- وهم من أشرف قبائل العرب- هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا»، وهذا جداً عظيم، وكذلك أيضاً: إِذَا مَا أَعَزَّنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمًا أي: دعا لنا، يعني: حتى الخطباء إِذَا أَعَزَّنَاهُمْ ذُرَى الْمَنْبَرِ فَإِنَّهُمْ يَصْدَعُونَ لَنَا، يُسَلِّمُونَ.

(٣) هذا الرجل قام يُفَكِّرُ في محبوبته، والليل لم يَطْلُنْ عليه، لماذا؟ لأنَّ الإنسانَ إِذَا فَكَّرَ فِيمَا يُجِبُّ مَضَى عَلَيْهِ اللَّيْلُ بِسُرْعَةٍ حَتَّى لَوْ لَمْ يَنْمِ كُلَّ اللَّيْلِ، فَهُوَ يَقُولُ: «لَيْلِي لَمْ يَطْلُنْ، وَلَكِنِّي مَا نِمْتُ»، ولماذا لم يَنْمِ؟ نَفَى عَنْهُ الْكَرَى- أي: النوم- طَيْفُ أَلَمٍ. إِذَا قَارَنْتَ هَذَا الْبَيْتَ بِالْبَيْتِ قَبْلَهُ عَرَفْتَ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، ويقول الشاعر [الخفيف]:

أَنَا كَالْمَاءِ إِنْ رَضِيتُ صَفَاءً وَإِذَا مَا غَضِبْتُ كُنْتُ لَهِيًّا

الشرط الأول إِذَا قَرَأْتَهُ تَطْمِئِنُّ نَفْسُكَ وَتَرْتَاحَ، مَاءٌ صَافٍ، إِذَا جَاءَ الثَّانِي أَعُوذُ بِاللَّهِ: «إِذَا مَا غَضِبْتُ كُنْتُ لَهِيًّا»: أَخْرِقْ، فَتَجِدُ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ هَذَا يَمْدَحُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ فِي حَالِ الرِّضَا يَكُونُ كَالْمَاءِ الصَّافِي، وَفِي حَالِ الْغَضَبِ يَكُونُ كَالنَّارِ.

١٢- أَسْلُوبُ الْحَكِيمِ: وَهُوَ تَلْقَى الْمُخَاطَبَ بِغَيْرِ مَا يَتَرَقَّبُهُ، أَوْ السَّائِلَ بِغَيْرِ مَا يَطْلُبُهُ؛ تَنْبِيهاً عَلَى أَنَّهُ الْأَوَّلَى بِالْقَضْدِ^(١).

- فالأول: يَكُونُ بِحَمْلِ الْكَلَامِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِ قَائِلِهِ، كَقَوْلِ الْقَبْعَثَرِيِّ لِلْحَجَّاجِ- وَقَدْ تَوَعَّدَهُ بِقَوْلِهِ: «لَأَحْمِلَنَّكَ عَلَى الْأَذْهَمِ»-: «مِثْلُ الْأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَى الْأَذْهَمِ وَالْأَشْهَبِ».

فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: «أَرَذْتُ الْحَدِيدَ».

فَقَالَ الْقَبْعَثَرِيُّ: «لَأَنْ يَكُونَ حَدِيداً خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَلِيداً».

أَرَادَ الْحَجَّاجُ بِالْأَذْهَمِ: الْقَيْدَ، وَبِالْحَدِيدِ: الْمَعْدِنُ الْمَخْصُوصَ، وَحَمَلَهُمَا الْقَبْعَثَرِيُّ عَلَى الْفَرَسِ الْأَذْهَمِ الَّذِي لَيْسَ بَلِيداً^(٢).

(١) يَعْنِي الْإِنْسَانُ يَتَكَلَّمُ وَيُحْمَلُ كَلَامُهُ عَلَى مَعْنَى لَا يُرِيدُهُ، أَوْ يُجَابِ السَّائِلُ بِغَيْرِ مَا يَطْلُبُهُ؛ تَنْبِيهاً لَهُ عَلَى أَنَّ الْأَوَّلَى أَنْ يَسْأَلَ عَنْ هَذَا، وَلَهُ أَمْثَلَةٌ.

(٢) هَذَا عُذُولٌ بِالْفِعْلِ عَنْ مَعْنَاهُ الْمُرَادِ، لَكِنْ مِثْلُ هَذَا يُنْجِبُ الْحَجَّاجَ وَأَمْثَالَهُ، وَرُبَّمَا يَصْفَحُ عَنْهُ، يَقُولُ لَهُ: «لَأَحْمِلَنَّكَ عَلَى الْأَذْهَمِ»، الْقَبْعَثَرِيُّ يَعْرِفُ مَا هُوَ الْأَذْهَمُ، يَعْرِفُ أَنَّهُ حَدِيدٌ، وَيَعْرِفُ أَنَّ الْحَجَّاجَ- وَهُوَ يَتَوَعَّدُهُ- لَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى الْخَيْلِ، قَالَ: «لَأَنْ يَكُونَ حَدِيداً خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَلِيداً»، الْحَدِيدُ تَكُونُ عَنْده قُوَّةٌ فِي الْجَزْيِ وَالْكَرِّ وَالْفَرِّ، وَالبَلِيدُ بِالْعَكْسِ، لَكِنْ أَرَادَ الْحَجَّاجُ بِالْأَذْهَمِ الْقَيْدَ، وَبِالْحَدِيدِ الْمَعْدِنُ الْمَخْصُوصَ، وَحَمَلَهُمَا الْقَبْعَثَرِيُّ عَلَى الْفَرَسِ الْأَذْهَمِ الَّذِي لَيْسَ بَلِيداً.

إِذَا أَسْلُوبُ الْحَكِيمِ هُنَا فِي مَاذَا؟ حَيْثُ نَقَلَ مُرَادَ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى مُرَادِهِ هُوَ، فَالْتَصَرُّفُ مِنَ الْمُخَاطَبِ، وَهَذِهِ تَقَعُ كَثِيراً حَتَّى فِي الْكَلَامِ الدَّارِجِ عِنْدَ النَّاسِ، تَجِدُهُ يَحْمِلُ كَلَامَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَرَادَ؛ إِمَّا مِنْ بَابِ الْمُطَافَةِ أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ.

- والثاني: يكون بتنزيل السؤال منزلة سؤال آخر مُناسِبٍ لحالة المسألة^(*)، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، سأل بعض الصحابة النبي ﷺ: «ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يترأى حتى يصير بذراً، ثم يتناقص حتى يعود كما بدا؟»^(**)، فجاء الجواب عن الحكمة المترتبة على ذلك؛ لأنها أهم للسائل، فنزل سؤالهم عن سبب الاختلاف منزلة السؤال عن حكمته^(١).

* * *

(١) معناه: أن يُصرف السائل عما سأل ويُجاب بغير ما سأل؛ تنبيهاً له على أنه ينبغي أن يسأل عن هذا.

القصّة التي ذكر المؤلف غير صحيحة، الصحابة سألوا الرسول ﷺ عن الأهلة عن الحكمة فيها، لا عن مسألة فليكن، فقال الله عز وجل: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾. لكن هنا آية أخرى يُسأل بها وهي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ولم يقل: «أَنْفَقُوا كذا أو كذا أو كذا»، بيّن وجه ما يُنفق عليه إشارة إلى أن الأهم محل الإنفاق لا قدر الإنفاق وأن يكون في هؤلاء: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ﴾.

(*) أي: بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله.

(**) انظر: تفسير الطبري (٢/ ١٩١)، ومسند ابن أبي حاتم (١٧٠٧).

مُحَسَّنَاتُ لَفْظِيَّةٍ

مُحَسِّنَات لَفْظِيَّةٌ^(١)

٦٣- الجناس: هو تشابه اللفظين في النطق لا في المعنى، ويكون تاماً وغير تام.

- فالتام: ما اتفقت حروفه في الهيئة والنوع والعدد والترتيب^(٢)، نحو [البسيط]:

لَمْ نَلْقَ غَيْرَكَ إِنْسَانًا يَلَاذُ بِهِ فَلَا بَرِيحَتَ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَانًا^(٣)
ونحو [السريع]:

فَدَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ^(٤)

(١) لما انتهى المؤلف من المحسنات المعنوية ذكر المحسنات اللفظية التي تعود إلى اللفظ فقط.

(٢) أربعة أشياء:

١- الهيئة: يعني الحركات: فتحة، ضمة، كسرة، سكون.

٢- النوع: باء، تاء، جيم، وهكذا...

٣- العدد: أربعة وأربعة مثلاً.

٤- الترتيب.

هذا يُسَمَّى جناساً تاماً.

(٣) الشاهد قوله: «إِنْسَانًا يَلَاذُ بِهِ»، المراد به: الْبَشَرُ، «لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَانًا» المراد به: إِنْسَانُ الْعَيْنِ؛ لِأَنَّ إِنْسَانَ الْعَيْنِ هو الذي يكون فيه البصر.

(٤) «دار» و«دار» مُتَّفَقَةٌ في الهيئة والنوع والعدد والترتيب، والمعنى مُخْتَلِفٌ، «دار» الأولى: فعل أمر، و«دار» الثانية: اسم.

- وغير تام، نحو [الطويل]:

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدِ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ^(١)

١٤- السَّجْعُ: هو تَوَافُقُ الْفَاصِلَتَيْنِ نَثْرًا^(٢) فِي الْحَرْفِ الْآخِرِ.

- نحو: «الإنسان بآدابه، لا بزيه وثيابه».

- ونحو: «يَطْبَعُ الْأَسْجَاعُ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعُ بِزَوَاجِرِ وَغْظِهِ»^(٣).

= «أَرْضِيهِمْ» و«أَرْضِيهِمْ» مُتَّفِقَةٌ فِي الْحُرُوفِ عِدَدًا وَتَرْتِيبًا وَهَيْئَةً وَنَوْعًا، مُخْتَلِفَةٌ فِي الْمَعْنَى، «أَرْضِيهِمْ» الْأُولَى: فَعْلٌ أَمْرٌ مِنْ «رَضِيَ»، وَ«فِي أَرْضِهِمْ»: اسْمٌ.

(١) الشاهد قوله: «عواص عواصم»، هذا جناس غير تام؛ لأنَّ الثَّانِيَةَ أَزِيدُ مِنَ الْأُولَى بِحَرْفٍ، وَ«قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ»؛ الثَّانِيَةُ زَائِدَةٌ عَنِ الْأُولَى بِحَرْفٍ.

حَسَنًا، قَوْلُ الشَّاعِرِ^(*) [الطويل]:

وَسَمِيئَتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلٌ

«يَحْيَى لِيَحْيَا»: تام.

(٢) قوله «نَثْرًا» احْتِرَازًا مِنَ الشَّعْرِ، مَعَ أَنَّ الشَّعْرَ يَكُونُ فِيهِ أَيْضًا السَّجْعُ^(**)، لَكِنَّ الْغَالِبَ أَنَّ السَّجْعَ يَكُونُ فِي النَّثْرِ.

(٣) السَّجْعُ كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَفِي كَلَامِ الْعُلَمَاءِ، وَمِنْ أَقْدَرِ مَنْ قَرَأَتْ كِتَابَهُ عَلَى السَّجْعِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «التَّبَصُّرَةِ»، يَأْتِي بِسَجْعٍ عَجِيبٍ يَأْخُذُ بِاللُّبِّ، وَتَشْعُرُ بِأَنَّ الرَّجُلَ لَا يَتَكَلَّفُ، وَيُوجَدُ الْآنَ مَعْنَا مَنْ يَكُونُ كَلَامُهُ كُلُّهُ سَجْعًا، وَيَتَكَلَّمُ عَادٍ، يَسْهُلُ عَلَيْهِ السَّجْعُ، فَهَلِ السَّجْعُ مَحْمُودٌ أَوْ مَذْمُومٌ؟ =

(*) هو محمد بن عبد الله بن كنانة الأسدي الكوفي، قاله في رثاء ابنه يحيى.

(**) كقول أبي تمام [الطويل]:

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي، وَأَثَرَتْ بِهِ يَدِي وَفَاضَ بِهِ قَمْدِي، وَأَوْدَى بِهِ رُثْدِي

١٥- الاقتباس : هو أن يُضَمَّنَ الكلامُ شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه

نقول :

- إذا كان غير متكلف وجاءت به الطبيعة هكذا فإنه محمود؛ لأنه يَنُمُّ الكلام ويَحْسُنُهُ ويُطَرِّبُ الأسماع.

- وأما إذا كان متكلفاً فإنه لا شك أنه مذموم، ولهذا تَجِدُ السَّجْعَ المتكلفَ يَخْصُلُ فيه غموضٌ في المعنى؛ لأن المتكلم يحاول أن يأتي بالكلمات المتناسبة ولكن مع مُشَقَّةٍ.

- أما إذا أريدَ به الباطل فهذا واضح أنه - سواء كان سجعاً أو غير سجع - أنه مذموم بلا شك.

فقول الرسول ﷺ : «قضاء الله أحقُّ، وشرطُ الله أوثقُ، وإنما الولاء لمن أعتق»(*)؛ هذا سجعٌ بلا شك، لكنه محمود؛ لأنه غير متكلف جاءت به السليقة هكذا، فلا يكون مذموماً.

وكذلك يوجد في بعض الخطب - خطب العلماء رحمهم الله - التي قبل بدء الكلام يكون فيها سجعٌ كثيرٌ.

أما إذا قصدَ به الباطل فلا شك أنه مذموم، مثل قول حمَل بن النابغة للرسول ﷺ حين قُضِيَ في قصة المراتين المُقتَلَتَيْنِ بديهةً وغرّةً، قال: «يا رسولَ الله! كيف أغرُمُ من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل؟»، فمثلُ ذلك يُطلُّ، يعني: «كيف أغرُمُ الجنينَ الذي مات وهو لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل؟»، فمثلُ ذلك يُطلُّ، يعني: يُهْدَرُ، هذا سجعٌ، ولهذا قال: «لا شرب ولا أكل» ولم يقل: «من لا أكل ولا شرب»، مع أن العادة أن الأكل يُقدَّم على الشرب، فقال النبي ﷺ: «إنما هذا من إخوان الكُهَّانِ، من أجلِ سَجْعِهِ الذي سَجَعَ»(**) يعني: من أجل كلامه المسجوع؛ لأن الكاهن يأتي بكلام مسجوعٍ لِيَتَمَقَّ الكلام ويكون أشدَّ طرباً للأسماع.

الغلاصة:

١- السجع المتكلف مذموم.

٢- السجع الذي يُراد به إبطال الحق مذموم، لكن الأول مذموم من حيث الشكل، =

(*) رواه البخاري (١٣/٥٤)، ومسلم (٢٠/٢٠٠)، واللفظ للبخاري.

(**) رواه البخاري (٤٦/٧٦)، ومسلم (٢٨/٣٦).

بقوله [الحقيق]:

لَا تَكُنْ ظَالِمًا وَلَا تَرْضَ بِالظُّلْمِ وَأَتَكَبَّرْ بِكُلِّ مَا يُسْتَطَاعُ
الَّذِي يَأْتِي الظُّلْمَ مَا يَظْلُمُ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ^(١)
وقوله [الرمل]:

لَا تُهَادِ النَّاسَ فِي أَوْطَانِهِمْ قَلَمًا يُزَعَى غَرِيبُ الْوَطَنِ
وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ^(٢)

= والثاني مذمومٌ من حيث المضمون.

٣ - الشُّجْعُ الَّذِي لَا يَبْطُلُ حَقًّا وَلَا يَأْتِي مُتَكَلِّفًا هَذَا مَحْمُودٌ؛ لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّهُ يُحَسِّنُ الْكَلَامَ.

(١) قوله: «ما لظلم» وفي القرآن ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾^(*)، «ما لظلم من حميم ولا شفيع يطاع» هذا يُسَمَّى الاقتباس، يعني: أَنَّهُ اقْتَبَسَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ الْحَدِيثِ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَأَضَافَهَا إِلَى كَلَامِهِ، لَكِنْ لَا عَلَى أَنَّهَا مِنْهُ، بَلْ عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنَ الْحَدِيثِ، وَلَكِنْ هَلْ هَذَا مَحْمُودٌ أَوْ لَا؟

هذا اشتهر بين الأدباء في القرون الوسطى، لكنَّهُ فيما أرى مذمومٌ، خصوصاً إِذَا جَاءَ فِي الشُّعْرِ وَهُوَ مِنَ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ هَذَا يُوجِي بِأَنَّ الْقُرْآنَ نَوْعٌ مِنَ الشُّعْرِ، فَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اْلإِقْتِبَاسَ مِنَ الْقُرْآنِ إِذَا كَانَ فِي النُّظْمِ فَهُوَ مَذْمُومٌ؛ لِأَنَّهُ يَجِبُ إِعَادَةُ الْقُرْآنِ عَنِ الشُّعْرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَلْبِسُنِي لَهْؤُهُ إِنَّا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾^(١٦) يُسْتَدْرَكُ مَنْ كَانَ حَيًّا وَصَحَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ [يس: ٦٩-٧٠].

(٢) الشاهد: «خالقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنِ»، هذا جزء من حديث^(**).

(*) الآية بتمامها: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْمَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

(**) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتقِ الله حيثما كنت»، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالفني الناس بخُلُقٍ حَسَنِ، رواه أحمد في مسنده (٥/٣)، والترمذي (٥٥/٢٤) وغيرهما، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ٩٧).

ولا بأس بتغيير بعض في اللفظ المقتبس للوزن أو غيره، نحو [مُخْلَع
السط]

وَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ مَا وَعَدَ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونا
وَالثَّلَاوةُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١) [البقرة: ١٥٦].

(١) لكن إذا عُرِّفَ فقد يُمنَعُ أن يكون اقتباساً؛ لأنه إذا تَغَيَّرَ ما صار بلفظ القرآن، ولا بلفظ الحديث.

الاقتباس إذاً من المحسنات اللفظية، لكن لا ينبغي أن يكون من القرآن إذا كان ذلك في الشعر^(*).

(*) وبعد الدرس وَرَدَ إلى الشيخ رحمه الله هذا السؤال:

الطالب: ما الدليل على عدم جواز الاقتباس بشيء من القرآن أو الحديث مع أن الصحابة يقتبسون بشيء من القرآن، وما هو طلحة لما وصله الخبر أن قتلة عثمان نادمون على ما فعلوه قال: «يَبَّا لَهُمْ قَتَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْمِيَّ وَلَا إِلَا أَهْلِيهِمْ يَرْجِعُونَ» [يس]؟

فأجاب رحمه الله: هذا ليس من الاقتباس، هذا من الاستشهاد، وأولاً لا بُدَّ أن يثبت هذا عن طلحة، ثبته أولاً ثم انظر هل يدخل في هذا أو لا، لأنه واضح أن هذا قرآن مُسْتَقِلٌّ، لكن استشهد به على نظيره، مثل قول الرسول ﷺ مع الحسن والحسين: «صَدَقَ اللَّهُ ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] اهـ. قلت: حديث الحسن والحسين رواه أحمد في مسنده (٣٥٤/٥)، وأبو داود (٢٣٣/٢) والترمذي (٣١/٥٠)، والنسائي (٣٠/١٤)، وابن ماجه (٢٠/٣٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ٣٧٥٧).

أما أثر طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقد أخرجه الطبري في «تاريخ الأمم والملوك»: ٢/٦٧٦ وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: ٤١/٢٩٢.

خَاتِمَةٌ

خاتمة

١٦- حُسْنُ الْإِبْتِدَاءِ: هو أن يَجْعَلَ المتكَلِّمُ مَبْدَأَ كَلَامِهِ عَذْبَ اللَّفْظِ، حَسَنَ السَّبْكِ، صَحِيحَ الْمَعْنَى، فَإِذَا اشْتَمَلَ عَلَى إِشَارَةِ لَطِيفَةٍ إِلَى الْمَقْصُودِ سُمِّيَ «بِرَاعَةً الْاسْتِهْلَالِ»^(١)، كَقَوْلِهِ فِي تَهْتَةِ بَزْوَالِ مَرَضٍ [البسيط]:

الْمَجْدُ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتْ وَالْكَرْمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ السَّقَمُ

وَقَوْلِ الْآخَرِ فِي التَّهْتَةِ بِنَاءِ قَضَرٍ [الكامل]:

قَضَرَ عَلَيْهِ نَجِيَّةٌ وَسَلَامٌ خَلَمَتْ عَلَيْهِ جَمَالُهَا الْأَيَّامُ

١٧- حُسْنُ الْإِنْتِهَاءِ: هو أن يَجْعَلَ آخِرَ الْكَلَامِ عَذْبَ اللَّفْظِ، حَسَنَ السَّبْكِ، صَحِيحَ الْمَعْنَى، فَإِنْ اشْتَمَلَ عَلَى مَا يُشْعِرُ بِالْإِنْتِهَاءِ سُمِّيَ «بِرَاعَةً الْمَقْطَعِ»^(٢)، كَقَوْلِهِ [الطويل]:

بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ^(٣)

* * *

(١) ابن حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «بُلُوغِ الْمَرَامِ» قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا»، بِرَاعَةُ الْاسْتِهْلَالِ فِي قَوْلِهِ: «حَدِيثًا»، وَكَلِمَةُ «بِرَاعَةٍ» تُفْهَمُ بِأَنَّ هَذَا الْأَسْلُوبَ يَأْتِي عَنْ ذِكَاةٍ وَفُطْنَةٍ.

(٢) وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: «بِرَاعَةُ الْإِخْتِمَامِ أَوْ الْإِنْتِهَاءِ»، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

(٣) الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ» يَعْنِي: أَنْتَهَيْنَا.

* * *

انتهى الكتاب الآن.

تَنْبِيْهٌ

تَنْبِيْهٌ

ينبغي للمعلم أن يُناقش تلاميذه في مسائل كلِّ مَبْحَثٍ شَرَحَهُ لَهُمْ مِنْ هَذَا
الكتاب؛ لِيَتِمَكَّنُوا مِنْ فَهْمِهِ جَيِّدًا، فإذا رأى مِنْهُمْ ذَلِكَ سألهم مسائلَ أُخْرَى
يُمْكِنُهُمْ إدراكُهَا مِمَّا فَهَمُوهُ.

١- كَانَ يَسْأَلُهُمْ بَعْدَ شَرْحِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَفَهْمِهَا عَنْ أَسْبَابِ خُرُوجِ
الْعِبَارَاتِ الْآتِيَةِ عَنْهُمَا أَوْ عَنْ إِحْدَاهُمَا:

[مَجْزُوءُ الرَّجَزِ]:

١- وَجَفْنَةٌ مُثْمَنَجِرَةٌ وَطَعْنَةٌ مُسَحْنَفِرَةٌ
تَبْقَى غَدًا بِأَنْقَرَةٍ
أي: جَفْنَةٌ مَلَأَى، وَطَعْنَةٌ مُتَّسِعَةٌ، تَبْقَى بَيْلِدَ أَنْقَرَةٍ.

[الرَّجَزُ]:

٢- الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ

٣- «أَكَلْتُ الْعَرِينَ، وَشَرِبْتُ الصُّمَادِحَ»، تَرِيدُ اللَّحْمَ وَالْمَاءَ الْخَالِصَ.

[السَّرِيعُ]:

٤- وَازْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عِرْفَانُهُ

[الطويل]:

٥- أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ يَلُومَنَّ قَوْمُهُ زُهَيْرًا عَلَى مَا جَزَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

[الكامل]:

٦- مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعْرَاءُ

أي: يهتدي في الفعل ما لا يهتدي به الشعراء في القول حتى يفعل.

٧- «قُرْبَ مَثًا قَرَأْنَاهُ أَسْدًا»، تريد أَبْخَرَ.

٨- «يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا»، تقوله بشدةٍ مُخَاطِبًا لِمَنْ إِذَا فَعَلَ عُدَّ فِعْلُهُ كَرَمًا وَفَضْلًا.

* * *

ب- وَكَانَ يَسْأَلُهُمْ بَعْدَ بَابِ الْخَبَرِ وَالْإِنْشَاءِ أَنْ يُجِيبُوا عَمَّا يَأْتِي:

١- أَمِنَ الْخَبَرَ أَمْ الْإِنْشَاءَ:

- قولك: «الكلُّ أعظمُ من الجزء».

- وقوله تعالى: «إِنَّ قُرُونَكُمْ كَمَا نَفْسٌ مِنْ قَوْمِ مُوسَى» [القَصَص: ٧٦].

٢- ما الذي يستفيدة السامعُ من قولك:

- «أَنَا مُعْتَرِفٌ بِفَضْلِكَ».

- «أَنْتَ تَقُومُ فِي السَّحَرِ».

- «رَبِّ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ اصْطِبَارًا».

٣- من أي الأضرِب قوله تعالى عن رُسُلِ عيسى:

- ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

- ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦].

٤- من أي أنواع الإنشاء هذه الأمثلة، وما معانيها المستفادة من القرائن:

[الطويل]:

- أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

- «إِغْمَلْ مَا بَدَا لَكَ».

- «لَا تَزَجْجِعْ عَنْ غَيْكَ».

- «لَا أَبَالِي أَقْعَدَ أَمْ قَامَ».

- ﴿وَهَلْ يُخْرِجُ إِلَّا الْكُفُورَ﴾ [سبا: ١٧].

- ﴿أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨].

[الرَّمَل]:

- لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَرْتُنَا مَا نَعِذُ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَجِدُ

- «لَوْ يَأْتِينَا فَيُحَدِّثُنَا»

[الوافر]:

- أَسْكَانَ الْعَقِيقِ كَفَى فِرَاقًا

ج- وكان يسألهم بعد «الذِّكْرِ والحذف» :

* عن دواعي الذِّكْرِ في هذه الأمثلة :

١- ﴿أَمَرَ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن : ١٠].

٢- «الرئيسُ كَلَّمَنِي فِي أَمْرِكَ، والرئيسُ أَمَرَنِي بِمُقَابَلَتِكَ»، تَخَاطَبُ غَيْبًا.

٣- «الأميرُ نَشَرَ المعارِفَ، وأَمَّنَ المخاوِفَ»، جواباً لَمَنْ سَأَلَ: مَا فَعَلَ الأميرُ؟.

٤- «حَضَرَ السارقُ»، جواباً لقائلٍ: هل حَضَرَ السارقُ؟.

٥- «الجِدَارُ مُشْرِفٌ عَلَى السَّقُوطِ»، تقوله بعد سَبَقِ ذِكْرِهِ؛ تنبيهاً لصاحبه.

* وعن دواعي الحذف في هذه الأمثلة :

١- ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الجن : ١٠].

٢- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِّيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل : ٥-٧].

٣- ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى : ٢].

٤- ﴿أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَشَآوَى﴾ [الضحى : ٦].

٥- ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف : ١٨].

٦- «مُنْضِجَةُ الزُّرُوعِ، وَمُصْلِحَةُ الْهَوَاءِ».

٧- «مُخْتَالٌ مُرَاوِعٌ»، بعد ذِكْرِ إِنْسَانٍ.

[الكامل]:

٨- أَمْ كَيْفَ يَنْطِقُ بِالْقَبِيحِ مُجَاهِرًا وَالْهَرُّ يُخَدِّثُ مَا يَشَاءُ فَيَذْفِرُ

* * *

د - وَكَانَ يَسْأَلُهُمْ عَنْ دَوَاعِيِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِي هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ:

١- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

[البسيط]:

٢- مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُذِرْكُهُ

٣- «السَّفَاحُ فِي دَارِكَ».

٤- «إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ الزَّمَانُ نَقْتَرِحْ عَلَيْكَ مَا نَشَاءُ».

٥- «الْإِنْسَانُ جِسْمٌ نَامٍ، حَسَّاسٌ نَاطِقٌ».

٦- «اللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُضْلِحَ الْأَمْرَ».

٧- «الدَّهْرُ مَلَأَ قَوْدِي شَيْئًا».

٨- ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

[البسيط]:

٩- ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا: شَمْسُ الضُّحَى، وَأَبُو إِسْحَاقَ، وَالْقَمَرُ

[المتقارب]:

١٠- وما أنا أَسَقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وما أنا أَضَرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

* * *

هـ- وَكَأَن يَسْأَلُهُمْ بَعْدَ التَّشْبِيهِ عَنِ التَّشْبِيهَاتِ الْآتِيَةِ:

[الطويل]:

١- وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَّا لَمَنْ رَأَى كَعُنُقُودِ مَلَاحِيَةٍ حِينَ نَوَّرَا

[المُنْسَرَح]:

٢- كَأَنَّمَا النَّارُ فِي تَلْهِيهَا وَالْفَخْمُ مِنْ فَوْقِهَا يُغْطِيهَا
زَنْجِيَّةٌ شَبَّكَتْ أُنَامِلَهَا مِنْ فَوْقِ نَارِنَجَةٍ لِتُخْفِيهَا

[الكامل]:

٣- وَكَأَن أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرَّرَ نُثْرَنَ عَلَى بِسَاطِ أَرْزَقِ

[الكامل]:

٤- عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِبًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَفْوَلُ

[الكامل]:

٥- أَبْذُلُ فَإِنَّ الْمَالَ شَغَرَ كُلَّمَا أَوْسَعَتْهُ خَلْقًا يَزِيدُ نَبَاتًا

[الطويل]:

٦- وَلَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكَ مَيْلٌ مَعَ الْعِدَا عَلَيَّ وَلَمْ يَخْذُثْ سِوَاكَ بِدِيلُ

صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرِّمِّي تَطَاوَلَتْ بِهِ مُدَّةُ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَنِيلٌ

[الخفيف]:

٧- رَبِّ حَيِّ كَمَيِّتٍ لَيْسَ فِيهِ أَمَلٌ يُرْتَجَى لِنَفْعٍ وَضُرٍّ

وِعِظَامٍ نَحْتَ الثَّرَابِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ مِنْهَا آثَارُ حَمْدٍ وَشُكْرِ

[الطويل]:

٨- كَأَنَّ انْتِصَاءَ الْبَدْرِ مِنْ تَحْتِ غَيْمِهِ نَجَاةٌ مِنَ الْبَاسِ بَعْدَ وَقُوعِ

* * *

و- وَكَأَنَّ يَسْأَلُهُمْ عَنِ الْمُحْسَنَاتِ الْبَدِيعَةِ فِيمَا يَأْتِي:

[مجزوء الرَّمْل]:

١- كَانَ مَا كَانَ وَزَالًا فَاطْرَحَ قَبِلًا وَقَالَ

إِنَّهَا الْمُنْفَرِضُ عَنَّا حَسْبُكَ اللَّهُ تَعَالَى

٢- ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾

[الأنعام: ١٢٢].

[الكامل]:

٣- خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا لِمَكْرَمَةٍ فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا

[الطويل]:

٤- عَلَى رَأْسِ حُرٍّ تَاجٍ عَزُّ يَزِينُهُ وَفِي رِجْلِ عَبْدٍ قَبْدٌ ذُلٌّ يَشِينُهُ

[المُجْتَث]:

٥- مَنْ قَاسَ جَدَوَاكَ يَوْمًا
السُّخْبُ تُفْطِي وَتَبْكِي وَأَنْتَ تُفْطِي وَتَضْحَكُ
بِالسُّخْبِ أَخْطَأَ مَذْحَكُ

[الكامل]:

٦- آرَأَيْتُمْ وُجُوهَكُمْ وَسُيُوفَكُمْ
فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَّوْنَ نَجُومَ

[الخفيف]:

٧- إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ
وَالسَّفِيهُ الْغَيْبِيُّ مَنْ يَضْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتٍ وَالْمُؤْمَلُ غَيْبٌ
وَلَكِ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

[البسيط]:

٨- لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنَّ النَّزِيلَ بِهِمْ
يَسْلُوْا عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ وَالْحَشَمِ

[مجزوء الخفيف]:

٩- عَاشِرِ النَّاسِ بِالْجَمِيعِ
وَتَيْقُظُ وَقُلْ لِمَنْ يَتَعَاظَى الْمُزَاحُ: مَهْ
لِ وَخَلْ الْمُزَاحِمَةُ

[الوافر]:

١٠- فَلَمْ تَضَعْ الْأَعَادِي قَنْدَرًا شَانِي
وَلَا قَالُوا فَلَانٌ قَدْ رَشَانِي

١١- أَيُّ شَيْءٍ أَطْيَبُ مِنْ ابْتِسَامِ الثُّغُورِ، وَدَوَامِ السُّرُورِ، وَبُكَاءِ الْغَمَامِ،
وَنُوحِ الْحَمَامِ.

[البسيط]:

١٢- مَدَحْتُ مَجْدَكَ، وَالْإِعْلَاصُ مُلْتَزِمِي فِيهِ، وَحُسْنُ رَجَائِي فِيكَ مُخْتَمِي

* * *

وَلَا يَضَعُبُ عَلَى الْمُعَلِّمِ اقْتِفَاءُ هَذَا الْمَنْهَجِ، وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى طَرِيقِ النُّجَاحِ.

* * *

تَمَّ الْكِتَابُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الفهارس العامة

١- فهرس الآيات .

٢- فهرس الأحاديث والآثار .

٣- فهرس الأشعار .

٤- فهرس أنصاف الأبيات .

٥- فهرس الأعلام .

٦- فهرس المذاهب والطوائف .

٧- فهرس الكتب .

٨- فهرس المواضيع .

فهرس الآيات

(حسب ورودها في المصحف)

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- إِيَّاكَ نَعْبُدُ	الفاتحة/ ٥	٦٩ ، ٧٥
- أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	البقرة/ ٥	٦١ ، ١٢٧
- سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَمْلَأْتَ أَمْ لَمْ تُنْزِلْهُمْ	البقرة/ ٦	٥٢
- وَإِنَّا خَلَقْنَا إِيَّكَ شَيْطَانِيَوْمَ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ...	البقرة/ ١٤ - ١٥	٨٤
- أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى	البقرة/ ١٦	١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨
- يَحْمِلُونَ أَسْمَاءَهُمْ فِي مَذَاهِبِهِمْ	البقرة/ ١٩	١١٩ ، ١٣٤
- وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا ...	البقرة/ ٢٣	٤٤
- الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ	البقرة/ ٢٧	١٢٨
- وَاتَّقُوا مَعَ الزَّكِيِّ	البقرة/ ٤٣	١٣٤
- يُسْأَلُكُمْ سِوَةَ الْمَلَكِ يَدْعُونَ ابْنَاءَهُمْ	البقرة/ ٤٩	٨٠
- إِنَّا لِلَّهِ وَلِنَا إِلَهُ رَبُّهُمْ	البقرة/ ١٥٦	١٧٧
- وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ	البقرة/ ١٧٩	٩١
- فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ	البقرة/ ١٨٥	١٦٣
- وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْغَيْطُ ...	البقرة/ ١٨٧	١٥١
- يَتْلُوكَ عَنِ الْإِمْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ	البقرة/ ١٨٩	١٧٠
- رَبَّنَا مَا لَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ	البقرة/ ٢٠١	٩٦
- يَتْلُوكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ قَلِيلًا	البقرة/ ٢١٥	١٧٠
- وَالطَّالِفَتُ يَرَوْنَهُ بِأَنفُسِهِمْ	البقرة/ ٢٢٨	١٣٩
- مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ	البقرة/ ٢٥٥	٥٤

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- يُعِزُّ وَيُهَيِّئُ	البقرة/ ٢٥٨	١٩١
- أَلَمْ يُعِزِّهِ هَذِهِ اللَّهُ بِمَدِّ مَوْفِقَاتِهَا	البقرة/ ٢٥٩	٥١
- رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا نَسِيْنَا أَوْ نَنَسْنَا	البقرة/ ٢٨٦	٤٦
- رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ	البقرة/ ٢٨٦	٤٦
- وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالَّذِينَ آمَنُوا	آل عمران/ ٢٠	٥٣
- يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ لَعَلَّ هَذَا	آل عمران/ ٣٧	٥١
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ	آل عمران/ ١٠٢	٥
- فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	آل عمران/ ١٠٧	١٣٥
- وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ	آل عمران/ ١٤٤	٧٤
- إِنْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكْذِبُ رُسُلُكُمْ	آل عمران/ ١٨٤	٩٢
- لَا يَرْحَمُ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَتَامَى	آل عمران/ ١٩٦	٤٦
- مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ	آل عمران/ ١٩٧	٤٦
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ	النساء/ ١	٥
- وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَّقُونَ	النساء/ ٢	١٣٤
- وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي هُوَ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ	النساء/ ٦	١٣٤
- وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا	النساء/ ٢٨	٦٣
- وَكَفَى بِأَهْلِهِ شَهِيدًا	النساء/ ١٦٦	٣٩
- إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ	المائدة/ ٢	٣٧
- وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ	المائدة/ ٤	١٦١
- إِنَّا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتُوبِينَ	المائدة/ ٢٧	١٥٣
- فَلَا تَحْسَبُوا النَّكَّاسَ وَاجْتَنِبُوا	المائدة/ ٤٤	٥٣
- قَهْلَ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ	المائدة/ ٩١	٥٣
- أَخْبَرَهُ اللَّهُ فَتَعَبَهُ	الأنعام/ ٤٠	٥٢
- وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ	الأنعام/ ٦٠	١٦١
- وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ	الأنعام/ ٦٨	٨٧

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ	الأنعام/ ١٢٢	١٩١
- قَهْلَ لَنَا مِنْ شَلْمَةَ فَيَسْتَفْهَمُوا لَنَا	الأعراف/ ٥٣	٥٦
- وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِغَدِ إِصْلَاحِهَا	الأعراف/ ٥٦	٤٥
- قَالَ إِبْنُ آدَمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوكُمْ وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ...	الأعراف/ ١٥٠	٤٥
- ثُمَّ لَمْ يَنْصَحُواكُمْ مِنَّا	التوبة/ ٤	٤٠
- أَفَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ لَعْنَةُ الْكَافِرِ أَنْ تَخْشَوْهُ	التوبة/ ١٣	٥٣
- مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَأْتُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ تَقُلْتُمْ ...	التوبة/ ٣٨	١٦٦
- أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ اللَّهِ يَسْلُمُ بَرَكَةً وَتُجَوِّدُهُمْ ...	التوبة/ ٧٨	٩٧
- فَاتَّخِذُوا قِيْلًا وَلِيَتَّخِذُوا كِبِيرًا	التوبة/ ٨٢	٨٠، ١٦٢
- وَمَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ بِإِزْهَامٍ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ ...	التوبة/ ١١٤	٩٣
- وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى كَلِمٍ أَلْسِنَةٍ	يونس/ ٢٥	٦٢
- وَلَا تُخْلِفْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ	هود/ ٣٧	٣٨
- سَوَّلْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَفَرَأَيْتُمْ قَصَبًا جَبِيلًا	يوسف/ ١٨	١٨٨
- إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ	يوسف/ ٣١	٧٥، ٧٦
- لَنَسَجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ الْعَصَايِرِ	يوسف/ ٣٢	٤٠
- إِنْ أَرَادْتُمْ أَحْمِرُ خَمْرًا	يوسف/ ٣٦	١٣٥
- فَارْتَدُّوا ⑩ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ	يوسف/ ٤٥ - ٤٦	٩٢
- وَمَا أُرِيكَ نَفْسٌ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ	يوسف/ ٥٣	٨٣
- كَتَبْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ ...	إبراهيم/ ١	١٢٣
- يَسْأَلُونَكَ سَوَاءَ الذَّنَابِ وَيَذْهَبُونَ أَتَيْنَاكَ	إبراهيم/ ٦	٨٠
- رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ	إبراهيم/ ٤١	٩٣
- اللَّهُ أَمْرُ اللَّهِ	النحل/ ١	١٣٥
- وَيَحْمِلُونَ فِيهِ الْبَنَاتِ شُحْنَهُنَّ وَلَهُنَّ مَا يَنْتَهِي	النحل/ ٥٧	٩٥
- فَادْفَنْهَا اللَّهُ لِيَأْسَ الْبُحْرُ وَالْحَرُوفُ	النحل/ ١١٢	١٢٨
- وَأَنْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ	الإسراء/ ٢٤	١٢٦

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- وَإِن كَانُوا لَيَفْتِنُونَكَ	الإسراء / ٧٣	٤٠
- وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا	الإسراء / ٨١	٩٥
- وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً أَخَانًا وَمَنْ يَزُوْدُ	الكهف / ١٨	١٦٢
- كَمْ لَبِثْتُمْ	الكهف / ١٩	٥٢
- إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي	مريم / ٤	٣٧
- رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا	مريم / ٤	٨٨
- خُذِ الْحِكْمَةَ بِقُوَّةٍ	مريم / ١٢	٤٢
- يَتَأَخَذَ هَنُونَ مَا كَانَ أَبُوهُ امْرَأًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أَثْلُكُ بَعِيًا	مريم / ٢٨	١٥٢
- أَسْبَحَ يَوْمَ وَابْتَدَأَ	مريم / ٣٨	٥٨
- أَتَى الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا	مريم / ٧٣	٥٢
- فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَكَادِمُ	طه / ١٢٠	٨١
- أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ	الأنبياء / ٣٦	٤٥
- إِنَّمَا يُرِيدُ إِلَهُكُمُ الْإِيمَانُ أَتَمَّ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَجِدْ ...	الأنبياء / ١٠٨	٥٣
- ذَلِكَ بِأَنَّهُ هُوَ أَلَمُّ	الحج / ٦	٣٩
- وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ...	المؤمنون / ١٢ - ١٣	١٦٤
- مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهِ	المؤمنون / ٩١	٣٩
- أَلَمْ تَرَ كَيْفَ جَعَلْنَا لِبَنَاتِهِ	الشعراء / ١٨	١٨٧
- فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فِثْكَوْنِ مِنَ الْفَوَاحِشِ	الشعراء / ١٠٢	٥٦
- وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ	الشعراء / ٢٢٤	١٦٧
- وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَدْعُونَ بِمَا تُعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ أَمَذَّكَرُ بِأَمْنِهِ وَبَيْنَ	الشعراء / ١٣٢ - ١٣٣	٩٣ ، ٨١
- عَلَيْنَا مَطَافُ الْعَذَرِ	النمل / ١٦	٥١
- أَوْزِيقٌ أَنْ أَشْكُرَ بِمَنَافِعِكَ	النمل / ١٩	٤٣
- إِن قَرْيَةً كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ	القصص / ٧٦	١٨٦
- وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ يَتْلُونَ ظُهُورًا ...	الزُّمَر / ٦ - ٧	١٦٢
- يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَخْبَرُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ...	الأحزاب / ٧٠ - ٧١	٥

الآية	السورة / رقم الآية	الصفحة
- ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ	سبا / ١٧	٩٥ ، ١٨٧
- إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ ...	فاطر / ٣٨	٩٧
- إِنَّا إِلَيْنَا تَرْجِعُونَ	يس / ١٤	١٨٧
- رَبَّنَا بَعْدَ إِيَّانَا إِلَيْنَا تَرْجِعُونَ	يس / ١٦	١٨٧
- فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ	يس / ٥٠	١٧٧
- وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ ...	يس / ٦٩ - ٧٠	١٧٦
- هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الْمَاءِ وَلَا يَمْشُونَ	الزمر / ٩	٦٣
- أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ	الزمر / ٣٦	٥٢
- وَيَرْثُ لَكُمْ مِنَ الْأَمَلِ وَرِثَةً	غافر / ١٣	١٣٣ ، ١٤٤
- وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْأَرْثِ إِذِ الْقُلُوبُ لَنَّىٰ الْمُتَاجِرِ ...	غافر / ١٨	١٧٦
- وَلَا يَسْتَوِي السَّاعِدَةُ وَلَا السَّاعِدَةُ أَتَقَعُ بِالْأَيْمَنِ ...	فصلت / ٣٤	١١١
- أَعْمَلُوا مَا يَنْتَهِي	فصلت / ٤٠	٤٣
- إِنَّ لَكُمْ أَلْأَكْرَبَ	الدخان / ١٣	٤٧
- فَإِنَّا لَيَقْبِرَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَرْجَىٰ إِلَيْنَا	مُحَمَّد / ٤	٤٣
- أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ صِغَارٍ	ق / ٢٤	٤٠
- فَاسْتَوُوا أَوْ لَا تَسْتَوُوا	الطور / ١٦	٤٤
- فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ يَتَّبِعُهُ إِن كَانُوا مِن دُورٍ	الطور / ٣٤	٤٤
- أَمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَشِيرَةٌ فِي قُلُوبٍ تَسْتَمِعُونَ بِشَاطِينٍ يُخَبِّرُونَ	الطور / ٣٨	٤٤
- أَمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ الْبَشِيرَةُ وَلَكُمْ الْبَشِيرَةُ	الطور / ٣٩	٤٩
- أَمْ عِنْدَهُ الْبَيِّنَاتُ فَهُمْ يَكْفُرُونَ	الطور / ٤١	٤٩
- هَلْ جَزَاءُ الْإِنْسَانِ إِلَّا الْإِنْسَانُ	الرحمن / ٦٠	٥٢
- هَلْ أَتَاكَ عَلَىٰ شَرِّهِمْ شَيْءٌ مِنْ عَذَابِ إِلِيمِ	الصف / ١٠	٥٣
- إِذَا جَاءَكَ الْمُتَوَفِّيُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ...	المنافقون / ١	٩٥
- إِنْ يَكُنْ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَذَابٌ لَّكُمْ فَاصْبِرُوا ...	التغابن / ١٤	٩٤
- إِنَّمَا أَمْرُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ وَشَهْدُكُمْ	التغابن / ١٥	١٧٧

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا	الطلاق/ ١	٥٥
- لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ	الطلاق/ ٧	٤٢
- يَمْنَنَ رَأْسُهُ	الحاقة/ ٢١	١٤٣
- رَبِّ أَنْفَعْتَ لِي وَلَوْلَاكَ لَمَنْ دَخَلَ بَيْتُ مَرْيَمَ...	نوح/ ٢٨	٩٣
- وَأَلَّا لَا تَدْرِي أَفَرَأَيْدُ يَمِّنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ...	الجن/ ١٠	١٨٨، ٢٩
- لَا أَقِيمُ	القيامة/ ١	٤٠
- يَتَلَقَّى لَكَ يَوْمَ الْيَقِينِ	القيامة/ ٦	٥١
- وَيَلُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّغْلَقُونَ إِنَّا زَكَّيْنَهُمْ فَلَوْلَا فَتَنُوا	الإنسان/ ١٩	١٠٧
- كَلَّا سَيَمْلِكُونَ ﴿١﴾ وَكَلَّا سَيَمْلِكُونَ	النبأ/ ٤ - ٥	٩٤
- وَبَعَثْنَا الْأَبْلَ إِيَّاهَا	النبأ/ ١٠	١٠٧
- إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَجْمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ	الانفطار/ ١٣ - ١٤	٨٠
- قَبُولِ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ دُونًَا	الطارق/ ١٧	٨٢
- سَجَّ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى	الأعلى/ ١	٣٦
- خَلَقَ مَرَكًا	الأعلى/ ٢	١٨٨
- هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ النَّفْثَةِ	الغاشية/ ١	٥٣، ٣٦
- وَبَاءَ رَبُّكَ	الفجر/ ٢٢	١٤٥
- مَاذَا مَنِ أَعْلَى وَالْقَلْبِ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالسُّقَى ﴿٦﴾ فَتَبَيَّرُوا بِمِثْرِهِ	الليل/ ٥ - ٧	١٨٨
- مَاذَا مَنِ أَعْلَى وَالْقَلْبِ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالسُّقَى...	الليل/ ٥ - ١٠	١٦٢
- أَلَمْ يَحْذَرِ يَتِيمًا فَتَوَارَى	الضحى/ ٦	١٨٨
- مَاذَا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ	الضحى/ ٩ - ١٠	٤٠
- أَوْ تَدْرِي لَكَ مَدْرَكٌ	الشرح/ ١	٥٣
- نَزَّلَ الْكَلِمَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا	القدر/ ٤	٩٣
- كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ	التكاثر/ ٣ - ٤	٩٤
- لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ	الكاغرون/ ٦	١٨٩
- وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُفْرًا أَحَدٌ	الإخلاص/ ٤	١٨٩

فهرس الأحاديث والآثار

(حسب الترتيب الهجائي)

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
١٧٦	- اتقِ اللهَ حيثما كنت
١١١	- أحبِّ حبيبك هَوْناً ما
٥٣	- انتهينا انتهينا (عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>)
١٣٥	- أنتِ رحمتي أرحم بك من أشياء
٨٧	- إنما الأعمال بالنيات
١٧٥	- إنما هذا من إخوان الكُفَّان
١١٢	- إنَّ من البيان لسحراً
١٥٢	- إنَّ وسادك لعريض
١٧٧	- تَبَّأَ لهم... (طلحة بن عبيد الله <small>رضي الله عنه</small>)
٤٥	- تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ
٣٧	- الجنة أقرب إلى أحدكم
١٧٧	- صَدَقَ اللهُ
١٣٤	- قَسَمْتُ الصَّلَاةَ
١٧٥	- قضاء الله أحقُّ
٣٦	- كان رسول الله <small>ﷺ</small> يقرأ... (النعمان بن بشير <small>رضي الله عنه</small>)
٦٩	- كلُّ ذلك لم يكن

- اللهم اغفر لحينا وميتنا ٢٥
- اللهم اغفر لي ذنبي كله ٢٤
- اللهم اغفر لي ما قدمت ٢٥
- ما بال الهلال... (الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ) ١٧٠
- ما ينقم ابنُ جميل ١٦٦
- مَنْ عمل عملاً ٨٧
- مَنْ كان يؤمن بالله ٨٧
- والشرُّ ليس إليك ٢٩

فهرس الأشعار

(حسب الترتيب الهجائي للقافية)

القافية	البحر	الصفحة	القافية	البحر	الصفحة
	ج		الألف		
شتا	المتقارب	١٤٩	ادرجي	الرجز	٤٠
	الهمزة			ح	
الشعراء	الكامل	١٨٦	يمتدح	الكامل	١١٣
الماء	الكامل	١٠٩	المدال		
ماء	الخفيف	١٦٤	جماد	الخفيف	٦٧
	ب		مما نَجْد	الرمل	١٨٧
الكتائب	الطويل	١٦٦	أَحْدُ	البسيط	١٦٥
قواضب	الطويل	١٧٤	وحدي	الطويل	٢٠
كوكب	الطويل	١١٠	مَزُودَة	الرجز	١٨
جانب	الطويل	١٨٦	بالبرد	البسيط	١٢٥
ذَنب	البسيط	١٩	مفسدة	الرجز	١٦٤
المشيب	الوافر	٥٥	عُدوا	الطويل	١٦٥
لهيأ	الخفيف	١٦٨	كدأ	مجزوء الكامل	٨٨
	ت		لتجمدا	الطويل	٢٢
نباتا	الكامل	١٩٠	زندي	الطويل	١٧٤
			يزيد	المجث	١٦١

القافية	البحر	الصفحة	القافية	البحر	الصفحة
	ر		تطلع	مجزوء الرجز	٤٦
بمقدار	البسيط	٨٣	المجامع	الطويل	١٨٧
الفراز	المديد	٤٤	مسمعي	الطويل	١٩
سماز	البسيط	٢٠	الفتحا	البسيط	٦٨
نازا	المتقارب	١٩٠	وقوع	الطويل	١٩١
يُجَبِّرُ	الكامل	١١١	ضلوعي	الكامل	١٦٣
الخبر	المنسرح	٨٢	ق		
بأنقرة	مجزوء الرجز	١٨٥	موثق	الطويل	١٣٩
وشكر	الخفيف	١٩١	فيصدق	الطويل	٦٨
والقمر	البسيط	١٨٩	أزرق	الكامل	١٩٠
كالنور	البسيط	١١٢	متنطق	البسيط	١٦٧
نورا	الطويل	١٩٠	أنطق	الكامل	١٢٨
تعبير	البسيط	١١٢	وما خُلِفُوا	الكامل	١٩١
الغريب	مجزوء الكامل	١١٢	ك		
أطير	الطويل	٥٦	تضحك	المجتث	١٩٢
تعرّضا	الطويل	١٠٦	ل		
	ط		كالآلي	المجتث	١٠٨
ينقط	الكامل	١٦٣	الغزال	الوافر	١١٠
يطاع	الخفيف	١٧٦	أوصالي	الطويل	٩٢
تنفع	الكامل	١٢٦	تعالى	مجزوء الرمل	١٩١
			دلائل	الكامل	٢١
			بأمثل	الطويل	٤٣

الصفحة	البحر	القافية	الصفحة	البحر	القافية
٩٤	الطويل	لكريم	١٨١	الطويل	شامل
٨٣	الكامل	تهيم	١٨	الطويل	طبول
ن			١٥٢	الكامل	يتحول
١٧٣	البسيط	إنساناً	١٩٠	الكامل	أفون
١٩٢	الوافر	رشاني	١٧٤	الطويل	سبيل
١٥٠	الكامل	الأضغان	١٩١	الطويل	بديل
١٨٥	السريع	عرفائه	٦٢	الخفيف	طويل
٥٧	الطويل	سُكَّان	م		
٩٥	السريع	ترجان	١٨١	الكامل	الأيام
١٧٦	الرملي	حسن	١٩٣	البسيط	مختمي
١٨٩	الكامل	فيدفن	مجزوء الخفيف	١٩٢	المزاج مة
١٧٧	مخلع البسيط	راجعونا	١١١	الكامل	الأسحم
٣٧	الوافر	تعرفوني	٣٦	الكامل	يتوسم
١٩١	الطويل	يشينه	١٩٢	البسيط	والحشم
هـ			١١٢	الكامل	تلطم
١٩٢	الخفيف	أنت فيها	١٦٥	الطويل	غد عم
١٩٠	المنسرح	لتخفيها	١٨١	البسيط	السقم
ي			١١١	المتقارب	تحكما
١٤٣	المتقارب	العشي	١٦٨	الرملي	الم
١٦٧	الطويل	باقيا	١٦٨	الطويل	وسلما
٩٦	الكامل	تهمي	١٧٣	السريع	أرضهم
			١٩٢	الكامل	نجوم

فهرس أنصاف الأبيات

(حسب الترتيب الهجائي)

السطر	البحر	الصفحة
- أَسْكَانَ الْعَقِيقِ كَفَى فِرَاقاً	الوافر	١٨٧
- الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ	الرجز	١٨٥
- فِي رَفْعِ عَرْشِ الشَّرْعِ مِثْلُكَ يَشْرَعُ	الكامل	١٩
- مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُذَرِّكُهُ	البسيط	١٨٩
- وَأَعْلَمَ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ	الطويل	٨٨
- وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمِيناً	الوافر	٨٨
- وَحَذَفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ...	الرجز	٤٩
- وَلَيْسَ قَرَبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ	الرجز	١٩

فهرس الأعلام

(الذين ذكرهم الشيخ رحمه الله)

العلَم	الصفحة
- آدم عليه السلام	١٦٤ ، ١٥٣
- إبراهيم عليه السلام	٩٣
- ابن تيمية	١٤٥ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ٢٣
- ابن جيل رحمه الله	١٦٦
- ابن الجوزي	١٧٤ ، ٢٣
- الحجاج	١٦٩
- ابن حجر	١٨١
- الحريري	١٩
- الحسن رحمه الله	١٧٧
- الحسين رحمه الله	١٧٧ ، ١٦١
- حمل بن النابغة رحمه الله	١٧٥
- ابن سعدي	٢٣
- سيمار	٢١
- طلحة رحمه الله	١٧٧
- عدي بن حاتم رحمه الله	١٥١
- عمرو بن العاص رحمه الله	١٤٣ ، ٥١

- عيسى عليه السلام ١٥٢
- قابيل ١٥٣
- القبعثرى ١٦٩
- ابن القيم ١٤٥ ، ١١٧ ، ١٠١
- ابن مالك ٤٩ ، ٤٠ ، ٢٩
- محمد الأمين الشنقيطي ١١٧
- محمد رشيد رضا ٢٣
- مريم ١٥٢
- مُسَيِّلِمَةُ الْكَذَّاب ٣٣
- موسى عليه السلام ٨٧
- الموفق (ابن قدامة المقدسي) ٦٨
- نوح عليه السلام ٩٣
- يزيد بن معاوية ١٦١
- يوسف عليه السلام ٩٢ ، ٨٧

المذاهب والطوائف

(التي ذكرها الشيخ رحمه الله)

١٧٦	- الأدباء
١٤٥	- أهل التحريف
١٤٥	- أهل السُّنة والجماعة
٥٣	- البصريون
١٥١ ، ٨٤	- البلاغيون
٩١	- الجاهليون
٢٩	- الجن
٥٤	- المشركون
١٦٨	- مُضَر (المُضَرِّيَّة)
١٤٥	- المناطق
٥٢	- النحويون

الكتب

(التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ)

- إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل ١٤٤
- ألفية ابن مالك ٢٩
- الإيمان ١١٧
- بلوغ المرام ١٨١
- التبصرة ١٧٤
- الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة ١١٧ ، ١٠١
- مقامات الحريري ١٩

فهرس المواضيع

٥	مقدمة المُعتني
١٠	ترجمة موجزة للعلامة ابن عثيمين <small>رحمته الله</small>
١٣	مقدمة المؤلفين
١٧	مقدمة في الفصاحة والبلاغة
٢٩	علم المعاني
٣٣	الخبر والإنشاء
٣٦	الكلام على الخبر
٣٧	الغرض من إلقاء الخبر
٣٨	أضرب الخبر
٤١	الكلام على الإنشاء
٤٢	١- الأمر
٤٥	٢- النهي
٤٧	٣- الاستفهام
٥٥	٤- التمني
٥٧	٥- النداء
٥٨	الإنشاء غير الطلبي
٦١	الدُّكر والحذف
٦٧	التقديم والتأخير
٧٣	القصر
٧٩	الفصل والوصل
٨٠	مواضع الوصل بالواو
٨١	مواضع الفصل

٨٧	الإيجاز والإطناب والمساواة
٩١	أقسام الإيجاز
٩٣	أقسام الإطناب
١٠١	عِلْمُ الْيَّان
١٠٥	التشبيه
١٠٦	المبحث الأول في : أركان التشبيه
١٠٨	المبحث الثاني في : أقسام التشبيه
١١٠	المبحث الثالث في : أغراض التشبيه
١١٧	المَجَاز
١٢٣	الاستِعَارَة
١٣٣	المَجَاز المُرْسَل
١٣٩	المَجَاز المُرَكَّب
١٤٣	المَجَاز العَقْلِي
١٤٩	الكِنَايَة
١٥٧	عِلْمُ الْبَدِيع
١٦١	مُحَسَّنَاتٌ مَعْنَوِيَّةٌ
١٦١	التورية
١٦٢	الطُّبَاق
١٦٢	المقابلة
١٦٢	مراعاة النظر
١٦٣	الاستخدام
١٦٤	الجَنَع
١٦٤	التفريق
١٦٥	التقسيم
١٦٦	تأكيد المدح بما يشبه الذم

١٦٧	حُسن التعليل
١٦٧	اتئلاف اللفظ مع المعنى
١٦٩	أسلوب الحكيم
١٧٣	مُحَسَّنَات لَفْظِيَّة
١٧٣	الجناس
١٧٤	السَّجع
١٧٥	الاقباس
١٨١	خاتمة
١٨١	حُسن الابتداء
١٨١	حُسن الانتهاء
١٨٥	تَنْبِيْه
١٩٥	الفهارس العامة
١٩٧	فهرس الآيات
٢٠٣	فهرس الأحاديث والآثار
٢٠٥	فهرس الأشعار
٢٠٨	فهرس أنصاف الأبيات
٢٠٩	فهرس الأعلام
٢١١	فهرس المذاهب والطوائف
٢١٢	فهرس الكتب
٢١٣	فهرس المواضع

تم الصف والإخراج

بفركة غراس للطباعة والكمبيوتر

هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥

ألفية ابن مالك

في النحو والصرف

لإمام العربية العلامة محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي

رحمته الله (٦٠٠ - ٦٧٢ هـ)

شرح

فضيلة الشيخ العلامة النحوي

محمد بن صالح العثيمين

رحمته الله (١٣٤٧ - ١٤٢١ هـ)

اعتنى به

محمد بن فلاح المطيري